العظات الروحانية

Spiritual **H**omilies

القديس مقاريوس المصري

Saint **M**acarius the **E**gyptian

كتاب

العظات الروحانية

لأبينا

القديس مقاريوس المصري

مترجم

من اللغة الانكليزية

ومقابله مع الروميه

هذا الكتاب المشتمل على هذه

العظات الروحية لابينا القديس مكاريوس

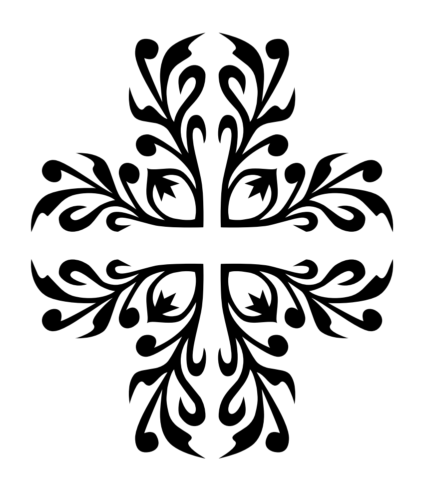
قد تخصَّص بتوقيرٍ

واحترامٍ كليّ الى قداسة

السّيد بطريرك الاسكندرية من

العبد القس هِنْرِيْ تَتَمْ

في الكنيسة الانكليزية



الفرسة

العظات الروحانية

لابينا القديس مقاريوس المصري

وهي مملوة تعاليم مفيدة عن الكمال المطلوب من المسيحيين الذي يجب عليهم أن يجدّوا في طلبه

☩

العظة الاولى

تفسير مجازي للرويا في نبوة حزقيال النبي[١]

ان حزقيال النبي المبارك راى من الله[٢] رويا جليلة فقصّها وكتبها، وهي رويا مشحونة من الاسرار الفايقة الوصف، لانه راى عجلة الكاروبيم في فضاء، وهي اربعة حيوانات روحانية حية، ولكل منهم[٣] اربعة وجوه مختلفة، الاول وجه الاسد، والثاني وجه النسر، والثالث وجه الثور والرابع وجه الانسان، ولكل وجه اجنحة[٤] وليس لهم ادبار ولا شيء ما وراهم، وظهورهم مملوة عيوناً،[٥] وكذلك بطونهم مشحونة عيوناً، وليس فيهم جزء خالٍ من الاعين[٦] وكان لكل وجه بكرات[٧] بكرة في وسط بكرة، وكان الروح في البكرات[٨]، وراي شبه منظر

---

(١) ص ١ و١٠

(٢) ص ١ عد ١

(٣) ص ١ عد ١٠ وص ١٠ عد ١٤

(٤) ص ١ عد ٦

(٥) ص ١٠ عد ١٢

(٦) ص ١٠ عد ١٢

(٧) ص ١٠ عد ٩ و١٠

(٨) ص ١٠ عد ١٧ وص ١ عد ٢٠ و٢١

انسان[٩] وتحت رجليه كمنظر حجر السنفير، وكانت العجلة حاملة الكاروبيم والحيوانات الاحيآ حاملة الرب الجالس فوقهم، وكانوا يسلكون الى حيث يشآون[١٠] وراى تحت كل كاروب يد انسان[١١] ساندة ورافعة.

فهذا الذي رآه النبي بصحة الوجود كان حقاً اكيداً، ولكن الشي الذي يدل عليه، أي الذي سبق فكان ظلاً له مقدماً هو شي اخر، بل هو مادة سرية الهية، وهو ذلك السرّ الذي كان مخفياً بالمعنى الحقيقي عن الاعصر والاجيال وظهر عند مجي المسيح، لان السرّ الذي رآه هي النفس الحليمة، لكونها ستقبل مولاها فيما بعد، وتصير هي ذاتها كرسياً لمجده، لان النفس التي تستحق ان تشترك في روح نوره وتستنير بحسن مجده الذي لا يوصف، (لكونه هيأها بهذا الروح لتكون مقرّاً له ومسكناً) تصير كلها نوراً وكلها وجهاً وكلها عيناً، وليس فيها جزء الاّ ويكون مملواً من اعين النور الروحانية هذه، يعني ليس فيها جزء مظلم، بل هي بكليتها تصير نوراً وروحاً، وتمتلي كلها عيوناً، فلا يكون لها دُبر ولا شي من وراء، بل نظهر كلها وجهاً بحسن مجد نور المسيح الراكب والجالس عليها.

وكما ان الشمس هي كلها شبه واحد بلا دُبر ولا نقص بل كلها مكسوة ضيا بلا اقل خلاف في اجزائها، وكما ان النار عينها، اعني نور النار هو كله متساوٍ في الشبه بدقة، وليس فيه تمييز بين اول واخر، او اكبر واصغر، كذلك النفس التي تستنير بحُسن المجد الذي لا يوصف، حُسن مجد النور الذي لوجه المسيح، وتشترك في الروح القدس بالكمال، وتُحسب اهلاً لان تكون مسكن الله وكرسيه، تصير كلها عيناً، وكلها نوراً، وكلها

---

(٩) ص ١ عد ٢٦

(١٠) ص ١ عد ١٢

(١١) ص ١ عد ٨

وجهاً، وكلها مجداً، وكلها روحاً، بحيث ان المسيح نفسه قائدها وسائقها وحاملها وساندها، يهيئها هكذا ويحسنها ويزينها بالجمال الروحاني، لأن المتن يقول، ويد الانسان من تحت الكاروب[١٢]، لكونه هو الذي يركبها ويهدي طريقها.

واما الحيوانات الاربعة الاحيآ الذين سحبوا العجلة فهم رمز عن قوات النفس المتولّية، فانه كما ان النسر يتولّى الطيور، والاسد يتولّى وحوش الحقل، والثور يتولّى البهائم، والانسان يتولّى المخلوقات باجمعها، كذلك هو حال قوات النفس الناطقة، اعني الارادة، والنية، والعقل، وقوي المحبة، فهذه تقود عجلة النفس وعليها يركب الله.

ومن وجه اخر تحيل الى كنيسة القديسين في السمآ، فكما قيل ان الحيوانات الاحيآ كان لهم ارتفاع[١٣] ومملوين عيوناً، وانه لم يستطع احد ان يدرك كثرة العيون أو الارتفاع، بسبب انه لم تُعطَ عنها معرفة، وكما انه اُعطي للناس جميعهم ان ينظروا كواكب السمآ ويستعجبوا منها، ولكنه لم يُعطَ لهم أن يدركوا حسابها، واعُطى للجميع ان يتمتعوا بثمار الأرض، ولكن لم يدرِ أحد معرفة عددها، كذلك اوكّد انا عن كنيسة القديسين في السمآ، ان الدخول فيها والتمتع بها مُنح لجميع الذين يجدّون في طلبه، ولكن العدد المضبوط الذي فيها لا يعلمه الاّ الله وحده.

فالراكب يُحمل اذاً في عجلته وكرسيه، وهي الحيوانات التي كلها عيون، أي تحمله النفس المخصوصة التي تصير له كرسياً ومجلساً، وتكون

---

(١٢) حزقيال ص ١ عد ٨

(١٣) حزقيال ص ١ عد ١٨

عيناً ونوراً كاملاً، بحيث يجلس عليها ويقودها بزمام الروح، ويهديها في الطريق على ما يستحسنهُ هو، فكما ان الحيوانات الاحيآ الاربعة لم ينطلقوا الى حيث شآوا هم، الاّ بتدبير ومشيئة الذي كان جالساً عليهم وهادياً للطريق، كذلك في هذا الحال قد يمسك ذلك الشخص عينه الزمام ويسوق النفس ويقودها بروحه، وهكذا يسيرن في السمآء أيضاً وليس ذلك متى ارادوا هم ولا كما يشآون، وحين ينزع هذا الجسد فلا يزال هو يدبر الزمان ويامر كلاً من حركات النفس في السموات بالحكمة، وكلما شاء اتي أيضاً إلى الجسد والى أفكار القلب، ومتى شآء اتى إلى أقاصي الارض وكشف لها أسراراً بلا غشاء، الاَّ انه هو الراكب على العجلة العلي الصالح الحق وحده، ولكن ستكرّم اجسادنا أيضاً في القيامة بعد أن تكون النفس قد تمجدت هكذا على الأرض وامتزجت بالروح في الحيوة الحاضرة.

واما عن ان نفوس الابرار تصير نوراً سموياً، فالرب نفسه قال لتلاميذه جهراً، انتم نور العالم[١٤] لانه بعد ان صيَّرهم نوراً[١٥] امر بان يستنير بهم العالم، قال، ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال، ولكن على المنارة ليضي لكل مَن في البيت، هكذا فليضي نوركم قدام الناس[١٦]، يعني لا تخفوا الموهبة التي نلتموها مني، بل اعطوها أيضاً لذوي العقول المسترضية، وقال أيضاً، سراج جسدك هي عينك[١٧] فإذا كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون منيراً، وان كانت عينك شريرة فجسدك

---

(١٤) متى ص ٥ عدد ١٤

(١٥) افسس ص ٥ عدد ٨

(١٦) متى ص ٥ عدد ١٥ و١٦

(١٧) متى ص ٦ عد ٢٢ و٢٣ ولوقا ص ١١ عد ٣٤

كله يكون مظلماً، فان كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام عينه كم يكون، لانه كما ان العينين هما نور الجسد، فإذا كانتا جيدتين فالجسد كله يكون منيراً، وان حدث لهما حادث فاظلمتا، فيكون الجسد كله حينيذٍ مظلماً، كذلك أُمِرت الرسل بان يكونوا عيوناً ونوراً لكل العالم، ولذلك قال لهم الرب بالمعنى، فأنتم الذين هو نور الجسد أن ثبتم[١٨] وما انصرفتم فحينيذٍ يستنير جسد العالم كله، واما ان كنتم مظلمين وانتم النور، فالظلام عينهُ الذي هو العالم[١٩] كم يكون، فمن حيث كان الرسل في نفوسهم انواراً اعطوا النور كل المومنين بحيث اناروا قلوبهم بنور الروح السموي، ذلك الذي كانوا هم انفسهم مستنيرين به.

وكما كانوا ملحاً في ذواتهم كذلك كانوا يملّحون كل نفس مومنة بملح الروح القدس، لان الرب قال لهم[٢٠] انتم ملح الارض، ومعناه بالارض نفوس الصالحين، لانهم يملّحون نفوس البشر من داخل بملح الروح، فيصلحونها ويثبتونها يطيّبونها من رايحتها العفنة، فانه كما ان اللحم ان لم يملّح يفسد ويمتلي عفناً، حتى ان الناس كلهم ينفرون من رايحتِه الكريهة، ويدب الدود في اللحم العفن، ويعيش فيه على النتانة ويقتات منُه ويسكن فيه، فاذا أُلقي عليهِ الملح يموت الدود الذي فيه ويهلك وتنقطع الرايحة الكريهة، (لان من طبيعة الملح أن يفني الدود ويزيل كريه الروايح)، كذلك كل نفس لا تصلح بالروح القدس ولا تملح بالملح السموي، يعني قوة الله، تنقلب حالاً إلى العفونة ويخرق فيها نتن الأفكار الشريرة بكثرة، فينفر وجه الله من البخار الدنس الذي لافكار

(١٨) افسس ص ٦ عد ١٣
(١٩) افسس ص ٦ عد ١٢
(٢٠) متى ص ٥ عد ١٣

الظلمة الخبيثة، وفاسد الاهواء الساكنة في هذه النفس، والدود الشرير اللعين يعني ارواح الخبث وقوات الظلام، يتمشى يجول فيها، ويجد فيها مرتعني وقبولاً فيدب وياكلها ويفسدها، قال صاحب الزبور، قد نتنت وقاحت جراحاتي[٢١] ولكن ان فرّت النفس إلى الله وآمنت وطلبت ملح الحيوة اعني الروح المحب الصالح، فحينئذ إذا اتي ذلك الملح السموي يُميت لوقته ذلك الدود الكريه، وينزع النتانة وينظفها بفاعلية قوته، فإذا طُيّبت هكذا وسلمت بالملح الصحيح ترسم لمنفعة المعلم الاخر السموي وخدمته، فان لهذه الغاية عينها امر الله في الناموس مجازاً بان تتملّح كل ذبيحة بالملح.[٢٢]

ولذلك يجب أولاً أن يذبحها الكاهن وتموت، وبعد ان تتقطع قطعاً تتملّح ثم توضع علي النار، وان لم يذبح الكاهن الخروف اولاً فيمت فلا يملح ابداً، ولا يقرب قرباناً محرقاً للرب، كذلك يجب على نفسنا التي تأتي إلى المسيح الحبر الحقاني ان تتذبح بيده، وتموت عن شهوتها وعن السيرة الفاسدة التي اتبعتها أولاً يعني الخطيئة، وان تنزع منها حياتها وهي فساد الاهوآ، لأنه كما أن الجسد إذا خرجت منه النفس يموت، ولا يعود يعيش العيشة الاولى، ولا يسمع، ولا يمشي، كذلك المسيح حبرنا الالهي حين يذبح النفس بنعمة قدرته ويميتها عن العالم، تموت هي عن سيرة الخبث التي كانت عايشة فيها، ولا تعود تسمع، أو تنطق، أو يكون لها شركة في ظلام الخطيئة، لان حياتها وروحها التي هي فساد الاهواء تخرج منها، وقد صرخ الرسول قائلاً[٢٣]، قد صُلب العالم لي وانا أيضاً

---

(٢١) مزمور ٣٨ عدد ٥

(٢٢) احبار ص ٢ عدد ١٣ مرقص ص ٩ عدد ٤٩

(٢٣) غلاطية ص ٦ عد ١٤

صُلبت للعالم، لأن النفس التي لا تزال عائشة في العالم وفي ظلام الخطيئة، ولا يبتلعها الموت منه، بل تظل حيوة الخبث في ذاتها، يعني قوة ظلام اهواء الاثم، فتتنعم بها، لا تُنسب إلى جسد المسيح ولا إلى جسد النور، بل هي حقاً جسد الظلام، ولا تبرح مائلة إلى مشورة الظلام، واما الذين لهم حيوة النور يعني قوة الروح القدس، فانهم ينتسبون إلى النور.

ولكن قد يسألني قائلاً، كيف تدعو النفس جسم ظلام والحال انها لم تنشاء منهُ.

فافهمني جيداً إذ أقول، كما أن الثوب الذي أنت لابسه صنعه آخر وأنت لبسته، والبيت الذي تسكن فيه بناه غيرك، كذلك آدم لمّا تعدَّى وصية الله واطاع الحية الخبيثة أصبح مبيعاً إذ باع نفسه للشيطان[٢٤]، فاكتسي الخبيث بالنفس (الخلقة الشريفة التي عملها الله على صورته)، كما قال الرسول أيضاً[٢٥]، وسلب الروساء والسلاطين وظفر بهم بصليبه، وهذا أيضاً كان سبب مجي ربنا حتى انه يطرحهم خارجاً، ويسترد الإنسان الذي هو بيته وهيكله، ولهذا الداعي تدعي النفس جسد ظلام الخبث ما دام ظلام الخطيئة باقياً فيها لأنها عايشة الظلام الخبيث وممسكة به جيداً، كما سماها مار بولس جسد الخطيئة وجسد الموت[٢٦] بقوله، ليبطل جسد الخطية، وقال أيضاً، مَن ينقذني من جسد الموت هذا[٢٧]، وكذلك النفس التي تومن بالله وتنجو من الخطيئة وتموت لحيوة الظلام، وتنال نور روح الله القدوس كحياة لها[٢٨] وتعيش

---

(٢٤) رومية ص ٧ عد ١٤

(٢٥) قولاسايس ص ٢ عد ١٥

(٢٦) رومية ص ٦ عد ٦

(٢٧) رومية ص ٧ عد ٢٤

(٢٨) يوحنا ص ١ عد ٤

من هذا المصدر تظل فيه في المستقبل، لأن نور اللاهوت يمسك بها بثبات، فان النفس في ذاتها ليس طبعها اللاهوت ولا طبعها الظلام، بل هي مخلوقة مدرِكة وجميلة وعظيمة وعجيبة وشريفة كصورة الله ومثاله، ولم يدخلها عوج اهواء الظلمة الاَّ بالمعصية.

ثم ان كل ما تختلط به الروح تكون متحدة معه في كل حركة من إرادتها، فان كان داخلها نور الله وعاشت في كل الفضيلة فانها تختص بنور الراحة، وان كان فيها ظلام الخطيئة فانها ترث العقاب، لأن النفس التي تشتهي ان تعيش مع الله في الراحة والنور الأبدي، يجب عليها كما قلنا انفاً أن تأتي إلى المسيح الحبر الحقيقي، لتنذبح وتموت للعالم ولحياتها الأولى حياة ظلام الخبث، وتنتقل إلى حياة اخرى وتهذيب الهي.

وكما إذا مات انسان في مدينة ما، فانه لا يسمع صوت الساكنين فيها، ولا حديثهم، ولا أي صوت كان، بل يكون مايتاً لكل المقاصد والاغراض، ويترك في مكان اخر حيث لا يأتي صراخ تلك المدينة ولا أصواتها، كذلك النفس بعد أن تنذبح وتموت في مدينة الاهواء الفاسدة العايشة فيها الان والسائرة بها، ولا تعود تسمع في ذاتها صوت اراء الظلام، ولا الكلام والصياح الذي لمنازعات ارواح الظلام وفتنتها الباطلة، بل تنتقل إلى مدينة الصلاح والسلام، ومدينة نور اللاهوت، فتعيش فيها وتسمع وتتشغل وتتكلم وتتناظر، وهناك تفعل الأفعال الروحانية الموافقة للّه.

فلنصلّ إذاً حتى ننذبح نحن أيضاً بقوته، ونموت لعالم خبث الظلام، ويقتل فينا روح الخطيئة، وننال حياة الروح السماوي، وننتقل من حال الظلام الشرير إلى نور المسيح، وننتعش بالحياة مدى الأيام جميعها.

كما أن العربيات التي تسابق في الميدان إذا كانت احداها تغلب الاخرى تصير لها مانعاً وحاجزاً وسدّاً، حتى لا يمكنها التقدم وإدراك الحلبة قبل الأُخر، كذلك هو سابق مناظرات النفس والخطيئة في الانسان، فان اتفق ان فكر الخطيئة يسبق، فانه يوقف النفس ويحجزها ويردها ويمنعها لئلاّ تتقدّم إلى الله وتغلب، ولكنه متى قام الرب نفسه وامسك بيديه زمام النفس، فذلك الإنسان لا بدّ وأن يغلبِ، لأنه يتولّى عربية النفس ويقودها بمهارة في حسّ سموي الهي كل حين، لانه هو لا يحارب الخطيئة أبداً، بل من حيث ان السلطان والقوة العلية حالة فيه فهو يحرز لنفسهِ الغلبة.

فالكاروبيم إذاً لا تنطلق إلى حيث تشاء من ذاتها، بل إلى الطريق التي يقودها فيها الجالس عليها الذي بيده الزمام، والطريق التي يشاها هو تذهب فيه وهو يحملها، لأن المتن يقول وكان تحتها يد إنسان، كذلك النفوس المقدسة تنقاد وتهتدي في طريقها بروح المسيح، إذ يرشدها إلى حيث يشاء، فان شاء أقامت في التاملات السموية، وان شاء لبثت في الجسد، وان شاء لازمته في خدمته.

لأنه كما أن أجنحة الطائر هي له بمنزلة الرجلين، كذلك نور الروح السموي يتخذ أجنحة الأفكار المناسبة للنفس، ويهدي الطريق، ويميل الزمام إلى اين يستحسنه هو.

فكلما سمعت إذاً هذه الاشياء افحص نفسك جيداً ان كنت مالكاً اياها في روحك، فان ما كنت مالكاً اياها بل تحتاج إلى مثل هذه الخيرات الروحانية العظيمة، فسبيلك أن تكتئب وتحزن تلهفاً كمَن كان منغصلاً من الملكوت بالموت، وكالمجروح صرخ إلى الرب واسال بايمان ليصيرك اهلاً حقاً لهذه الحياة الحقانية.

كما أن الله الذي خلق هذا الجسد لم يسوغ له انه من طبيعته أو من الجسد ذاته يحيا ويعول ذاته بالقوت والشرب واللبس والنعال، بل جوّز له ان يأخذ مهمات الحياة من خارج إذ كان قد خلق الجسد عرياناً، ولا يمكن للجسد أن يعيش بدون الأشياء الخارجة عنه، يعني الأكل والشرب واللبس، ولكنه ان ادّعي بالمعيشة من تلقا طبيعته بدون أن يأخذ شياً من خارج فانه يفسد ويموت، وكذلك هو حال النفس العارية عن النور الالهي مع انها مخلوقة على صورة الله، فانه رضي ان يرسم الطريقة التي تحصل بها على الحياة الأبدية ليس من طبيعتها بل من الطبيعة الالهية اعني من روحه ومن نوره تقتات بالأكل والشرب الروحاني واللبس السموي، وهذه هي حياة النفس بالحقيقة.

فلذلك كما أن الحياة التي في الجسد (على ما قلناه سابقاً) ليست صادرة من ذاته بل من خارج يعني من الأرض، فلا يمكنه المعيشة بدون الحاجات الخارجة، كذلك لا يمكن هذا للانفس الاَّ ان كانت في هذه الحياة الحاضرة تولد ثانية إلى أرض الاحيا وتتربى فيها بالروح وتنمو قدام الرب نمواً روحانياً، وتكتسي من اللاهوت بحلل الجمال السموي التي تفوق الوصف كله، وبدون ذلك الوقت لا تستطيع أن تعيش متعزية مكتفية، لأن الطبيعة الالهية فيها خبز الحياة حقاً الذي قال انا خبز الحياة[٢٩]، وماء الحياة[٣٠]، والخمر الذي يفرح قلب الإنسان[٣١] ودهن البهجة[٣٢] وجميع اصناف طعام الروح السموي، وحلل النور السموية التي من الله، فبهذه تعيش حياة النفس الأبدية، وويل للجسد الذي يقف على

(٢٩) يوحنا ص ٦ عد ٣٥
(٣٠) يوحنا ص ٤ عد ١٠
(٣١) مزمور ١٠٤ عد ١٥
(٣٢) مزمور ٤٥ عد ٧

قاع طبيعته فانه يفسد ويموت، وويل للنفس أن استندت على قوة طبيعتها، ولم تتكل إلاَّ على أعمالها بحيث لا تكون لها شركة الروح الالهي[٣٣] فانها تفسد وتموت حقاً إذ لا تحسب أهلاً لحياة اللاهوت الأبدية[٣٤].

لانهُ كما أن في حال المرضي إذا كان الجسد لا يقبل ما يقويه فينقطع الرجا من جميعهم والأصحاب والاقربآ والاعزّا يصبّون الدموع جميعهم، كذلك الله والمليكة الاطهار ينوحون على النفوس التي لا تتقوى بطعام الروح السموي، ولا تعيش على ما يفوق الفساد وأقول لكم ان هذه الاشيا ليست أصواتاً فارغة، بل هي صنيع الحياة الروحانية وفعل الحق الذي يكمل في النفس الامينة المستاهلة اياه.

فان كنت إذاً صرت كرسياً لله وجلس الراكب السموي عليك، وصارت نفسك كلها عيناً ونوراً، وانتعشت بقوت الروح، وسُقيت ماء الحياة، واكتسيت بملابس النور التي لا توصف، وثبت انسانك الباطن في خبرة هذه الأمور كلها وثقتها التامة، فانك لعمري تحيا حينئذ حياة الأبد الصحيحة بحيث تصير نفسك من هذه الدرجة مستريحة مع الرب، وانك لتنال وتملك هذه الاشياء بالحق من الله لكي تحيا الحياة الصحيحة، ولكنك ان لم تشعر في نفسك بشي من ذلك، فاندب وتحسّر ونُح لانك لم يبقَ لك نصيب من الأموال الروحانية الأبدية، ولا نلت بعدُ الحياة الحقانية.

فتوجّع إذاً بسبب فقرك، وابتهل إلى الرب ليلاً ونهاراً لكونك

(٣٣) أول يوحنا ص ١ عد ٣

(٣٤) يوحنا ص ١٧ عد ٣

غاطساً في فقر الخطيئة الشّاق[٣٥]، ولكن ياليت كان لاحد حسّ سريع بهذا الوجع بسبب هذا الفقر، وياليتنا لا نداوم على المعيشة بامان كاننا مكتفون[٣٦] لأن الذي يهتم باجتهادٍ ويفتش ويصلي إلى الرب بلا انقطاع ينال الفدا والأموال السموية عاجلاً بحيث قد قال الرب في مثله نظراً لقاضي الظلم والارملة[٣٧] افليس ينتقم الله لمختاريه الذين يصرخون إليهِ ليلاً ونهاراً، نعم أقول لكم انه ينتقم لهم سريعاً له المجد والقوة مدى الدهور امين.

☩

العظة الثانية

عن ملكوت الظلمة يعني الخطيئة، وان الله هو القادر وحده أن ينزع منا الخطيئة وينقذنا من عبودية الرئيس الخبيث

ان ملكوت الظلام* أي الرئيس الخبيث[١] لما استعبد الإنسان من البدء وغمر النفس وكساها بقوة الظلام كانها إنسان وقال فليملكوه ويلبسوه الحلة الملوكية، ويكتسي بالملابس من راسه إلى قدمه،

---

(٣٥) لوقا ص ١٤ عد ٢١ وص ١٥ عدد ١٧ رومية ص ٣ عد ١٧

(٣٦) أول قرنثية ص ٤ عد ٨

(٣٧) لوقا ص ١٨ عد ٧ و٨

* قد يدعي المسيح في الكتاب المقدس القيامة والحياة. وعلي ظن مارقبريانوس انه يدعي أيضاً ملكوت الله. فبناء على هذا قد يدعوه المصنف عند آخر هذه العظة ملكوت النور والصورة السموية. وبعكس ذلك قد يدعي الشيطان هذا ملكوت الظلام والرئيس الخبيث.

(١) قابل يوحنا ص ١٦ عد ١١ مع افسس ص ٢ عد ٢

فالرئيس الخبيث البس النفس هكذا كلا بل البس جوهرها الكامل بالخطيئة ونجسها بكليتها وأخذها إلى ملكوته أسيرة ولم يدع عضواً واحداً منها معتوقاً منه لا الأفكار ولا العقل ولا الجسد بل ألبسها جلبات الظلام* لأنه كما أن الجسد لا يتألم منه جزء أو عضو بمفرده بل يتألّم الجميع معاً، كذلك تألّمت النفس الكاملة بفاعلية الشرّ والخطيئة، فالخبيث(٢) إذاً كسا النفس كلها التي هي أعظم الأجزاء، أو الاغصان التي للطبيعة البشرية بحقدة يعني بالخطيئة، فاصبح الجسد مائلاً إلى الألم والفساد.

لأن الرسول بقوله انبذوا عنكم الإنسان العتيق(٣)، معناه الشخص تماماً إذ فيه أعين مقابلة لاعين، وراس لراس، واذآن لاذان، وايدي لايدي، وارجُل لارجُل، لأن الخبيث نجس الإنسان كله نفساً وجسداً ومزقهما، والبسه الإنسان العتيق النجس الدنس الذي هو عداوة لله وليس خاضعاً لناموس الله(٤) بل هو الخطيئة ذاتها، لكيلا ينظر في

---

* كما ان المسيحيين يصيرهم المسيح ملوكاً رويا ص ١ عدد ٦. كذلك الخطاة عند وصولهم إلى الكمال النضج يصيرهم الشيطان ملوكاً على قول المصنف. فالارجوان هو إشارة الملك. وقد يدعي المسيحي الكامل في العظة الخامسة والعشرين الارجوان الملوكي. كما أن الخاطي هو مكسوّ هذا بارجوان الظلام. وربما ان المصنف يسمي المسيحي الارجوان الملوكي ليري ان سلطته في حالة كونه ملكاً تنشا من دم المسيح الذي يطهره من كل خطية. وبالعكس ارجوان الخاطي فانه يشير إلى دم الخاطئين الذي سفكه الشيطان على يد وكلائه. إذ كان قتالاً منذ البدء. قابل يوحنا ص ٤ عد ٤٤. بالرويا ص ١٧ عد ٤ و٦. أول يوحنا ص ٣ عد ١٥. واشعيا ص ١ عدد ١٨

(٢) أول يوحنا ص ٥ عدد ١٨

(٣) افسس ص ٤ عدد ٢١ و٢٢ قولاسايس ص ٣ عد ٨ و٩

(٤) رومية ص ٨ عدد ٧

المستقبل حسبما يشا هو بل يتطلع بعين شريرة[٥] ويسمع باذن شريرة[٦] وارجلهُ تسرع إلى الشر[٧] وايديه تصنع الاثم[٨] وقلبه يخترع الاشيا الخبيثة[٩].

فلنتوسل إلى الله إذاً أن ينزع منا الإنسان العتيق لأنهُ هو وحدة القادر على رفع الخطيئة عنا لانهما أقوى منا بحيث انهما استاسرانا واستعبدانا في مملكتهما، ولكنه وعد بان ينقذنا من العبودية العسيرة، لأنه إذا اشرقت الشمس وهبت الريح، فالشمس لها جسم وطبيعة خاصة بها، وكذلك الريح لها جسم آخر وطبيعة تختص بها، ومع ذلك فلا يستطيع انسان أن يفرق الشمس من الريح، إلاّ أن يبطل الله وحدة هبوب الريح[١٠] فمثل ذلك هي الخطيئة فانها ممزوجة بالنفس، مع ان لكل منهما ما يختص بطبيعته، فلذلك لا يمكن افتراق النفس من الخطيئة إلاّ أن يرسل الله هدواً ويسكت الريح الشرير الساكن في النفس والجسد.

وكما أن الإنسان إذا راى طيراً طائراً يشتاق أن يطير هو أيضاً فلا يمكنه ذلك لقلة الأجنحة، كذلك يشتهي الإنسان أن يكون نقياً بلا عيب ولا دنس، وأن لا يكون في طبيعته حقد كلاّ بل أن يكون مع الله دايماً، ولكنه ليس له ما ينيله ذلك، وانه قد يشا حقاً أن يطير إلى الجو الإلهي في حرية الروح القدس، ولكن لا يمكنه ذلك إلاّ إذا اُعطِيت له أجنحة لهذه الغاية.

---

(٥) متى ص ٥ عدد ٢٨ ثاني بطرس ص ٢ عدد ١٤

(٦) ارميا ص ٦ عدد ١٠

(٧) امثال ص ١ عد ١٦

(٨) مزمور ٢٦ عد ١٠

(٩) مزمور ٥٨ عد ٢

(١٠) مرقص ص ٤ عد ٣٩ و٤١

فلنلتمس من الله إذاً أن يهب لنا أجنحة حمامة[١١] أي الروح القدس لنطير إليه ونطمئنّ، وان يفرق الريح الشرير* ويقطعه منا نفساً وجسداً، أي الخطيئة الساكنة في أعضا نفسنا وجسدنا، لأنه هو القادر وحده على فعل ذلك، قال الكتاب، ها هو ذا حمل الله الذي يرفع خطايا العالم[١٢]، فهو وحدة الذي أظهر هذه الرحمة لمَن آمنوا به من جنس البشر فافتُدوا من الخطيئة، وقد يجري هذا الخلاص الفايق الوصف للذين يصبرون له[١٣] ويرتجونه ويطلبونه.

كما انه في إحدى الليالي المظلمة المغيمة يهب ريح عاصف ويحرك كل غرس وزرع ويفتشه ويميله، كذلك الإنسان متى سقط تحت قوة ليل الظلمة وهو الشيطان[١٤] وصار في وسط الليل والظلام يتكدر ويتحرك ويتقلب بريح الخطيئة النافخ الذي يفتش طبيعته كلها ونفسه وأفكاره وعقله وتضطرب أيضاً جميع أعضا جسده ولا يسلم من ذلك شي، بل ليس عضو من النفس أو الجسد مهما كان صغيراً الاّ ويتألّم من الخطيئة الحالّة فينا[١٥]، وبعكس ذلك يوم النور والريح الالهي ريح الروح القدس الذي ينسّم[١٦] على النفوس وينعش الذين هم في يوم النور الإلهي، وينفذ

---

(١١) مزمور ٥٥ عدد ٦

* قد تدعي الملئكة رياحاً على العموم مزمور ١٠٤ عد ٤ وربما أن الريح الشرير المذكور هنا هو أحد أرواح النقمة. جامعة ص ٣٩ عدد ٢٨. كالتي يشكو منها أيوب في ص ٣٠ عد ١٥ و٢٢ وتالم منها في الأول ص ١ عدد ٩

(١٢) يوحنا ص ١ عد ٢٩

(١٣) مزمور ٤٠ عد ١ و٣

(١٤) افسس ص ٢ عدد ٢ وص ٦ عدد ١٢

(١٥) رومية ص ٧ عد ١٧ و١٨

(١٦) يوحنا ص ٢٠ عدد ٢٢

في جوهر النفس كله وأفكارها، وكذلك يروّح ويرطّب اعضآ الجسد براحة الهية لا توصف، وقد وضح الرسول ذلك جيداً في قوله[١٧] انكم أجمعين ابناء نور وابناء نهار ولسنا ابناء ليل ولا ابناء ظلام، وكما ان في حال الضلال يفرّ الإنسان العتيق عن الإنسان الكامل ويلبس لباس ملكوت الظلام[١٨] وردآ الكفر والتجديف والمجد الباطل والكبريا والحرص والشهوة وجميع ما يختص بملكوت الظلمة من الخواص المختلفة الدنسة النجسة، كذلك جميع الذين نبذوا عنهم الإنسان العتيق الأرضي وجميع الذين نزع منهم يسوع لباس ملكوت الظلام كله قد لبسوا الإنسان الجديد السموي يسوع المسيح بكل اثر وعضو مقابل للطبيعي، اعين لاعين، واذان لاذان، وراس لراس، ليتطهر الشخص كله باتّخاذه الصورة السموية[١٩].

والرب البسهم أيضاً لباس ملكوت النور الذي يفوق كل وصف، وملابس الايمان والرجآ والمحبة والفرح والصلح والصلاح والاحسان وكافة حلل النور والحيوة، والحلل الالهية الحية حلل تلك الراحة التي لا توصف، حتى كما ان الله نفسه هو محبة وفرح وسلام واحسان وصلاح، فيكون كذلك الإنسان الجديد بالنعمة.

وكما أن ملكوت الظلام والخطيئة هو مخفي في النفس إلى يوم القيامة الذي سوف تغمر فيه أجساد الخاطئين بالظلمة المخفية الان في النفس، كذلك ملكوت النور والصورة السموية وهي يسوع المسيح،

---

(١٧) أول تسالونيقية ص ٥ عدد ٥

(١٨) مزمور ١٠٩ عدد ١٧ و١٨

(١٩) أول قورنثية ص ١٥ عد ٤٩

تنير النفس بالسرّ في الحال الحاضر، وتملك في نفوس القديسين، ولكن من حيث انها مخفية عن عيون البشر، فالمسيح تنظره فقط عيون النفس حقاً حتى إلى يوم القيامة، الذي سوف يغمر فيه الجسد ذاته[٢٠] ويتمجد بنور الرب الكائن الان في نفس الإنسان، ليملك الجسد أيضاً مع النفس التي تنال الان أيضاً ملكوت المسيح، وتنتعش حقاً وتستنير بالنور الابدي، فالمجد لمراحمه ولطفه علي أنه يرحم عبيده وينيرهم وينقذهم من ملكوت الظلام ويمنحهم نوره وملكوته، له المجد والقوة مدى الدهور امين.

☩

العظة الثالثة

في أن الاخوان يجب عليهم أن يعيش بعضهم مع بعض بالصداقة والسذاجة والمحبة وان يصارعوا أفكارهم الباطنة ويحاربوها

يجب على الاخوان أن يسيروا جميعاً بالمحبة التامّة سوآ كانوا يصلون أو يطالعون الكتب المقدسة أو يصنعون شياً اخر وذلك لكي يتاسسوا على حب بعضهم بعضاً، فلا تخلو نياتهم والحالة هذه من القبول (عند الله)، وجميع الذين يصلون ويقراون ويشتغلون إذا عاشوا معاً هكذا بالصداقة والسداجة فانهم يُحسن بعضهم إلى بعض، فانه ما كُتب[١] لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، الاّ لكون الملئكة كما يتلاقون في السماء، ويعيشون باتفاق الضمير الكامل والسلام والحبّ، وليس بينهم شي من الكبريا أو الحسد، بل يعاشر بعضهم بعضاً بالصداقة والمحبة، كذلك يجدر بالاخوان ان

---

(٢٠) اشعيا ص ٤ عد ٥

(١) متي ص ٦ عدد ١٠

يسيروا هكذا، وقد يتفق أن ثلاثين نفساً يعيشون تحت سقف واحد ولا يمكنهم أن يظلوا سوية نهاراً وليلاً كاملين، بل ربما يتشاغل بعض منهم بالصلوة مدة ست ساعات، ثم يميلون إلى القرآة، وبعض يستعدون للخدمة، وبعض يشتغلون بشغل كثير، فالاخوان إذاً مهما كان شغلهم يجب عليهم أن يعمله احدهم للاخر بودٍّ وانشراح، والذي يشتغل منهم فليقل عن المصلي ان الكنز الذي يجده اخي هو مشترك فانا لي فيه نصيب، والمصلي يقول عن القاري ان كل ما استفاده اخي من القراة فهو نافع لي، وليقل أيضاً ذو الاشغال ان كل ما انا فاعله من الخدمة هو لخير الجميع، فانه كما ان اعضاء الجسد كثيرة ولكنها جسد واحد[٢] ومساعد بالطبيعة بعضها بعضاً، والحال ان كل واحد يقضي وظيفته، الاّ ان العين تنظر لاجل الجسد كله، واليد تعمل من أجل الأعضاء كلها، والقدم تمشي وتسندها جميعها، واخر يكابد معها كلها، كذلك فلتكن الاخوان هكذا سوية، ولا يَدِن المصلي[٣] الفاعل لقلة صلاته، ولا يتشكَّ الفاعل من المصلي بشكايته في فمه ويقول انه مستريح، وانا عليَّ الشغل كله، ولا الخادم يذم غيره، بل فليفعل كل أحد ما يفعله لمجد الله، والقاري فليقبل المصلي بحب ولطافة، ويتفكر في عقله قائلاً انه يذكرني في صلاته، والمصلي فليقل عن الفاعل ان ما يصنعه هو لخير الجماعة عامة، فهذا الاتفاق العظيم[٤] في قولهم والسلام والوفق، يثبتهم في قيد الصلح بين نفوسهم، ويجعلهم أن يعيشوا سوية في الصداقة والسداجة وفي نعمة الله، ولكن

---

(٢) رومية ص ١٢ عد ٤ و٥ أول قورنثية ص ١٢ عد ١٢ و٢٧

(٣) رومية ص ١٤ عد ٤ و١٠

(٤) أول قورنثية ص ١ عد ١٠

اخصّ كل شيء هو المداومة على الصلاة(٥)، ولكن يوجد أيضاً شي اخر ضروري وهو أن يحصل الإنسان على كنز(٦) في نفسه، وعلى الحياة(٧) وهي الرب، في عقله، حتى انه سوآ كان يشتغل أو يصلي أو يقرا فلا يزال حاصلاً على ذلك الذي لا يزول(٨) وهو الروح القدس. ولكن بعضاً يثبتون أن الرب لا يطلب من الإنسان سوي الثمار المنظورة واما الخفيات فان الله نفسه يصلحها.

ولكن ليس الحال هكذا، بل كما أن الإنسان يوقّي شخصه الظاهر، كذلك يجب عليه أن يداوم العراك والحرب في أفكاره، فان الرب يطلب منك أن تغضب على نفسك وتعارك عقلك، وان لا ترتضي بالأفكار الشريرة ولا تصالحها، واما الباقي وهو استيصال الخطيئة والشرّ الحاضر فينا فلا يتم الاّ بالقوة الالهية(٩)، وليس مسوغاً للإنسان كلاًّ بل هو غير ممكن له ان يستاصل الخطيئة بقوته، وانما في قوتكم ان تصارعوها وتضاربوها، واما استيصالها فهو منحة من الله مخصوصة، لانكم لو كنتم تقدرون على ذلك فايّ حاجة كانت الى مجي الرب، وكما أن العين لا تقدر ان تنظر بلا نور، ولا يمكن الكلام بلا لسان ولا السمع بلا اذان، ولا المشي بلا اقدام، ولا العمل بلا ايدي، كذلك لا يمكن لاحد أن يخلص(١٠) أو يدخل(١١) ملكوت السموات بدون يسوع.

---

(٥) لوقا ص ٨ عد ١. وأول تسالونيقية ص ٥ عدد ١٧

(٦) اشعيا ص ٣٣ عدد ٦ متى ص ١٣ عد ٤٤ وص ١٢ عد ٣٥

(٧) يوحنا ص ١ عد ٤

(٨) امثال ص ٨ عدد ١٨

(٩) مزمور ٥١ عد ٢ و٥ و١٠ ويوحنا ص ١٥ عدد ٥

(١٠) متى ص ١ عدد ٢١

(١١) يوحنا ص ١٤ عدد ٣ عبرانيين ص ٦ عدد ٢٠

واما ان قلت لي اني صائن جميع الصفات الظاهرة فلن ازني، ولا افسق، ولا أنا حسود، بل سيرتي كلها مستقيمة جهراً، فانك تغلط في هذه المادة لتوهّمك انك فعلت جميع المطلوب منك، وليست الخطايا التي يجب على المرء ان يحترص منها ثلاثة انواع فقط، بل عددها لا يحصي، فاين الصلف وقلة الاحترام والكفر والبغضة والحسد والرياء اَو لست ملزوماً بان تحارب هذه وتصارعها في أفكارك الخفية.

ثم ان فرضنا ان لصاً دخل بيتك فالنتيجة انه ينشي فيك الاضطراب ولا يدعك تستريح درجة واحدة، وانما انت أيضاً تاخذ في المقاومة والمضاربة، كذلك النفس ملتزمة بان تقاوم وتضارب وتدفع قوةً بقوة، وما النتيجة من ذلك، النتيجة ان بمعاركتك هذه ثانية، وتحمّل الالم والاضطراب منها تبتدي ارادتك أخيراً بأن تنصلح، وبعد سقطتها ترتد ثانيةً، ثم ان الخطيئة أيضاً تهزمك في عشر معاركات أو عشرين معاركة وتغلب النفس وترميها، ولكن النفس متى آن الأوان تغلبها في حرب واحد، وأيضاً ان كانت النفس تتجلّد ولا تفزع أبداً فانها تبتدي ان تغلب وتتجسس العدو وتاخذ غنائم الظفر من الخطيئة، ولكن ان تفحصنا هنا أيضاً بدقة وجدنا الخطيئة قوية على الإنسان إلي ان يصير رجلاً تامّا كاملاً في مقدار قامته(١٢)، ويغلب الموت تماماً فانهُ مكتوب(١٣) ان اخر عدوّ يبطل هو الموت، وهكذا يترآس الناس على الشيطان وينتصرون عليه(١٤).

---

(١٢) افسس ص ٤ عدد ١٣

(١٣) أول قورنثية ص ١٥ عد ٢٦

(١٤) أول قورنثية ص ١٥ ٥٥ و٥٦ و٥٧

ولكن كما ذكرنا آنفاً ان قال أحد لست أنا زانياً ولا فاسقاً، ولا حسوداً، ولا احتاج إلى شي، فاني أقدّر له انه حارب ثلاث جماعات، ولكني أقول له ان عشرين اخر باقية قد هياتها الخطيئة لمقاومة نفسه، ولم يبارزها قط الاّ وانغلب، فعليه إذاً أن يحارب جميعها ويبارز كلاًّ منها، فاني كرَّرت القول فيما سلف، ان العقل ذاته هو العدوّ، وقوته على الخطيئة مساوية لها في انه يقاوم ويضاد الأفكار التي يُوسوَس بها.

واما ان قلت ان القوة المعادية هي أقوى، وان الخطيئة لها على الإنسان سلطة مطلقة، فانك تنسب الظلم بهذا إلى الله في دينونته الطبيعةَ البشريةَ لاطاعتها الشيطان، والحال انه هو أقوي وقد يخضعها بنوع قوة لا تقاوم، اللهم انك حقاً جعلته اعظم من النفس واشدّ منها، لكنك ستراعيني في الاخر(١٥).

ولنفرض ان فتي في عنفوان شبابه يعارك طفلاً على انفراد ويغلب الطفل، فهل يُلام لكونه غُلِب، كلاّ ليس في ذلك انصاف، فمن ثم نقول ان العقل خصم مكافئ لخصمه، والنفس التي تطلبه تجد عوناً ونصراً، ويُنعَم عليها بالفداء أيضاً، فانه لا يصحّ ان تكون مصارعة ولا محاربة الاّ إذا كان الفريقان متكافئين، فلنمجّد الاب والابن والروح القدس الي الدهر امين

---

(١٥) مزمور ٣ عدد ٤

العظةُ الرابعَة

في أن المسيحيين يجب عليهم أن يحاضروا في ميدان سباقهم بحذر ودقة ليدركوا المدايح السموية من الله والملئكة

ان الذين يرومون أن يسيروا سيرة مسيحية بدقة، أول ما يجب عليهم الاعتنآ به بكل طاقتهم هو القوة المرشدة في النفس التي بواسطتها نعرف الاشياء ونميزها، حتى إذا توصلنا إلى ضبط تحديد الفرق الدقيق بين الخير والشر، وميزنا بين الاشيا الاجنبيّة عن الطبيعة والمخالفه لها، أصبحت سيرتنا في العالم دائماً مستقيمة لا عثرة بها، بحيث إذا استعملنا هذه القوة المميزة بهذا المنوال، نحفظ نفوسنا سالمين من كل اتحاد وعهد مع اشارات الخطيئة، وبعد أن نُجازَي على هذا الفعل بالموهبة السموية نصير أهلاً للرب، ولنشرح هذه المادة مما نعاينه من شبه الاشيا المنظورة، لان الجسد هو مثل جيد للنفس، واشياء الجسد تمثل اشياء النفس، والاشيا المنظورة مثل للمستترة، فنقول ان الجسد قائده العين، وهذا القائد يرشده في الصراط المستقيم، فلو قدّرنا ان انسانا يسير في وسط الاراضي المورّطة حيث لا تقابله الاّ الاشواك والوحل وحيث تكون النار مضطرمة والسيوف منتصبة في طريقه، والمهالك والاموأة الوافرة تقابله في مكان اخر، وكان مسافراً مجدّا حريصا نشيطا تكون عينه قائدة له، فيعبر هذه الاماكن العسيرة كلها بكل ما يمكنه من الانتباه، ويرفع

ملبوسة من كل ناحية بقدر طاقته، ليلاّ تتمزق من الشجر والاشواك، أو تتلوث في الورطات، أو تتقطع باحد السيوف، فعينه تقود جسده كله سالماً كانها نور له، فلا يتهشم في المهالك، ولا يغرق في المياه، ولا يحصل له ضرر ما من احدي الصعوبات التي تعرض له، فكل مَن يسعى هكذا بجدّ وحذر معاً، وبكل ما امكن من التحفّظ، ويشمّر ثوبه من كل ناحية، ويستمرّ في السبيل المستقيم الذي تهديه فيه عينه، فانه يسلم من الضرّ ويصون لباسه الذي عليه من الاحتراق أو التمزق، واما مَن سار في مثل هذه الاماكن وكان كسلاناً ومتوانياً ومتغافلاً وثقيلاً ولا جدّ له، فان ملبوسه يرتخي من كل جهة فيتمزق بالشجر والأشواك أو يحترق بالنار، لكونه لا يشمّر لباسه من كل ناحية بجرأة تليق بالرجل، أو يتخزّق بالسيوف المنصوبة في الأرض، أو يتلوّث في احدى الورطات، والحاصل ان كساءَه اللطيف الجديد يتلف لوقته لقلة الانتباه فقط بالتهامل والكسل الوافر، وليس يحدث ذلك فقط بل ان لم يحرس طريقهُ بعين متيقّظة مميّزة يهبط في حفرة أو يغرق في المياه.

كذلك النفس اللابسة لبس الجسد الحسن كساءً لها، الحاصلة على قوّة مميزة قائدة لها مع الجسد فهي في عبورها وسط قفار الحياة واشواكها في الوحول والمهالك، يعني وسط الشهوات الجسدية واللذات وغيرها من أباطيل هذا الزمان الحاضر، يجب عليها في كل حال أن تتحزّم وتصون نفسها ولباسها الذي هو الجسد، بتحفّظ وشجاعة وجهد وبصيرة، ليلا يتمزق باشواك العالم، والهموم والغفلة والمعوّقات الأرضية، أو يحترق بنار الشهوة، يعني انها إذا بقيت لابسة لباسها تصرف عينها عن نظر الشرّ، واذنها عن سمع المذمَّة، ولسانها عن الكلام الباطل، وايديها وارجلها عن

مقاصد الشرّ، لان النفس لها حقاً ارادة ان تصرف وتحجز اعضاء الجسد الخاصة بها عن المناظر القبيحة، وعن سمع الكلام الخبيث الفاحش، وعن النطق بما لا يليق، وعن المقاصد العالمية السيّئة.

وان تصرف أيضا ذاتها عن الخيالات الفاسدة، وتصون حالها بحيث لا يستفزّا فكارها روح العالم، حتى إذا دافعت واجتهدت وضبطت أعضاء الجسد في كلّ جهة من أمور الاثم، تصون ثوبها الشريف أي الجسد، عن التمزيق والتحريق والتلويث، وبواسطة فضيلة ارادة مستقيمة مقوية اياها على المعرفة والفهم والتمييز تصان بالكلّية بل تصان بالاحري بقوة الرب، حين تكون فاعلة كل ما امكنها لضبط ذاتها، وللابتعاد من كل شهوة عالمية، فهكذا تجد عوناً من الرب، وتصان حقاً من الشرور المتقدم ذكرها، فانه متى نظر الرب احداً مُدبِراً بعزم عن لذات هذه الدنيا وغواياتها وعلائقها وعن موانع الأفكار الباطلة الأرضية واشغالها المتتايعة، فحينئذٍ يمنحه معونة نعمته الخصوصية، والنفس التي تسلك هكذا بنشاط في العالم الشرير الحاضر يصونها عن السقوط، فإذا أعانه الله تعالى يجوز مرحلة هذه الحياة الحاضرة، وينهي شوطه فائزاً.

واما مَن حمله الكسل والابطآ على الاستمرار في سبيله بدون حذر واجب، ولا يكره من نفسه الشهوة العالمية، ولا يطلب الله بشوق كامل، فانه يُدفع على أشواك هذه الدنيا وغابها، ويتخرق لباس هذا الجسد منه بنار الشهوة، ويتلوث في حمأة اللذات، وبهذه الوسيلة تحرم النفس يوم الدينونة من تلك الدالّة[١]، التي كان يقتضي ان تكون لها، كأنها لم

---

(١) يوحنا ص ٤ عدد ١٧

تقدر أن تصون لباس من الدنس، بل نتّنته بغرور هذا الزمان الحاضر، ولذلك يقضي عليها[٢] بان تطرح خارجاً من الملكوت، لأنه ما الذي يفعله الله بمن يسلّم نفسه للعالم باختياره وينخدع بلذاته أو ينجذب بعجلة العوائق الأرضيّة، لأن الإنسان الذي ينعم عليه تعالى بعون نعمته، هو الذي يُبعد نفسه عن اللذات الجسيمة، وعن سيرته السابقة المتعود عليها[٣]، ويحث عقله باجتهاد نحو الرب في كل حين بحيث ينكر نفسه ويطلب[٤] الرب وحده، هذا هو الشخص الذي يعتني به الرب اعتناءً مخصوصاً، إذ يصون نفسه دائماً ناجيا في كل جهة من الفخاخ والشباك التي هي لهيولى هذا العالم، ويسعى في خلاصه بخوف ورعدة[٥] وبغاية التحرّز يجوز نقياً من وسط الفخاخ والمشقات ولذات هذا العالم، ويطلب الرب عوناً له، ويترجّى الخلاص برحمته نعمةً منه.

انظر الي العذارى الحكيمات العفيفات اللواتي سبقن إلى ما كان غريباً عن طبعهنّ، واخذن في وعاء قلوبهن، زيت نعمة الروح[٦] من العلا كيف كان لهن قدرة ان يدخلن مع العريس إلى العرس السماوي، ولكن الاخر الجاهلات اللواتي بقين على طبيعتهن، لم يصنّ نفوسهن في العفة، ولا بَالَين باخذ زيت البهجة[٧] في آنيتهنّ، كمن لا يزالون في الجسد، بل غشيهن نوم ثقيل للتغافل، والكسل والتواني والجهل أو لادّعائهنّ التبرّر، فلذلك

---

(٢) متى ص ٢٢ عدد ١٣

(٣) افسس ص ٤ عد ٢٢

(٤) ابركسيس ص ١٧ عد ٢٧

(٥) فيلبسيوس ص ٢ عد ١٢

(٦) متى ص ٢٥ عدد ١٠

(٧) مزمور ٤٥ عدد ٧

حُرمن من عرس الملكوت، لكونهن لم يقتدرن على ارضاء العريس السماوي، ومن حيث انهن رُبطن بسلسلة هذا العالم ومحبة ارضية، لم يوّجهن حبهن للعريس السماوي ولم يأخذن زيتاً[(٨)]، لأن النفوس التي تطلب ما يغرب عن طبيعتها، يعني تقديس الروح، تعلّق هواها كله بالرب، وفيه يسعون ويصلون، وبه تتشاغل افكارهم، راذلين كل ما عداه، ولذلك يحسبون أيضاً اهلاً لنوال زيت النعمة السموية[*] وهكذا يمكنهم أن يعبروا من هذه الحياة بلا سقوط بحيث يصيرون مقبولين تماماً لدى العريس السماوي، واما النفوس التي تبقى على طبيعتها فانها تنهبط في أفكارها على الأرض، وارأوها تكون على الأرض، وعلى الأرض يكون تصرّفها، وتظن في ذواتها انها حقاً تختص بالعريس، وتتزين ببّر الجسد، والحال انها غير مولودة من الروح من فوق لكونها لم تنل دهن البهجة.

فحواسّ النفس الخمس المدركة ان احرزت النعمة من فوق وتقديس الروح، كانت هي حقاً الخمس عذاري اللواتي نلن حكمة النعمة من فوق، واما ان بقيت على طبيعتها الأولى كانت جاهلة فتنكشف انها من مواليد العالم، لكونها لم تنبذ عنها روح العالم، مع انها في غرورها تزعم انها عرائس العريس حقاً، بلطافة منطوقها ورزانة

---

(٨) متى ص ٢٥ عدد ٣

* لعل المراد بزيت النعمة السموية هنا وبدهن البهجة فيما سبق مِلء النعمة الالهية المختص بالانجيل، وهو وحده يقدرنا على اجراء الواجب علينا براحة وابتهاج، قابل ١ يوحنا ص ٢ عدد ٢٧، يوحنا ص عدد ١٦

منظرها، لأنه كما ان النفوس التي تلتصق بالرب[٩] بكليتها، فيه تفتكر وتصلي وتسعى وتتلهّف إلى محبة الرب، كذلك النفوس المربوطة بحب العالم تشتهي أن يكون تصرّفها على الأرض، فهناك تسعى وهناك تشغل أفكارها، وهناك يسكن عقلها تماماً، ولذلك لا تقدر أن ترجع إلى حكمة الروح الصالحة التي هي غريبة عن طبيعتنا، اعني النعمة السموية، التي يلزم أن تكون لُحمة في جبلّتنا وممزوجة بها، لنقدر أن ندخل سوية مع الرب إلى العرس السماوي، وننال الخلاص الأبدي.

لانه بمعصية الإنسان الأول دخل فينا ذلك الفساد وهو فساد أهوائنا الغريب عن طبيعتنا، فمهما تاصّل في الطبيعة بطول العادة أو الالفة، يقتضي أن يستَخرج ثانية بواسطة ضيف طبيعتنا[١٠] أي موهبة الروح السماوية، وان نعود إلى حال النقاوة الأصلية، وما دمنا لم ننل محبة الروح التي من السما بالطلبات والتضرعات المتداومة، وبالايمان والصلوة والزهد في العالم، وتلتصق طبيعتنا بهذه المحبة التي هي الرب[١١] وتتقدَّس بمحبة الروح بعد تدنسها بالخطيئة ونستمرّ نحن بلا عيبٍ إلى المنتهى بحيث نسير بالجدّ[١٢] في جميع وصايا الرب، فلا يمكننا الحصول على الملكوت السموي.

ولكن قصدي ان اتكلم في هذه القضية بدقة وتعمق على قدر ادراكي، فاسمعوا إذاً وتنبَّهوا ان الله الغير المحصور الذي

---

(٩) مزمور ٧٢ عدد ٢٨
(١٠) متى ص ٢٥ عدد ٣٥
(١١) أول يوحنا ص ٤ عد ١٦
(١٢) لوقا ص ١ عدد ٦

لا يمكن لانسان أن يدنو منه، الغير المخلوق اتخذ لنفسه جسداً بصلاحه الذي لا يحصر ولا يُدرَك واسامح في قولي بانه تصاغر عن ذلك المجد الذي لا يُستطاع الدنوّ منه(١٣)، لكي يصير بذلك قابلا للاتحاد مع خلايقه المنظورة كالنفوس، أعني نفوس القديسين والملئكة ليقدروا هم أيضاً أن يشتركوا في حياة اللاهوت، لأن كلاًّ منهم هو في طبيعته جرم سواء كان مَلَكا أو نفساً أو شيطاناً، ومهما كانوا لطفاً فمع ذلك هم في جوهرهم وشكلهم وهيئتهم اجرام كما أن جسدنا هذا في جوهره كثيف وكذلك النفس على لطافتها تصرفت في العين لتنظر بها، وفي الاذن لتسمع بها، وفي اللسان لتتكلم به، وفي اليدين، وبالاختصار في الجسد كلّه باعضائه تمة، وبعد أن اتخذته اختلطت به، وقد تفعل بهِ جميع واجبات هذه الحياة.

كذلك الله الغير المنحصر الجائز كل إدراك تصاغر(١٤) صلاحاً منه، ولبس أعضاء هذا الجسد، وجانب المجد الذي لا يمكن الدنو منهُ، وبعد أن يتغيَّر رحمة وحباً منه للإنسان يصيّر نفسه جسداً ويتحد به، ويأخذ إليه النفوس المقدسة المقبولة الأمينة، ويصير معها روحاً واحداً على ما قاله ماربولس(١٥)، ونفساً في نفس، وجوهراً في جوهر، لتعيش النفس باتفاق تام، وتُذَوَّق الحياة المخلدة، وتصير شريكة في المجد الذي لا يفسد، أعني النفس المستحقة المقبولة لديه، لأنه ان كان تعالى

(١٣) أول طيماثاوس ص ٦ عد ١٦

(١٤) عبرانيين ص ٢ عد ٩

(١٥) أول قورنثية ص ٦ عد ١٧

اوجد هذا الخلق المنظور بدرجة من الفضل والاختلاف وخلقه من العدم[١٦]، والحال انه قبل خلقه لم يكن له وجود، فكذلك شاء فخلق من العدم بسهولة جواهَر كثيفة جماداً كالارض والجبال والشجر، (وانت تنظر اليبوسة التي في الطبيعة) وكذلك خلق المياه المتوسطة أيضاً* وامر بأن تخرج منها الطيور[١٧] وكذلك الطف أجزاء الخليقة وهي النار والرياح، وكل ما فاق نظر عين الجسد بسبب لطافته الزائدة.

تامّل صناعة حكمة الله الغير المحصورة ولا متناهية والفائقة كل وصف، كيف خلقت من العدم اكثف الأجساد وألطفها وأرقها وأوجدها بمشيته، وكما بالحري يفعل العادل كما يريد ويشآ بواسطة احسانه الفائق الحدّ، وصلاحه الجايز الادراك، ويغير نفسه وينقصها، ويتشبَّه بنا بحيث يتجسّم في النفوس القدسية المستحقة الامينة بقدر ما يمكنه، لكي بعد أن يكون غير منظور يصير منظوراً لها[١٨]، وبعد أن يكون فائق كل لمس يُلمَس[١٩] ويُحس بقدر لطافة حال النفس† وتذوق حلاوته[٢٠]،

---

(١٦) رومية ص ٤ عد ١٧

(١٧) تكوين ص ١ عد ٢٠

(١٨) أول يوحنا ص ١ عد ١ ــ ٣

(١٩) ابركسيس ص ١٧ عد ٢٨

(٢٠) اول بطرس ص ٢ عد ٣ مزمور ١٩ عدد ١٠ عبرانيين ص ٢ عدد ٥

* أظن أن المصنف مراده بالمياه المتوسطة المياه التي تعبر وسط الجبال كما وصفها صاحب الزبور. مزمور ١٠٤ عدد ١٠ ولعلها تسمي هكذا بخلاف المياه التي فوق الجلد والمياه السفلي. تكوين ص ١ عدد ٦ و٧ و٨.

† أنا لست أفهم اللطافة الطبيعية التي للنفس أو لمحملها بل لطافة الحس التي فيها الناشية عن نقاوة وهي بالحري كمال في الأخلاق لا كمال طبيعي.

وتختبر حقاً صلاح نور رضاة الغير الموصوف، ومتى شاء صار ناراً محرقة لكل هوي خبيث داخل النفس، لان الرسول قال[٢١] ان الهنا نار آكلة، ومتى شاء صار راحة تفوق كل منطوق وملفوظ، لكي تنتعش النفس براحة اللاهوت، ومتى شاء صار فرحاً وسلاماً معزّيا ومعانقاً لها.

فان كان الله مريداً ان يتشبه باحدى خلائقه لبهجة خلقه العاقلين وفرحهم، كمدينة النور اورشليم، أو الجبل السماوي صهيون، فهو قادر أن يفعل كل شي كما يشاء بموجب ما قيل[٢٢]، فامّا انتم فقد اقتربتم من جبل صهيون ومن مدينة الله الحيّ اورشليم السماوية، فكل الأشياء هي عنده سهلة خالية من كل عُسر، إذ قد يتشكل بكل ما شاءَه لاجل النفوس المستاهلة الأمينة، فليسعَ كل واحد في ارضائه فيرى خيرات السماء بالحق والخبرة والحسّ، وبهجات اللاهوت العديمة الوصف، وغناه المتسع الذي لم ترهُ عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب بشر[٢٣]، يعني روح الرب التي هي للنفوس القدسّية بمنزلة راحة وفرح وبهجة وحياة أبدية، لأن الرب يلمّ نفسه فيها ليكون لها طعاماً وشراباً كما قيل في الانجيل[٢٤]، ان مَن أكل من هذا الخبز يحيى إلى الأبد، وليُنعش النفس بمنوال لا يوصف، ويملاها بهجة روحانية، لأنه قال انا هو خبز الحياة، وقد يصير أيضاً شراباً من الينبوع السماوي كما قال[٢٥]، ان مَن يشرب من الماء الذي أعطيه انا يكون فيه ينبوع ماء

(٢١) عبرانيين ص ١٢ عد ٢٩ قابله بالتثنية ص ٤ عد ٢٤ وص ٩ عدد ٣
(٢٢) عبرانيين ص ١٢ عد ٢٢
(٢٣) أول قورنثية ص ٢ عد ٩
(٢٤) يوحنا ص ٦ عد ٥١
(٢٥) يوحنا ص ٤ عد ١٤

ينبع إلى الحياة الأبدية، وقال الرسول[٢٦] اننا شربنا جميعاً شراباً واحداً روحانياً.

وقد كان هو يظهر أيضاً لكل من الاباء الأطهار على ما شاءَهُ واستحسنهُ لهم، فظهر لابرهيم بطريقة[٢٧] ولاسحق باخرى، وليعقوب بطريقة ثالثة، وبغيرها لنوح، ولدانيال، ولداود، ولسليمان، ولاشعيا، ولكل من الأنبياء الاطهار، وبنوع لايليا، وباخر لموسي وفي ظني ان موسى طول مدة اقامته في الجبل على مدى صيام الأربعين يوماً قرب إلى المايدة الروحانية والتذ ببهجاتها وتمتع بها، فمن ثم قد ظهر الله لكل من القديسين خصوصاً بما ادّخره لانعاشهم وخلاصهم ولارشادهم إلى معرفة الله، لأن الأشياء كلها هينة عليه، حتى انه يميل وينقص نفسه باختياره، ويلتم كجسد، ويتغير حين يراه الذين يحبونه في ذلك النور المجيد الذي لا يمكن الدنو منه بحيث ينكشف لقديسيه بمحبته العظيمة الفائقة الوصف بحسب قدرته، لأن النفس التي بزيادة الشوق والانتظار والايمان والمحبة تحسب اهلاً لنوال تلك القوة من العلا، أي محبة الروح السماوية، ونالت النار السماوية نار الحياة الدائمة، تنفك حقاً من كل محبة عالمية، وتنحل من كل رباط الخطيئة.

فكما ان الحديد أو الرصاص أو الذهب إذا اُلقي في النار يُنزع منه الجوهر اليابس الذي لطبيعته فينقلب ليّنا، وبقدر ما طال مقامه في النار ينحل ويفلت من يبوسته الطبيعية بشدة حمي النار، كذلك النفس التي تنكر العالم، وتعلّق شوقها بالرب بالتفتيش الكثير وبالكدّ والجهاد،

---

(٢٦) أول قورنثية ص ١٠

(٢٧) عبرانيين ص ١ عد ١

وتنتظره انتظاراً دائماً بالايمان والرجاء، وتنال تلك النار السماوية نار اللاهوت ومحبة الروح، فحينئذ تنفك حقاً من كل محبة العالم، وتفلت من كل فساد الأهواء وتُخرج جميع الأشياء من ذاتها، وتتغيّر من عادتها الطبيعية ومن يبوسة الخطيئة، وتعتد كل الأشياء زهيدة بحيث تختضع لذلك العريس السماوي وحده الذي قبلته بحب شديد لا يُوصف.

ولكني أقول لك، ان الاخوان الذي هو يشتهيهم وعينه عليهم ان انصرفوا من تلك المحبة فهو أيضاً ينصرف عنهم، لأن حياة النفس وانشراحها هي العشرة[٢٨] الخفية الفائقة الوصف مع الملك السماوي لا غير، لانه ان كانت محبة تلك الشركة الجسدية تسبب مفارقة الاب[٢٩] والامّ والاخوة وتحسب حينئذ كل الأشياء غريبة للزوجين، واذا كان يوجد حب فاضل فيكون خيراً على بُعد، وامّا أكمل هواه فيكون مستمراً نحو تلك التي تعيش معه، لان الكتاب المقدس يقول، من أجل هذا يترك الرجل اباه وامه ويلصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً، فان كانت المحبة الجسدية تطلّق الإنسان هكذا من كل المحبة الخارجة، فكم بالحري جميع الذين يُحسبَون اهلاً حقاً ان يشتركوا في الروح القدس الذي هو المحبوب السماوي بدون نزاع يتجردون بالكلية من حب العالم، ويظهر كل شي خارجي كالزوائد الباطلة، نظراً لكونهم غُمروا بالشهوة السماوية، وألفوا مدى خلتها المتداومة، فهناك

(٢٨) نشيد الانشاد ص ٢ عدد ٣

(٢٩) تكوين ص ٢ عدد ٢٤ متى ص ١٩ عدد ٥ افسس ص ٥ عدد ٣١

تكون شهوتهم، وهناك تصعد افكارهم وتهبط، وهناك ينشغل البال على الدوام، بحيث تعلوه المحبة الالهية السماوية والشهوة الروحانية.

فما بقي الان أيها الأخوة الاحباء، إلاّ هذا وهو انه من حيث قد وُضعت أمامنا مثل هذه الخيرات ووعدنا الرب بهذه المواعيد(٣٠) الكبرى، فلنلق عنا كل الموانع ونهجر كل حب عالمي، ونسلّم نفوسنا لذلك الصالح وحده بالتفتيش والتلهف، لكي ننال تلك المحبة التي لا توصف، أي محبة الروح التي أوصانا بولس الطوباني بان نجدّ في طلبها قائلاً(٣١)، اسعوا في اثار الحب، حتى ندرك القابلية التي تُحسَب بها أهلاً للتغير من قساوتنا(٣٢) بيد العلي، وناتي إلى الحلاوة والراحة الروحانية بعد أن ننجرح بمحبة الروح الالهي، لأن الرب يحب الإنسان حباً صادقاً زايداً، وبرحمته ينتظر الزمان الذي نرجع فيه إليه، ونرجّع نفوسنا من الأشياء المخالفة لنا كلها، فاننا وان كنا بزيادة الجهل، والطفولية، وميل الفساد الضالّ، حدنا عن الحياة وضاعفنا الموانع على نفوسنا، إذ ليس لنا عقل ان نتوب توبةً نصوحاً، فهو مع ذلك تنشا فيه رافة عظيمة بنا ويطيل اناته إلى أن نُنيب وناتي إليه، ونستنير في إنساننا الباطن لكيلا يغشي الخجل وجوهنا يوم الدّين.

ولكن ان كان هذا أيضاً يظهر لنا صعباً بسبب المشقة التي في فعل الفضيلة، وخصوصاً بسبب اغراء العدوّ واغوائه فان أحشاءَه تحنّ الينا فيطيل صبره علينا منتظراً لانابتنا، وان كنّا نخطي فهو يمسك يده

(٣٠) ثاني قورنثية ص ٧ عدد ١
(٣١) اول قورنثية ص ١٤ عدد ١
(٣٢) حزقيال ص ٣٦ عدد ٢٦

منتظراً توبتنا، وليس يستحي أن يقبلنا ثانياً بعد سقوط، كما قال النبي، اليس مَن يسقط لا يقوم ومَن انصرف لا يرجع[٣٣]، فلنكن فقط صاحين[٣٤] ذوي ضمير سليم، ولنرجع حالاً باستقامة ونستعينه فانه مستعدّ لأن يخلصنا فانه يقبل اجتهاد إرادتنا نحوه بحرارة، والقابلية التي لنا، والايمان والثبات الناتج من القصد الحسن، واما نظام ذلك كله فهو نفسه يجريه فينا.

فيجب علينا إذاً أيها الاحبآ أن نبذل جهدنا كله كابناء الله، حيث قد تجرّدنا من كل الوسواس والاهمال والكسل، وان نتشجّع ونستعد لاتّباعه بدون أن نتأخّر من يوم إلى يوم كاننا مهدومون بالخطية، لأننا لا نعلم زمان انطلاقنا من الجسد، والمواعيد التي وُعِدنا بها نحن المسيحيون هي عظيمة تجوز الوصف، لكون كل المجد والبهاء الذي في السماء والأرض، وكل باقي أمتعة الخليقة المنظورة وأشكالها وأموالها وبهائها وبهجتها لا تعادل الايمان والكنز الذي هو لنفس واحدة.

فكيف إذا نقاوم هذه الدعوات والمواعيد الغريبة ونأبى المجيء إليهِ بكليتنا وتخصيص نفوسنا له، بعد أن ننكر كل شي حتى حياتنا[٣٥] مع كل ما عداها على قول الإنجيل، ونحبه حده، ولا نجعل لنا معه عديلاً أو شريكاً، ولكن مع كل هذه الأشياء والمجد العظيم الذي أُعطي، وتدابير الرب الكثيرة منذ أزمنة الاباء والأنبياء، والمواعيد التي نُطق بها، والنصائح الكثيرة التي مُنحت، وشفقة ربنا ومعلمنا العظيمة

---

(٣٣) ارميا ص ٨ عد ٤

(٣٤) اول بطرس ص ٥ عد ٨

(٣٥) لوقا ص ١٤ عد ٢٦

نحونا مُنذ البدء، ومع كل احسانه الذي لا يوصف نحونا[٣٦] عند مجيه إذ تبرهن بالامه على الصليب ليغيرنا وينقلنا إلى الحياة[٣٧] فلا نزال نحن نابى الابتعاد من أهوائنا، ومن حب العالم، ومن الاشغال والعوائد الشريرة، فهذا برهان إذاً على اننا ليس فينا من الايمان إلاَّ القليل، أو لا شي البتة، ومع ذلك فهو لا يبرح محسناً ومحتضناً لنا، وحافظنا سراً، وليس يسلمنا بحسب خطايانا لقوة العدو إلى الابد، ولا يدعنا نهلك بغرور العالم، بل يجعل نظره علينا باحسانه العظيم وطول اناته وينتظر زماناً نرجع إليهِ فيهِ.

ولكني أخاف من أن يصدق علينا قول الرسول يوماً من الأيام (نحن العائشون بالاجماع على احتقار الكل، ووساوسنا القديمة هي مخيّبة لنا)، فيما قال[٣٨] أو تهين غني صلاحه وصبره واناة روحه، أَفما تعلم أن رافة الله تقبل بك إلى التوبة، فاما ان كنا لا نقابل هذا الصلاح والصبر واناة الروح الاّ بزيادة الخطايا، ونشتري بتهاملنا واحتقارنا دينونة عظمي فلا بد من تتمة ذلك النص أيضاً[٣٩] وهو قوله، ولكنك بقساوتك وقلبك غير التائب تذخر لك ذخيرة الغضب ليوم الغضب وظهور حكم الله العادل. لأن الله سلك مع جنس البشر بصلاح عظيم يفوق الوصف، وباناةٍ تجوز الحدّ مريداً فقط أن تكون لنا إرادة للاياب[٤٠]، ونسعى في الرجوع إليه بدون تباطي لنحصّل قابلية لنوال الخلاص.

---

(٣٦) رومية ص ٥ عد ٧ و٨ ويوحنا ص ١٥ عدد ١٣

(٣٧) قولاسايس ص ١ عد ٣ يوحنا ص ٥ عدد ٢٤

(٣٨) رومية ص ٢ عد ٤

(٣٩) رومية ص ٢ ص ٥

(٤٠) ثاني طيماتاوس ص ٢ عد ٢٦

واما ان شئت ان تعرف اناة الله وصبره العظيم فحسبنا ان نتعلّمها من الكتب الموحى بها، انظر إلى ال اسرائيل الذين منهم الاباء، الذين وُجّهت لهم المواعيد، ومنهم جاءَ المسيح بالجسد، وبهم اختصّت عبادات الله والعهد[٤١]، كم من خطية فعلوها، وكم من مرة عادوا إلى الضلال بعد التوبة، ومع ذلك فلم يطرحهم إلى الأبد[٤٢]، بل سلّمهم للتأديب زمناً معلوماً نفعاً لهم، فانه شاء أن يليّن قساوة قلوبهم بالمصائب وعاد إليهم ونصح لهم وأرسل إليهم أنبياء، وكم من دفعة اظهر فيها اناته على الذين خطئوا حقاً وغاظوه، والذين رجعوا إليه فقبلهم بفرح[٤٣] حتى لما رجعوا إلى العصيان لم يتخلّ عنهم، بل كان يدعوهم بواسطة انبيائه حتى يرجعوا إليه، وكم مرة كانوا يعصون فيقبلهم فرحاً، ويرضي عنهم مترحّما إلى أن وُجدوا أخيراً أشد الناس ردّة، والقوا ايدي قاسية على ربهم الذي كانوا ينتظرونه بواسطة تقاليد الاباء والأنبياء الاطهار مخلصاً لهم ومنجياً وملكاً ونبياً، فلمّا لم يقبلوهُ[٤٤] بل بالعكس بعد أن عاملوه بكثير الفضائح عاقبوه بالموت على الصليب، وبسبب هذا الاثم العظيم والخطية الجسيمة امتلات خطاياهم التي فخّموها زيادة عن العادة فطُرِحوا من الخير ومن الجميع بحيث بَعُد عنهم الروح القدس حين تمزق ستر الهيكل، وبعد ان أُعطي هيكلهم للامم انهدم وصُيّر خراباً[٤٥] على موجب تهدّد الرب البيّن إذ قال[٤٦]، انه لا يترك

---

(٤١) رومية ص ٩ عد ٤ و٥

(٤٢) مزمور ٩٤ عد ١٤

(٤٣) لوقا ص ١٥ عدد ٢٠ و٢٢ و٢٣ و٣٢

(٤٤) يوحنا ص عدد ١١

(٤٥) متى ص ٢٣ عد ٣٨

(٤٦) متى ص ٢٤ عدد ٢

هاهنا حجر على حجر الاَّ ويُنقض، وهكذا سُلّموا أخيراً للامم، وتشتتوا في الأرض كلها بيد الملوك الذين استاسروهم، ونُهوا عن ان يرجعوا ثانياً إلى مساكنهم الأصلية.

كذلك الله في هذا اليوم عينه من احسانه وصلاحه لكل منا يطيل اناته، الا ترى كم خطية يرتكبها الإنسان فيسكت، وينتظر الزمان الذي يتوب فيه، وينقطع عن الخطية، ويقبل الراجع إليه من الخطية بمحبة وفرح عظيم، لأنه هكذا قال(٤٧) انه يكون فرح بخاطي واحد يتوب، وقال أيضاً(٤٨) ليس مشية ابي ان يهلك واحد من هولاء الصغار، فان كان أحد يتقدم إلى درجة عظيمة من الهزؤ، ويزيد خطية على خطية(٤٩)، ويجمع كسلاً على كسل، ويكوّم اثاماً على اثام، بحيث يكون عالماً برحمة الله واناة روحه الملازمة له، كونه تعالى لا يعجل في الانتقام من كل ذنبٍ خاصّي مرتكب خفية أو جهراً، بل ينظر ويسكت منتظراً توبته، فانه حينيذٍ يملا حدود خطاياه* وينتهي اخيراً باثم ما جسيم جداً فلا يمكنهُ الفرار منه أبداً، بل يتهشم(٥٠)، وبعد أن يسلّم للشرير إلى الابد يهلك.

هذا ما حلّ بصادوم، فانهم بجسامة خطاياهم وقلة رجوعهم انشقوا

---

(٤٧) لوقا ص ١٥ عدد ١٠

(٤٨) متى ص ١٨ عدد ١٤

(٤٩) اشعيا ص ٣٠ عدد ١

(٥٠) متى ص ٢١ عدد ٤٤ اشعيا ص ٣٠ عدد ١٤

* هذه الجملة هي خصوصية. ولكن الظاهر ان المصنف يشرح بها عظم الخطية وفيضها كمثل البحر. قابل ارميا ص ١٥ عد ٥ بايوب ص ٢٨ عدد ١١ حيث المعني فقط مكيال الاثم

أخيراً على مقصودهم الخبيث بالملئكة[٥١] إذ كانوا حاتمين ان يعرفوهم وهم رجال، فلم يستطيعوا التوبة فيما بعد بل رُذلوا، لانهم ملاوا مكيال خطاياهم بل تعدّوه فلذلك هلكوا بالنار بالنقمة الالهية[٥٢]، وهكذا حدث أيضاً في أيام نوح، فانهم بارتكابهم اثاماً كثيرة وعدم توبتهم مطلقاً، وقعوا في ذنوب عظيمة حتى هلكت أخيراً الأرض كلها، وهكذا في حال المصريين فانهم كانوا خاطئين في الكبائر، واثموا على قوم الله وعاملهم الله باللطف، ولم يرسل عليهم ضربات لتهلكهم بالكلية بل لاجل تأديبهم وانابتهم وتوبتهم اوقع بهم جلدات اسواطه الصغيرة مصطبراً عليهم ومنتظراً منهم التوبة[٥٣]، ولكنهم لما كانوا ياثمون إلى شعب الله اثاماً كثيرة جداً، ثم يرجعون إليه ثم يندمون على رجوعهم هذا ويثبتون في الكفر القديم الذي هو عن إرادة فاسدة ويضيقون على شعب الله ثانية، فأخيراً حين اخرج الله القوم من مصر بعجائب كثيرة على يد موسي، اثموا جداً باقتفائهم اثر شعب الله، فلذلك احرقتهم النقمة الالهية وافنتهم قاطبة وغرقتهم في المياه، كونها حسبتهم غير اهل للحياة الحاضرة.

كذلك آل اسرائيل كما قلنا آنفاً، لما ارتكبوا اثاماً وخطايا كثيرة، وقتلوا انبياء الله، وفعلوا اشيا كثيرة غير هذه خبيثة، لكون الله كان متحملاً وساكتاً ومنتظراً توبتهم، خطيوا أخيراً خطية هذا حدّها، حتى انه لم يمكنهم القيام منها ولو اسفوا عليها غاية الاسف، لأنهم

---

(٥١) تكوين ص ١٩ عد ٥

(٥٢) يهودا عدد ٧

(٥٣) ثاني بطرس ص ٣ عد ٩

القوا أيديهم على شرف الرب وصفته، فخُذلوا ورُذلوا إلى الأبد، ونُزعت منهم موهبة النبوة والكهنوت وعبادة الله، وأُعطيت للامم الذين كانوا تمسكوا بالايمان، كما قال الرب جهراً[٥٤]، ان ملكوت الله تُنَزَع منكم وتُعطي لامَّةٍ يصنعون ثمرها، لأن الله تأنى عليهم إلى ذلك الوقت وطالت اناته ولم يمنع شفقته عنهم، ولكنهم بسبب انهم ملأوا مكيال خطاياهم وتجاوزا الحدّ جداً بوضع ايديهم على شرف الرب وصفته خذلهم الله أخيراً.

ايها الاحبا قد تكلمنا عن هذه المواد بالتفصيل لنبيّن من شواهد الكتاب المقدس انه يجب علينا أن نرجع بلا أدنى تمهل، ونبادر إلى الرب الذي من صفاته الحلم، وينتظر ان نتجنب كل الخبث والوسوسة السّيئة، ويقبل التائبين إليه بفرح عظيم، لكيلا يزيد علينا احتقارنا يوماً فيوماً، وخطايانا المجمّعة لا تزداد علينا، ولهذا السبب عينه ننزّل علينا سخط الله، فليكن شغلنا إذاً أن ناتي إلى الله بعد ان نتوب بقلب سليم، ولا نيأس من الخلاص، لأن هذا مَثَل بيّن على غدر الحية وحيلتها[٥٥] عند تذكر سالف الخطايا، التي تحمل الإنسان على قطع الرجا وقلّة الجراءَة، وعلى الاهمال والكسل الكامل، فلا يمكنه الرجوع والاتيان إلى الرب لينال الخلاص بواسطة احسان الرب الممتدّ[٥٦] لكل جنس البشر.

الاَّ انه ان ظهر لنا انه أمر عسير صعب أن نرجع من كثرة الخطايا التي

---

(٥٤) متى ص ٢١ عدد ٤٣

(٥٥) ثاني قورنثية ص ١١ عد ٣

(٥٦) طيطس ص ٣ عدد ٤

كانّها تملكت فينا، (وهذا كما قلنا آنفاً هو تلميح الخبث ومانع لخلاصنا)، فلنتذكر ونعتبر كيف ان ربنا في سلوكه بين البشر اعاد البصر للعميان رحمة منه، وعالج المفلوجين، وشفي كل نوع مرض، واقام الأموات الذين كانوا هبطوا إلى الفساد والاضمحلال، وجعل الصمّ يسمعون، واخرج من إنسان واحد لاجاوناً من الشياطين، وردّ على المجنون عقلَهُ، فكيف لا يهدي بالحري النفس[٥٧] التي ترجع إليه، وتلتمس منه الرحمة، وتضطّر إلى عونه، وياتي بها إلى الحال المفرح حال الحرّية من الشهوات، وإلى ثبات كل فضيلة وتجديد العقل[٥٨]، ويردها إلى الصحة ونور الأفكار العقلي، وسلامتها من عمي الكفر وصمّه وميتته، ومن الجهل وقلة التقوى، ويرجّعها إلى حكمة الفضيلة ونقاوة القلب، لأن الذي خلق الجسد هو بعينه خلق النفس أيضاً، وكما أنه في سعيه على الأرض كان كل الذين ياتونه ويطلبون منه العون والشفا[٥٩] يمنحهم بكرمه وصلاحه كل ما يحتاجون إليه كطبيب صالح ليس غيره، كذلك هو حال الروحانيات سواء.

فانه ان كان قد تحرك بالشفقة لهذا الحدّ على الأجساد التي تنحلّ وتموت، وقضي لكل أحد مطلوبه برغبة واحسان، فكم احري ان يصنع للنفس المخلدة التي ليست مختضعة للانحلال ولا للفساد، ومع ذلك فانها تتعب تحت مرض الجهل والحقد والكفر وقلّة التقوى وباقي اهواء الخطية، ولكنها تاتي إلى الرب وتلتمس منه عوناً متطلعة إلى رحمته،

---

(٥٧) مزمور ٢٣ عدد ٣

(٥٨) رومية ص ١٢ عدد ٢

(٥٩) متى ص ١٥ عدد ٢٥ مرقص ص ٩ عدد ٢١

وتشتهي ان تنال منه نعمة روحه لأجل فدائها وخلاصها ونجاتها من كل الحقد والهوى الفاسد، أفليس يبادر ويهب فدآ الشفآ عن رضي طبق كلمته[٦٠] إذ قال أفليس ينتقم الله لمختاريه الذين يصرخون إليه نهاراً وليلاً، ثم تقدم وقال[٦١] نعم أقول لكم انه ينتقم لهم سريعاً، وقد أمر في مكان آخر[٦٢] قائلاً اسالوا تعطوا، لأن كل مَن يسال ياخذ، ومَن يطلب يجد، ومَن يقرع يفتح له، وبعد ذلك بقليل[٦٣] قال، فكم بالحري ان اباكم الذي في السموات يُعطي روحاً صالحاً للذين يسالونه، واقول لكم[٦٤] انه ان لم يعطه من أجل انه صديقه فمن أجل لجاجته يقوم ويعطيه ما يحتاج إليه.

فبهذه التعاليم كلها قد نصحنا ان نلتمس منه عطية النعمة بجسارة بلا انقطاع ولا فتور، فانه جاءَ إلى العالم من أجل الخطاة[٦٥] ليرجّعهم إلى نفسه ويشفي المومنين به، فلنتجنب وساوسنا الخبيثة على قدر طاقتنا، ونبغض جميع المقاصد الشريرة وخداع العالم، ونرذل جميع الأفكار الخبيثة الباطلة، ونلتصق به دائماً باقصى طاقتنا، فهو مستعد لاعانتنا، فانهُ من أجل ذلك هو رحيم ومحيي وشافي العلل التي كانت لا دواء لها، ويفتدي الذين يدعونهُ ويرجعون إليه، ويبعدون عقلهم عن الأرض، ويتعلقون به بتامّل واشتياق على قدر استطاعتهم وعن

---

(٦٠) لوقا ص ١٨ عدد ٧

(٦١) لوقا ص ١٨ عد ٨

(٦٢) متى ص ٧ عدد ٧ و٨

(٦٣) متى ص ٧ عدد ١١ قابله بلوقا ص ١١ عدد ١٣

(٦٤) لوقا ص ١١ عدد ٨

(٦٥) متى ص ٩ عدد ١٣

ارادة لهم واختيار، فعلي مثل هذه النفس يسبغ الله عونه بحيث تعتد جميع الأشياء لغواً ولا ترتضي بشي ينتسب إلى هذا العالم، بل تنتظر التنعم والانشراح في راحة رافته، فبعد أن تدرك الموهبة السماوية[٦٦] هكذا بكثرة الايمان، وتكون مُناها أن ترتضي بثقة الايمان التامَّة بواسطة النعمة، وتعبد الروح القدس للزمان المستقبل باتفاقٍ ودوام، وتتقدَّم كل يوم في الصلاح، وتستمرّ في سبيل البَّر، وتلبث غير متزعزعة إلى المنتهى، وغير مشغولة بجانب الحقد، بحيث لا تحزن النعمة الموهوبة لها أبداً، تحسب اهلاً للشركة مع كل القديسين في الخلاص الأبدي، كانها شريكة ورفيقة في آل القداسة بواسطة الاقتدا بهم مدة سلوكها في العالم امين.



العظة الخامسة

في أن بين المسيحيين وبين أهل العالم فرقاً عظيماً. لأن هولاء بحيث لهم روح العالم فهم مربوطون بالسلاسل الدنيوية قلباً ولباً. واما اولئك فيشتهون محبة الاب السماوي ويضعونه هو وحده قدام عيونهم بكثرة اشتياقهم

ان عالم المسيحيين وطريقة حياتهم وعقلهم وخطابهم وعملهم هو شي، وما هو لأهل هذا العالم نظراً للطريقة واللراي وللخطاب وللعمل هو شي

---

(٦٦) عبرانيين ص ٦ عد ٤

اخر، فاولئك شي وهولاء شي اخر، والفرق الذي بين هولاء واوليك عظيم، فان اوليك الذين هم سكان هذه الأرض وابناء هذا العالم يشبهون القمح الذي يُلقي في غربال هذه الأرض بحيث يُقَلَّبون إلى فوق وتحت بمناظرات هذا العالم الغير ثابتة، وفي البحر الهائج بحر الأمور الأرضية والشهوات، واختلاف التصورات الفاحش، ويكون الشيطان في هذا الغربال، (يعني غربال الهموم الأرضية) مغربلاً جنس البشر الخاطي كله، مذ لدن سقط آدم وعصي امر الله، وأصبح تحت سلطة ملك الخبث (كونه تملّك عليه) ومن ذلك الزمان إلى الآن هو مغربل ابناء هذه الحياة ببدع الخداع والسفاهة التي لا نهاية لها، وراميهم على غربال هذه الأرض.

فكما أن القمح يقلبه المغربل من جهة إلى أخرى فيتحرك دائماً ويتصادم فيه، كذلك سلطان الخبث يمسك كل جنس البشر بالهموم الأرضية والسفاهة ويقلبهم بها، ويقلقهم ويحركهم ويجعلهم يصطدمون في التخيلات الباطلة والشهوات الرجسة، فلا يبرح مستاسراً جنس آدم الخاطي وسائقه ومصطاده، كما أخبر الرب الرسل بأن الشيطان لا بدّ من أن يقوم عليهم بقوله قد سال[١] الشيطان ان يغربلكم مثل الحنطة، وانا طلبت من اجلكم ليلا ينقص ايمانكم، لأن الكلام الذي سمعه قايين من خالقه والقصاص الذي جري عليه (وهو ستذهب نائحاً ومرتعداً، وتضطرب على الأرض)، هو رمز وكناية عن جميع الخاطئين

---

(١) لوقا ص ٢٢ عد ٣١ و٣٢

نظراً لحالهم الباطن، لأن نسل آدم لما عصي الأمر وخطيءَ أصبح هكذا ممتلكاً تلك الصورة في الإنسان الخفيّ، بحيث اضطرب بتلاميح الخوف والرعب الدائمة، وكل نوع اضطراب بالشهوات واللذات، على أنواع كثيرة من كل جنس[٢]، لكون اركون هذا العالم يقلّب النفس الغير المولودة من الله كلّ تقليب، ويقلق أفكار جنس البشر بطرائق مختلفة، كما يتغربل القمح في الغربال ويحركهم ويوقعهم في الشرك اجمعين شرك الغرور العالمي وشهوات الجسد ومخاوف الأحزان.

لأن الرب لما بيّن للذين يتبعون خداع الشرير ومشيته في كل حركة، ان عليهم صورة خبث قايين، قال لهم على سبيل التوبيخ، وشهوات ابيكم[٣] تهوون أن تعملوا، ذلك هو من البدء قتال للناس، ولم يثبت على الحق، حتى ان جميع جنس آدم هم حاملون هذا العقاب الخفيّ في باطنهم اينما رحلوا، وهو بالانين والرعدة تُقلَّبون في غربال الأرض بيد الشيطان الذي يغربلكم في شخصكم، فانه كما أن من آدم وحده انتشر جنس البشر كله على الأرض[٤]، كذلك عيب واحد في الأهواء سري في نسل البشر الخاطي، وسلطان الحقد له قدرة كافية على أن يغربلهم اجمعين في التصورات الضالة الفاحشة الباطلة المقلقة، فانه كما ان ريحاً واحداً تكفي لتحريك كافة البقول والزرع أو كما أن ظلام الليل الواحد يعمّ على المسكونة كلها، كذلك رئيس الخبث من حيث

---

(٢) يوحنا ص ١٤ عدد ٣٠

(٣) يوحنا ص ٨ عدد ٤٤

(٤) تكوين ص ٩ عد ١٩

كونه ظلاماً عقلياً للخطيئة والموت من نوع ما، وجنس ريح خفيّ عاصف فانه يموّج جنس البشر كلهم على الأرض ويقودهم[٥] بالأفكار الطائشة، ويطغي قلوب الناس بشهوات العالم[٦]، ويملا كل نفس بظلام الجهل والعمي والسهو ما لم تولد من فوق وتنتقل إلى عالم اخر لُباً وقلباً على ما قيل، لكن معاشرتنا في السماء[٧].

فبهذا يتميز المسيحيون بالحق من باقي جنس البشر كله، والفرق الذي بينهم عظيم جداً كما قلنا سابقاً، لأن قلبهم ولبهم هما دائماً مشغولان بالأفكار السموية، وبواسطة حضور الروح القدس وشركته ينظرون الخيرات الأبدية كما في مرآة، لكونهم يولدون من الله من العلي، ويحسبون أهلاً لأن يصيروا بنين لله بالحق والقوة، ويَصِلون بعد حروب واتعاب وأزمنة كثيرة إلى حالٍ مقرّر ثابت، وحرّية من الحزن، وراحة تامَّة، فلا يعودون إلى التغربل ولا يتموّجون في الأفكار الطايشة الباطلة، فبهذا يُعظَّمون ويُفضّلون على العالم بسبب أن عقلهم وشهوة نفسهم هي في سلام المسيح ومحبة الروح، كما قال الرب في كلامهِ عن هذه المواد، انهم انتقلوا من الموت إلى الحياة[٨]، فالتغيير المخصوص بالمسيحي إذاً ليس هو في الأساليب والأشكال الخارجة، كما يظن الكثيرون ان هذا هو الفرق بين العالم وبينهم، يعني في أساليبهم وأشكالهم، والحال ان في لبهم وفكرهم يشبهون العالم بحيث يشعرون بقلق الأفكار ذلك ذاته وطيشها، وقلة الايمان، وبالحيرة والاختلاط والخوف

---

(٥) افسس ص ٤ عدد ١٤

(٦) يوحنا الاولي ص ٢ عد ١٦ طيطس ٢ عدد ١٦

(٧) فيلبسيوس ص ٣ عد ٢٠

(٨) يوحنا ص ٥ عد ٢٤

مع كل جنس البشر، واما في الشبه والمنظر، والتكليف الظاهر في السيرة، فانهم يفترقون حقاً من العالم، وفي قلبهم ولبهم هم مربوطون بالاغلال الارضية، لكونهم لن يمتلكوا الراحة التي من الله، وسلام الروح السماوي في القلب، لأنهم لم يطلبوهما من الله، ولم يكن لهم ايمان يؤهّلهم لهما.

وانما بتجديد العقل[٩] وسلام الأفكار[١٠] ومحبة الرب[١١] السموية تتميز خلقة المسيحيين الجديدة[١٢] من باقي البشر، ولذلك حدث مجي الرب لهذه الغاية، لكي يصيّر المومنين به حقاً اهلاً لتلك الخيرات الروحانية، لأن مجد المسيحيين وجمالهم ومالهم مما لا يوصف وهي انما تُشترى بالكد والتعب والمحن وكثرة المصادمات فقط، ولكن الكل يختص بنعمة الله.

فان كان منظر ملك ارضي يشتهيه كل الناس، وكل ساكن في مدينة الملك يودّ فقط لو يري جماله، أو حسن حلله، أو بهاء ارجوانه وجمال لآلئه العديدة، ولمعان تاجه البهيّ، وعزّ حشمه الشرفاء، (الاّ الروحانيين فانهم يعاينون هذه الأشياء كانها كلا شي، لكونهم بخبرتهم يكونون قد عرفوا مجداً آخر سماوياً غير هيولاني، وانجرحوا بجمالٍ آخر[١٣] لا يوصف، واقتنوا نوعاً آخر من الأموال، وتيقظت عقولهم[١٤] في الإنسان الباطن ونالت روحاً اخر)، أقول ثانياً ان كان أهل هذا العالم الذين لهم روح

---

(٩) رومية ص ١٢ عدد ٣

(١٠) فيلبسيوس ص ٤ عد ٧

(١١) افسس ص ٣ عد ١٩

(١٢) ثاني قورنثية ص ٥ عد ١٧

(١٣) مزمور ٤٥ عدد ٣ و٢٧ عدد ٤

(١٤) عبرانيين ص ٥ عدد ١٤

العالم يشتهون جداً أن ينظروا مَلكاً ارضياً لما لهُ من العزّ والبهاء فقط، (فانه كما أن نصيبهُ في هذه الخيرات المنظورة أعظم من غيره من الناس، كذلك نظره هو مجيد مشتهي في أعين الكل، حتى ان كل واحد يتمنّى في نفسه سراً ويقول، يا ليت أحداً يُعطيني ذلك الفخر والحُسن والعزّ، ويعتدّ الملك سعيداً مع انه مثله من الأرض، وذو شهوات مثله، ومائت أيضاً، ولكنه يُحسَد على الحُسن والمجد اللايق المزيَّن هو به لزمن ما)، وأقول أيضاً ان كان الجسدانيون من البشر يشتهون مجد مَلك ارضي بهذا المقدار، فكم بالحري اولئك الذين تساقط عليهم ندي(١٥) روح الحياة، أي ندي اللاهوت فجرح قلوبهم بحب الهي للمسيح الملك السماوي، وارتبطوا في ذلك الجمال والمجد الفايق الوصف، والحسن العديم الفساد، والأموال التي لا تحصى، أموال المسيح الملك الحقاني الأبدي الذي استُعبدوا هم لاشتهايه وزيادة الشوق إليه، إذ يميلون إليه بكليتهم ويشتهون نوال تلك الخيرات العديمة الوصف، التي يرونها فعلاً كما في مرآة، ومن أجله يعتدون كل جمال الملوك والسلاطين ومحاسنهم وفخرهم وكراماتهم وأموالهم كلا شي البتة.

لأنهم مجروحون بالجمال الإلهي، وقطرت في نفوسهم حياة الخلود السموي، ولذلك كان شهوتهم متوجهة نحو محبة الملك السموي، وحيث قد ينصبونه هو وحده قدام عيونهم بكثرة حبهم، فمن أجله يحلّون نفوسهم من كل محبة العالم، ويتبعدون عن كل مانع أرضي، حتى يمكنهم بذلك أن يصونوا تلك الشهوة وحدها في قلوبهم دائماً،

---

(١٥) مزمور ٧٢ عدد ٦ واشعيا ص ٤٥ عدد ٨

وقد يخبرنا الرسول بما يجب علينا اقتناوه في هذه الكلمات وهي قوله[١٦]، قد نعلم انه وان كان بيتنا الأرضي بيت هذا المسكن ينتقض، فان لنا بناء من الله بيتاً لم تصنعه الايدي أبدياً في السموات.

فسبيل كل واحد إذاً ان يجتهد ويسعى في كل نوع فضيلة، ويعتقد ان بذلك نقتني البيت المذكور، فانه ان كان بيت الجسد ينتقض، فليس لنا بيت آخر تدخل النفس فيه، قال الرسول[١٧] ان كان نوجد لابسين لا عراة، يعني مجرَّدين من شركة الروح القدس وعشرته، الذي فيه وحده تجد النفس المومنة راحة، ولهذا الدَّاعي يتشجع المسيحيون بالحق والقوة، ويفرحون عند خروجهم من الجسد لأن لهم ذلك البيت الذي لم تصنعه الأيدي[١٨] وهو قوة الروح الحال فيهم، فان نُقض إذاً بيت الجسد فلا يخافون، لأن لهم البيت السموي بيت الروح والمجد[١٩] الذي لا يفسد، وهذا المجد سوف يبني بيت الجسد في يوم القيامة ويمجده كما قال الرسول[٢٠]، ان ذلك الذي أقام يسوع المسيح من بين الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الحال فيكم، وقال أيضاً[٢١] لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت، ثم قال[٢٢] ليبتلع الموت بالحياة.

فلنسعَ إذاً من الان فصاعداً بالايمان وفضل السيرة في أن نقتني

---

(١٦) ثاني قورنثية ص ٥ عدد ١

(١٧) ثاني قورنثية ص ٥ عد ٣

(١٨) أول قورنثية ص ١٥ عد ٥٠

(١٩) أول قورنثية ص ١٥ عد ٤٢ و٤٣

(٢٠) رومية ص ٨ عدد ١٤

(٢١) ثاني قورنثية ص ٤ عد ١٠

(٢٢) ثاني قورنثية ص ٥ عد ٤

ذلك اللباس، حتى إذا عاد إلينا الجسد لا نوجد عرايا، ولا يحتاج جسدنا ذلك اليوم إلى شي يمجده، لأن كل أحد بموجب ما يُحسَب اهلاً لشركة الروح القدس بالايمان والاجتهاد، بقدر ذلك يتمجد جسده في ذلك اليوم، لأن كل ما خزنتهُ النفس في باطنها في هذه الحياة الحاضرة سوف يُعلن يومئذٍ ويُكشف في الجسد من خارج.

وكما أن الأشجار بعد أن يجوز عليها الشتا تفعل فيها قوة الشمس والرياح الغير المنظورة، فتنشي من باطنها ورقاً وزهوراً ثم ثمرة كملبوس لها، وأيضاً كما أن زهور العشب تخرج من قاع الأرض فتتغطى الأرض بها وتكتسي، ويكون العشب كالسوسن الذي قال عنه الرب، انه ولا سليمان كان يلبس في كل مجده كواحدة منها[٢٣]، (لان جميع هذه هي رموز وعبارات وأمثال عن المسيحيين في القيامة)، كذلك كل النفوس التي تحب الله، يعني جميع المسيحيين أول شهورهم شهر نيسان الذي هو يوم القيامة، فبفاعلية شمس البرّ[٢٤] يخرج مجد الروح القدس فيستر أجساد القديسين ويصونها[٢٥]، بعد أن يكون هذا المجد في الأول مخفياً في نفوسهم، لأن كل ما للنفس الان سوف يظهر في الجسد ذلك اليوم.

فهذا الشهر إذاً كما قلت هو أول شهور السنة، وقد يجلب الفرح على الخليقة كلها، فانه يكسو الأشجار العريانة ويُفتح الأرض ويبهج جميع الخلايق الحيّة، ويتبسّم للكل، فهذا هو أول شهور المسيحيين ويُقال له نيسان،

---

(٢٣) متى ص ٦ عدد ٢٩

(٢٤) ملاخيا ص ٤ عدد ٢

(٢٥) اشعيا ص ٤ عدد ٥

وهو زمان القيامة الذي تتمجد فيهِ أجسادهم بذلك النور الفائق الوصف الذي هو فيهم من هذه الدقيقة عينها، أعني بهِ قوة الروح التي سوف تكون وقتئذٍ كساءً لهم واكلاً وشرباً وبهجة وفرحاً وسلاماً وحلة وحياة ابدية، لأن روح اللاهوت ذلك الذي يحسبون في هذه الحياة الحاضرة أهلاً لقبوله يصير لمعان البهاء العام بعينهِ والجمال السموي عليهم.

فكم يجب على كل منا إذاً أن يومن ويجتهد ويجدّ في كل سيرة فاضلة(٢٦) ويصبر بالايمان وطول الاناة لكي نحسب في هذا العالم اهلاً لنوال القوة التي من السماء، ومجد الروح القدس في النفس من داخل حتى إذا انحلّت أجسادنا يكون عندنا ما يسترنا ويحيينا، قال الرسول(٢٧) ان كان هكذا نوجد لابسين لا عراة، ثم قال(٢٨) انه يحيي أجسادنا المائتة بروحه الحال فينا، لأن موسى ذا الذكر المبارك قد أرنا رمزاً (بمجد الروح(٢٩) الذي بقي علي وجهه ولم يمكن لأحد أن يبصر فيه)، وكمثل ذلك تتمجد أجسادنا القديسين في قيامة الأبرار، وهذا المجد عينه تحسب النفوس القديسة الأمينة أهلاً لاقتنائه في الإنسان الباطن من داخل حتى في هذه الحياة الحاضرة، لأن الرسول قال(٣٠) اننا نحن جميعاً ننظر إلى مجد الرب بوجوه مسفرة فنتحوّل إلى ذلك الشبه من مجد إلى مجد، وكذلك كُتب انه ظل أربعين يوماً وأربعين ليلة لم ياكل خبزاً ولم

---

(٢٦) ثاني بطرس ص ٣ عدد ١١
(٢٧) ثاني قورنثية ص ٥ عدد ٣
(٢٨) رومية ص ٨ عدد ١١
(٢٩) ثاني قورنثية ص ٣ عدد ٧
(٣٠) ثاني قورنثية ص ٣ عدد ١٨

يشرب ماءً[٣١]، ولكنه لم يمكنه من طبيعة جسده أن يعيش هذه المدة إلاّ ان كان قد أكل نوعاً ما من الطعام روحانياً، وهذا الطعام قد تناله نفوس القديسين من الروح من هذا الوقت باسلوب لا ينظر.

ان موسى المبارك رمز بطريقتين إلى نوع المجد الذي يكون لجميع المسيحيين الحقيقيين في القيامة، أعين مجد النور، ونقاوة الروح العقلية التي تُمنح لهم من هذا الان عينه باسلوب خفيّ، فمن ثم يظهر ذلك في جسدكم أيضاً، لأن المجد الذي يحرزه القديسون الان في نفوسهم هو بعينه يستر أجسادكم العرايا كما قلنا آنفاً ويكسوها ويختطفها إلى السماء، فنستريح هناك مع الرب في ملكوته جسداً ونفساً إلى الأبد، فانه لمَّا خلق الله آدم لم يجعل له أجنحة جسدية كطيور السماء، بل قصد لهُ في الأصل أجنحة الروح القدس يعين تلك التي جزم بأن يعطيها له في القيامة لتصيره خفيفاً وتحمله إلى حيث يشاء الروح، وهذه الأجنحة قد تحسب نفوس القديسين أهلاً لنوالها الآن بحيث تطير في عقولها إلى الحكمة السماوية، لأن عالم المسيحيين هو شيء اخر بكليته، وهناك فيه مائدة اخري، ونوع اخر من الملبوس، ومن التنعم، وشركة أخرى، ونظاماً اخر من الأفكار، ولذلك كانوا هم أيضاً افضل من باقي جنس البشر كله، وقد يُحسَبُون أهلاً لنوال فضائل هذه الأشياء الان في نفوسهم بالروح القدس فلذلك تُحسَب الأجساد أيضاً في القيامة أهلاً لتلك الخيرات التي هي للروح، وتختلط بذلك المجد الذي اختبرته نفوسها في هذه الحياة اختباراً أكيداً.

---

(٣١) خروج ص ٣٤ عدد ٢٨

فيجب إذاً على كل منا أن يصدُق الجدّ والاجتهاد ولا يقصّر في الفضيلة، وان يومن ويطلبها من الرب، لكي يصير الإنسان الباطن منه شريكاً في المجد في هذه الحياة الحاضرة، وتكون للنفس شركة(٣٢) في قداسة الروح، حتى إذا تطهرنا من دنس الخطية† يكون لنا يوم القيامة ما نستتر به عري أجسادنا عند قيامها ونغطي به عيوبنا ويحيينا ويريحنا في ملكوت السموات إلى الأبد، لأن المسيح سوف ينزل من السماء(٣٣)، ويقيم نسل آدم كله إلى الحياة حتى الذين رقدوا من بدء العالم على ما في الكتب المقدسة، ثم يقسمهم جميعاً إلى قسمين، فالذين تكون عليهم علامته يعني ختم الروح يدعوهم خاصتهُ ويقيمهم عن يمينه(٣٤)، كما قال ان خرافي تسمع صوتي وانا أعرفها وهي تعرفني(٣٥)، وحينيذٍ يحف أجسادَ هولاء مجدٌ إلهي من أعمالهم الصالحة(٣٦)، فيمتلئون من مجد الروح الذي كان في نفوسهم في العالم، حتى إذا تمجدنا هكذا بالنور الإلهي واختُطفنا لنلاقي الرب في الهواء(٣٧) كما كُتب نكون مع الرب في كل حينٍ، فنملك جميعاً معه إلى دهر الدهور بلا نهاية، امين

---

(٣٢) أول يوحنا ص ١ عد ٣

(٣٣) اول تسالونيقيه ص ٤

(٣٤) متى ص ٢٥ عدد ٣٢ و٣٣

(٣٥) يوحنا ص ١٠ عد ١٤ و٢٧ أول قورنثية ص ١٣ عد ١٢

(٣٦) متى ص ٥ عدد ١٦ قابله بالرويا ص ١٩ عدد ٨

(٣٧) أول تسالونيقيه ص ٤ عدد ١٧

† في نسخة الخط تذكر لفظة دنس بصيغة الجمع فان كانت هي القرآة الصحيحة فلعل المراد بها نجاسة الروح والنفس والجسد الخصوصية الناشية عن شهوات الجسد وشهوات العين وفخر العمر. قابل أول يوحنا ص ٢ عدد ١٦. باول تسالونيقية ص ٥ عدد ٢٣

العظة السَّادسَة

في أن الذين يريدون ارضاء الله يجب عليهم أن يقدموا صلواتهم بهدوّ وسكوت ووداعة وحكمة. لئلا إذا خلطوا وضجوا يغيظوا الجميع. وهذه العظة تتضمن مسئلتين. الأولى عن الكراسي الملوكية والتيجان هل هي خلايق ام لا. والثانية عن كراسي اسرائيل الاثني عشر

ان الذين ياتون إلى الرب يجب عليهم أن يقدموا صلواتهم بالسكوت والهدوّ والصمت الكامل، لا باللغط الفاحش المشوش، بل يصبروا للرب بتلهف قلب وأفكار عفةٍ، وكما انه في حال العلل الرديئة حين يُغصَب العليل إلى الكيّ ويكون في يد الجرّاح يتحمل الألم بتجلّد وصبر، بحيث يحفظ نفسهُ تحت الضبط بدون قلق أو اضطراب على انه قد يوجد كثيرون تكون هذه الحالة الموجعة حالتهم، وبينما يُكوَون أو يكونون تحت عمل الجراح يضجّون ضجّا قبيحاً، والحال ان الألم واحد سواء في الصارخ أو في الذي لا يصرخ، وسواء في القَلِق أو في الهادي، فكذلك الاحزان والشدائد قد تلمّ ببعض فيتحملونها بتجلد بحيث يحصرون عقولهم داخل حدود البصيرة، ولكن اخرين تحدث لهم مثل هذه الشدة ولا يتحملونها برزانة طبع، فيقدمون صلواتهم بصراخ وجلبة، فيغتاظ من ذلك كل السامعين، وهناك آخرون لا يكونون في قلق البتة، ولكن على سبيل الافتخار والاستغراب يصرخون صراخاً مزعجاً كانهم يحبّبون الله فيهم بذلك.

الاّ انه لا يسوغ لأحد من عبيد الله أن يكون في مثل هذا التخليط العظيم، بل ينبغي أن يكون ذا دِعَةٍ وحكمة، كما شرح ذلك النبي بقولهِ[١] لمن انظر الاّ إلى المسكين والمنسحق الروح والخاشي لكلامي، وفي أيام موسى[٢] وايليا لما كان يظهر الله ويصحبه جمع الأبواق والقوات قدام عزّته، كان حضور الرب يتميز بينهم ويظهر بهدوّ وسكون وراحة، لأن الكتاب يقول[٣] وإذا بصوت هوالين كان فيه الرب، فقد ظهر إذاً ان راحة الرب هي في هدوّ وسكون، فانه كما ان الأساس هو الذي يضعه الإنسان والمبتدا هو الذي يصنعه كذلك قد يبقي إلى المنتهى، فان شرع في صلاته أولاً بتشكّ باطل وصراخ، فانه يستمر في هذه العادة إلى المنتهى، ومع ذلك فان الربّ من حبّه للبشر يهب عونه لهذا الشخص، فلذلك قد استمرّ هولاءِ بجرأة النعمة في تلك العادة عينها إلى المنتهي، ولكنه يتضح ان هذا فعل الحمقى بسبب انهم يجلبون الخزي على الغير، فيكونون هم أنفسهم في تشويش عظيم عنه الصلوة.

انما أساس الصلاة الصحيح هو ان نحرس أفكارنا ونقدّم صلاتنا بهدوّ وسكون، حتى لا يغتاط أحد ولا الذين هم في الخارج، لأن هذا الشخص ان نال نعمة الله والكمال فانه يقدم صلواته كلها بهدوّ ويتهذّب به كثير غيره، لأن الله ليس للفرقة بل للسلام[٤]، وامّا الذين

---

(١) اشعيا ص ٦٦ عدد ٢

(٢) خروج ص ١٩ عدد ١٦ ثالث الملوك ص ١٩ عدد ١١ و١٢

(٣) كذلك

(٤) أول قورنثية ص ١٤ عد ٣٣

يصرّخون فانهم يشبهون رُؤَساء مقدم السفينة، من جهة انهم لا يمكنهم أن يصلوا في كل مكان، لا في الكنائس، ولا في القري، الاّ ان كان في البراري بموجب ارادتهم، ولكن الذين يصلون بهدوّ يصلحون الجميع في كل مكان، فانه يقتضي ان يكون حرص الإنسان كله على أفكاره وعلى قطع مادة الوساوس الخبيثة التي تحجزها، وعلى اجتهاده نحو الله بدون أن يتبع ميل أفكاره[٥]، بل يردّها من كل ناحية بعد ضلالها، ويميز بين الطبيعية والشريرة، لان النفس التي هي تحت الخطية[٦] تشبه بالأكثر غابة كبيرة على جبل، أو قصباً في النهر، غابة شوك، أو غياضا، فالذين يرومون إذاً أن يحوزوا من ذلك المحلّ يقتضي أن يرفعوا أيديهم ويجتهدوا بهمّة في دفع الخشب المحيط بهم، وقد توجد أيضاً غابة أفكار تحيط بالعقل من القوات المخالفة، فيلزم حينئذ الأخذ في الانتباه والجدّ الكثير لأجل معرفة أفكار القوة المعادية، لانه قد يكون واحد يثق بقوتهِ فيظن انه يمكنه قطع الجبال المحيطة به من تلقاء نفسه، واخر يضبط عقله بهدوّ وتبصّر فينهي شغله على بُعد بدون أن يتعب نفسه البتة، وهكذا هي أيضاً مادة الصلوات، فان بعضاً يلغطون فيها لغطا غير لايق كانهم يعتمدون على شدة الجسد دون أن يتاملوا تيهان أفكارهم، بل يخالوا ان الشغل يتمم حسناً بقوّتهم، واخرون غيرهم ينتبهون لافكارهم وينهون الجهاد الباطن كله، وبفهمهم ومعرفتهم يقدرون ان يعدلوا وينفوا فِتَن افكارهم ويسعوا حسب إرادة الرب، والرسول يعرفنا أيضاً ان الناطق باللسان انما يصلح نفسه

(٥) امثال ص ٢٣ عدد ٤
(٦) رومية ص ٧ عدد ١٤

خاصةً، والذي يتنبّا يصلح جماعة الله، وان مَن يتنبا أفضل ممن يتكلم بالالسن[٧]، فكل واحد يختار أن يصلح غيره ويُحسَب أهلاً لملكوت السموات،

سوال ان بعضاً يقولون لنا ان الكراسي والتيجان هي خلايق لا أرواح، فكيف يجب علينا أن نفهم ذلك.

جواب ان كرسي اللاهوت هو عقلنا، وكرسي العقل هو اللاهوت والروح، ولكن ابليس بعينه ووُلاة الظلمة وروساءها من مخالفة الوصية جلسوا في كلٍّ من قلب ادم وعقله وجسده كانه كرسي لهم مخصوص ولهذا الداعي عينه جاء الرب واتخذ من العذرا جسداً، لأنه لو كان شاء النزول إلينا باللاهوت فقط فمَن كان يقدر أن يتحمّل هذا، الاَّ انه عاشر جنس البشر بواسطة الجسد، ولذلك ازال أرواح الخبث التي كانت اتخذت لها محالّ ومواطن في الجسد من كراسي العقل والأفكار التي كان فيها تصرّفها، والرب طهّر النية[٨]، وصيّر العقل والأفكار والجسد كرسياً له،

سوال ما هو معنى قوله انكم تجلسون على اثني عشر كرسياً وتدينون الاثني عشر سبط اسرائيل[٩]،

الجواب انّا نجد ان هذا قد حدث فعلاً على الأرض بعد أن اُصعد المسيح إلى السماء، لأنه أرسل الروح المعزّي على الاثني عشر رسولاً، والقوة الإلهية التي هبطت ضربت سرادقها وجلست على كراسي عقولهم، ولكن من حيث ان الواقفين قالوا ان هولاء امتلاوا سلافة[١٠]،

---

(٧) اول قورنثية ص ١٤ عد ٤ و٥

(٨) عبرانيين ص ٩ عدد ١٤

(٩) متى ص ١٩ عدد ٢٨

(١٠) ابركسيس ص ٢ عدد ١٣

أخذ بطرس يحُقّهم متكلماً عن يسوع فقال[١١]، انه رجل قوي في الأقوال والمعجزات وانتم صلبتموه وعلقتموه على خشبة، وها هو يفعل العجائب هناك أيضاً، فانه يكسر حجارة القبر ويقيم الموتى، لأنه مكتوب[١٢] ويكون في الأيام الأخيرة يقول الرب، اني اسكب من روحي على كل ذي لحم ويتنبّا بنوكم وبناتكم، فتعلَّم كثير من بطرس وتابوا[١٣] حتى أصبح العالم جديداً صفيّ الله.

فقد ترون كيف ظهر مبتدا الدينونة لأن هناك ظهر العالم جديداً، وهكذا اعطوا سلطاناً للجلوس واجرآ الدينونة في هذا العالم، بل سوف يجلسون ثانياً ويدينون عند مجي الرب في قيامة الأموات، وقد يحدث ذلك هنا أيضاً، بحيث يجلس الروح القدس على كرسي عقولهم.

وكذلك التيجان التي تُعطي للمسيحيين يومئذ هي غير مخلوقة، والذين يقولون ذلك هم مخطيئون، انما الروح المتغير[١٤] يبيّن هذه الاشياء، وماذا قاله الرسول بولس عن اورشليم السموية انها امّ جميعنا[١٥] وبها نتفق، واما عن اللباس الذي يلبسه المسيحيون فالروح نفسه يلبسهم اياه باسم الاب والابن والروح القدس، امين

---

(١١) ابركسيس ص ٢ عدد ٢٢

(١٢) يويل ص ٢ عدد ٢٨ ابركسيس ص ٢ عد ١٧

(١٣) ابركسيس ص ٢ عدد ٣٧ ــ ٤١

(١٤) رومية ص ١٢ عد ٢ ثاني قورنثية ص ٣ عدد ١٨

(١٥) غلاطية ص ٤ عد ٢٦

العظة السَّابعَة

في احسان المسيح نحو الإنسان. وفي هذه العظة أيضاً بعض سوالات وجوابات تكاد أن تكون من الباطل العبث

كما انا نفرض ان إنساناً يدخل قصراً ملوكياً ويعاين ما فيه من الصور التي تدلّ على حوادث جرت ومن الأثاث البهي، والكنوز الموضوعة في مكان، واشيا اخر مختلفة في مكان اخر، ثم يُجْلَس مع الملك على السماط، ويُرصّ قدامه أطيب الماكولات والمشروبات، وينشرح في كل نوع بالمناظر والزينات، وبعد كل هذا يُطرد من هناك ويُلقي في محلات قذرة، أو كما ان احدى العذارى تفوق بقية جنسها بجمالها وحكمتها وجاهها، الاَّ انها تتزوج برجل من السفلة دني قبيح متردّ بالخرق فتنزع عنه الثياب الدنسة[١] وتلبسه حلة ملوكية، وتضع على راسه تاجاً، وتصير له زوجة، فياخذ المسكين في التعجب والانذهال، ويقول هل لي انا الصعلوك المسكين الدني البائس ان احوز هذه الزوجة، كذلك الله نفسه[٢] فعل هكذا بالإنسان الشقي المسكين، فانه جعله يذوق عالماً اخر[٣] ونوع طعام اخر زائد اللذة، وقد اراه المجد والعز الملوكي الذي يفوق كل وصف، أي الذي في السماء، فاخيراً عند ما يقابل الروحانيات بالدنيويات فانه يترك هذه جميعها،

---

(١) زخريا ص ٣ عد ٣ ــ ٥
(٢) حزقيال ص ١٦ عدد ١
(٣) عبرانيين ص ٦ عدد ٥

سواء كان ما ينظره مَلِكاً، أو اشرافاً، أو حكماً، ولا تنصرف عيناه عن الكنز السموي، لأنه نال من الله من حيث انه تعالى محبة(٤) نارَ المسيح السموية الالهية، وهو في راحة وفرح، وهناك هو ثابت.

سوال هل الشيطان حاضر مع الله في الهواء أو بين الناس

جواب إذا اضات الشمس المخلوقة على الأماكن الكثيرة الورطات فباي شي تضرر، فلا يُنكَر ان يحضر الكائن الأزلي مع الشيطان فلا يتدنس ولا يتنجس، ولكنه آذِن للشرير في أن يكون تجربة للبشر، ولكن هذا الشرير يظلم ويعمي فلا يمكنه التطلع إلى طهارة الله ونقاوته، واما ان قال أحد ان الشيطان له مكان مختص به والله له اخر، فانه يجعل الله محصوراً لبُعد المملكة التي يسكن فيها الخبيث، الاَّ اننا نقول يقيناً ان الخير لا يُحصَر ولا يُدرك، وكل الأشياء مشمولة فيه، ومع ذلك فلا يتدنس الخير بالشر وكيف ذلك، الكون السموات والشمس والجبال كائنة في الله ووجودها به(٥) يقضي بانها هي آلهة أيضاً، كلاّ، بل المخلوقات تنحصر في نظامها، والخالق وحده الحاضر مع خلائقه هو الله.

سوال حيث ان الخطيئة تتخذ شبه ملك النور وتقارب صورة النعمة، فكيف يقدر الإنسان أن يعرف حيل الشيطان، ومتى يتمسك بفعل النعمة ويميزها.

جواب كل ما كان من النعمة يتبعه فرح(٦) وسلام ومحبة وحق، والحق ذاته يحث الإنسان على طلب الحق، واما أشباه الخطية فهي

---

(٤) أول يوحنا ص ٤ عدد ١٦

(٥) ثاني بطرس ص ٣ عدد ٥

(٦) غلاطية ص ٥ عدد ٢٢ و٢٣

مختلفة وليس فيها شي من المحبة والفرح نحو الله، وكما أن الهندبا تشبه الخس، والحال ان هذا حلو وهاتيك مرّة، كذلك في النعمة شبه الحق، وجوهر الحق ذاته كضياء الشمس مثلاً وجرماً، فان ضيأها يظهر بنوع، والنور الكامن في جرمها بنوع اخر، وكذلك القنديل ينور البيت، الاّ ان الضياء الموزَّع في كل مكان شي، والنور الابهى الانقى في جرم القنديل شي آخر، هكذا هي أشياء النعمة حين يلمحها الإنسان على بُعدٍ، ويفرح بنظرها، ولكنه يتغير ويصير شخصاً اخر بكليته حين تدخله القوة الالهية، وتمسك باعضائه كلها وقلبه، وتستاسر لُبَّه لمحبة الله، انهم لما أخذوا بطرس واودعوه السجن(٧) بينما كان محصوراً داخله اتاه ملَك الرب وكسر اغلاله واخرجه، ولكنه لما كان ذا حميّة ظن انه راي رويا.

سوال لكن كيف يسقط الذين تفعل فيهم نعمة الله.

جواب ان أفكارنا مهما كانت نقية ففي طبيعتها تنحطّ وتسقط، لأن الإنسان ما يتشامخ ويوبخ غيره ويقول انت خاطي(٨) الاَّ ليحسب نفسه باراً، اَلاَ تعلم ما قال بولس(٩) اني لئلا استكبر اُعطيت منخس جسدي ملاك الشيطان لكي يلطمني، لأن الطبيعة النقية ذاتها لا يبرح منها الميل إلى التشامخ.

سوال هل يستطيع الإنسان أن يري نفسه بواسطة النور، فان بعضاً ينفون الوحي ويوكدون ان الرويا انما هي بالمعرفة والعقل.

---

(٧) ابركسيس ص ١٢ عدد ٤ و٥ و٧ و٩

(٨) يوحنا ص ٩ عدد ٣٤ لوقا ص ١٨ عدد ٧

(٩) ثاني قورنثية ص ١٢ عد ٧

جواب قد يوجد عقل ورويا واستنارة، والذي فيه استنارة هو أعظم ممن له عقل، لأن لبه يستنير بحيث ينال نصيباً أعظم ممن له عقل، لكونه اختبر ثقة الرؤَى التامة، ولكن الوحي هو شي آخر، فان به تتكشف للنفس أشياء الله وسرائره.

سوال هل يرى الإنسان النفس بالوحي والنور الإلهي.

جواب مثلما تنظر عيوننا الشمس كذلك المستنيرون يعاينون صورة النفس، ولكن قليلاً من المسيحيين يرون هذه الأشياء.

سوال هل النفس لها شكل ما.

جواب ان لها صورة مَلَك وشبهه، وكما أن الملئكة لها صورة وشكل، وكما أن الإنسان الخارجي له صورة، كذلك الإنسان الباطن له صورة كملَك وشكل بمقابلة الإنسان الخارجي.

سوال هل العقل شيء والنفس شيء آخر.

جواب كما ان أعضاءَ الجسد الكثيرة تدعي إنساناً واحداً، كذلك اركان النفس كثيرة وهي العقل والنية والإرادة والأفكار والشاكية[١٠] والعاذرة وجميع هذه مشمولة في راي الفكر العام، وهي أعضاء النفس، واما النفس فواحدة وهي الإنسان الباطن ولكن كما ان الأعين الظاهرة تكشف قدامها الأشواك والمهاوي والحفر على بُعدٍ، كذلك العقل لسرعة ادراكه ينظر جميع حيَل القوة المعادية ومقاصدها، ويسبق فيحصن النفس، فلنُعِد الحمد للاب وللابن وللروح القدس إلى ابد الابدين امين.

---

(١٠) رومية ص ٢ عدد ١٥

العظَة الثامنَة

في الاشيا التي تعرض للمسيحيين في وقت الصلاة وعن درجات الكمال.

يعني ان كان يمكن للمسيحيين أن يدركوا تلك الحالة الكاملة

قد يدخل الانسان ويركع ويمتلي قلبه قوة الهية وتفرح نفسه مع الرب كما تفرح العروس مع عريسها، على قول اشعيا[١] ويفرح العريس بالعروس ويفرح بك الهك، ويتفق حينئذ ان هذا الشخص الذي يكون مشغولاً النهار كله يخصّص نفسه للصلاة ساعة معينة، ويُخطَف الإنسان الباطن إلى كثرة تعبد في عمق العالم الذي لا قرار له بحلاوة هذا مقدارها، حتى ان عقله كله يتغرّب إذ يُرفَع ويُنقَل من هناك، ومدة ذلك الوقت تمتدّ سحابة ذهول على أفكاره عن الحكمة الأرضية، بسبب ان ذهنه يمتلي أشياء الهية سموية لا نهاية لها ولا تُدرك، أشياء أكيدة عجيبة لا يمكن وصفها بفم انسان، حتى ان كل ما يصليه ويقوله وقتئذ انما معناه يا ليت نفسي تخرج مع صلاتي.

سوال هل في كل الأوقات يتعَمق الإنسان في تلك الأشياء.

جواب ان النعمة هي حاضرة بلا انقطاع، وقد تاصَّلت وامتزجت فينا من أول عمرنا وكانها صارت طبيعية ومخلوطة فينا، فانها تحضر في الإنسان بكفاية زائدة، حتى تصير معه كانهما جسم واحد، الاَّ انها ترشد

---

(١) اشعيا ص ٦٢ عدد ٥

الإنسان إلى خيرة بطرائق متنوعة على ما تشاؤه هي وكما أن النار تارة، تضطرم بشدة زائدة وتارة تخف وتخمد، كذلك النور عينه تارة ينير بلهيب زائد، وتارة تخف النار منه، وهذا القنديل عينه (قنديل النعمة) الدائم الانارة والاضاءَة، كلما توهّج زاد التهاباً بانصباب محبة الله الخارق العادة، ثم يُمنَح بمقدار، ثم يظلم النور لحاضر.

وما عدا ذلك فقد ظهرت بواسطة النور علامة الصليب لبعض، وقد أُوثِق ذلك أيضاً في الإنسان الباطن، وفي وقت غيره كان بإنسان ذهول في وسط الصلاة، ووجد واقفاً عند المذبح في الكنيسة فجيء له بثلاثة ارغفة مخمّرة بزيت[٢]، وكان كلما اكل ازداد له الخبز وكثر، وكان مرة اخرى ثوب نور[٣]، ليس على الأرض مثيله في هذه الحياة، ولا تقدر أن تصنعه ايدي البشر[٤] لأنه كما ان الرب صعد إلى الجبل مع يوحنا وبطرس وغيّر لباسه وجعله يظهر كالبرق، كذلك كان ذلك الثوب، والإنسان الذي لبسه استغربه واندهل منه، وفي وقت اخر كشف النورُ الذي كان منيراً في قلبه، نوراً غيره زائد التعمق والتداخل والاختفآ، حتى ان الإنسان كله لمَّا صار غارقاً في تلك الحلاوة والتامّل لم يعد يضبط نفسه، بل كان لهذا العالم كأحمق وجاهل بسبب الحلاوة والمحبة الجايزة الحدّ، والسراير المختفية، حتى لمّا يصير الشخص وقتئذٍ في حرية يدرك درجات من الكمال هذا مقدارها، حتى يصير نقياً حراً من الخطية، ولكن بعد هذا كله تمنعت عنه هذه النعمة كلها، وغشيه

---

(٢) احبار ص ٢ عدد ٤ وص ٧ عدد ١٢ العدد ص ٦ عدد ١٥

(٣) متى ص ٩ عدد ٣

(٤) مرقص ص ٩ عدد ٣

غشاء القوة المعادية، ولكنها أي النعمة يظهر جزء منها، ويصير هو في احدى درجات الكمال السفلي.

فعلى هذا نقول ان الإنسان سبيله ان يعلو اثنتي عشرة درجة متتابعة ويصل إلى الكمال، وقد يصل المرء مع الزمان إلى تلك الدرجة وياتي إلى الكمال، واحياناً ترتخى النعمة عنه فينزل درجة إلى أسفل ويقف على الاحدى عشرة درجة، واما الغني بالنعمة فلا يبرح في كل حين ليلاً ونهاراً في حال الكمال، حراً نقياً، ماسورا دائماً، في السموّ.

ثم ان الإنسان الذي انكشفت له تلك الاشيآ الغريبة واختبرها، ان كان يتصورها قدامه دائماً فلا يمكنه أن يحمل نظام الكلمة أو ثقلاً ما، ولا يطيق أن يسمع أو يهتم في الأمر لنفسه أو للغد، بل يجلس نقياً في زاوية مّا في حال سموّ وثَمَل، ومن ثم لم تُعطَ درجة الكل الكاملة لكي يكون الإنسان مدمناً على الاعتنآ بالاخوة وخدمة الكلمة، الاّ انه قد نقض حائط الحظير المتوسط[٥] وانغلب الموت[٦].

والحال هو على مثال قوة عتمة حول قنديل[٧] تحجبهُ بخفة كالجو الكثيف، مع انه لا يزال مضيئاً ومنيراً طول المدة، كذلك النور الاخر معلق حوله غشآ، ومن ثم يقر هذا الشخص بانه غير كامل ولا حرّ بكليته من الخطية، حتى انه يقول ان حائط الحظير المتوسط قد نُقض وهُدِم، ثم يقول انه في جزء لم يُهدم بالمرة ولا تماماً، لأنه قد يوجد

---

(٥) افسس ص ٢ عدد ٤

(٦) اشعيا ص ٢٥ عدد ٨

(٧) النسخة القديمة تشير في الحاشية إلى غلاطية ص ٤

زمان ينير فيه ويعزي ويريح بدرجة عالية وهناك زمان ينحط فيه ولا يظهر من الحياة الاَّ شيئاً قليلاً، من حيث ان النعمة تُعطَي للإنسان من أجل نفعه.

ولكن مَن ذا الذي أدرك قطّ تلك الدرجة الكاملة في أزمنة النعمة المختلفة، وذاق ذلك العالم واختبرهُ، لعمري لم ارَ الي الان ولا واحداً مسيحياً أو حراً على هذه الصفة، الاّ انه ولو كان المرء حاصلا على النعمة ويفهم السرائر والالهام، وحلاوة النعمة العُظمَى، فمع ذلك لا تبرح الخطية حاضرة فيه، ولكنهم بسبب ما فيهم من عظمة النعمة[٨] والنور، يزعمون انهم أحرار كُمَّل، والحال انهم يكونون مخدوعين لقلة الخبرة من حيث انهم حاصلون على فاعلية النعمة، ولكني لم ارَ الي الان واحداً حراً هكذا، فاني انا وصلت احياناً إلى تلك الدرجة نوع وصول واعرف ممَّا تعلمت انه ليس انسان كامل بهذه المثابة.

سوال هل تُعلِمنا في ايَّة درجات انت.

جواب ان بعد اشارة الصليب تفعل النعمة في هذه الحياة الحاضرة على هذا المنوال، وهو انها تهدي كل الاعضاء والقلب، حتى ان النفس من زيادة الفرح تظهر كانها طفل صغير لا يدري الخبث، ولا يعود الإنسان يدين الوثني أو اليهودي، أو إنسان هذا العالم، بل الإنسان الباطن فيه انما يتطلع إلى الكل بعين طهارة، ويفرح الإنسان بالعالم كله، ويود لو يكرم الجميع ويحبّ الامم واليهود سوية، وأحياناً يشبه ابن مَلِك إذ يثق بابن الله كاب له[٩]، وتنفتح له الأبواب فيدخل مواضع

(٨) ثاني قورنثية ص ٩ عدد ١٤

(٩) اشعيا ص ٩ عدد ٦

كثيرة[١٠]، وعلى قدر ما يتعمق إلى داخل تنفتح له بزيادة من مئة موضع إلى مئة اخرى فيستغني، وعلى قدر ما ازداد غنيَ تتكشف له عجائب جديدة اخرى، فيوتمن كابن ووارث على أشياء لا تقدر الطبيعة البشرية على وصفها، ولا ينطق بها فم ولسان، والله المجد امين.

✝

العظة التاسعَة

في أن مواعيد الله ونبواته قد كملت بأصناف المحن والتجارب. واننا بصبرنا لله وحده دائماً نخلص من اذي الخبيث

ان قوة نعمة الله الروحانية التي هي في النفس تعمل عملها باناة وحكمة وبتدبير عقل سريّ، وفي غضون ذلك يتنغص الإنسان في بعض الأوقات بصبر كثير، ثم ينكشف له كمال صنع النعمة جهراً، عند ما يظهر جزم ارادته المطلق بأصناف التجارب مرضياً للروح، ويبرهن هو على خبرته وصبره حينا بعد حين وسنبيّن لكم جملة طريقة هذه المادة بالأمثلة البينة التي في الكتب المقدسة.

ومضمون ما أقول يشبه واقعة يوسف كثيراً، فانه بعد مُدَد متطاولة تمّت فيه إرادة الله المحتومة وكملت له الرويا، وكما قد تتابعت عليه مساعي ومصائب ومضايق معينة لتنقيته، وكيف تجلد وتحملها جميعها، فلما وجده الله في كل شيء عبداً مقبولاً أميناً، صار حينئذ ملكاً علي

---

(١٠) يوحنا ص ١٤ عدد ٢

مصر[١] وعال اهلهُ[٢] وكملت له نبوة الروي† وارادة الله التي أُنبي بها جميعها بعد زمن طويل وتدابير متنوعة.

كذلك حال داود إذ عيّنه الله ملكاً[٣] على يد صمويل النبي، فانه لما مُسح هرب حينئذٍ من شاول[٤] إذ كان مطاردا له ليغتاله، فاين كان مسح الله وقتئذ، واين الوعد الذي كان قصد به أن يتم حالاً، فانه بعد تم مُسِح حلَّ به كرب عظيم وسار تايهاً في القفار[٥] محروماً حتى من الخبز[٦]، وهارباً إلى الأمم ملتجياً بهم[٧] بسبب ما اضمر له شاول ضده، فالإنسان الذي مسحه الله ملكاً هو بعينه اَلَمَّت به هذه المصائب الشديدة، وأخيراً مع تعاقب الأزمنة بعد أن امتُحن وتضايق وتجرب وصبر صبراً جميلاً، وآمن بالله مرةً تغني عن الكل، وتاكد هذه الغاية تاكدّا تامّا حتى قال، ان ما فعله الله بي على يد نبيه بمسحه اياي، وما امر الله بان يحدث لي فلا بدّ من وقوعهِ، تمت له اخيراً مشيئَة الله بطول الاناة، وبعد بلايا كثيرة تملك داود حقاً[٨] وحينئذ اشتهرت كلمة الله والمسح الذي مسحهُ النبي تبرهنت دلالته وصحته جهراً.

---

† يصح ان تدعي احلام يوسف أو رواه غير منظورة لكونها لم تتضح في عين إنسان

(١) تكوين ص ٤١ عدد ٤٠ ابركسيس ص ٧ عدد ١٥

(٢) تكوين ص ٤٥ عدد ١١

(٣) اول ملوك ص ١٦ عد ١٣

(٤) اول ملوك ص ١٩ عد ١٠

(٥) عبرانيين ص ١١ عد ٣٨

(٦) أول ملوك ص ٢١ عد ٣ و٤ و٥ و٦

(٧) أول ملوك ص ٢١ عدد ١٠

(٨) ثاني ملوك ص ٢ عدد ٤

وكذلك في حال موسى بعد أن سبق الله وعَلِمه ورسمه حاكماً ومخلصاً للقوم جعله يصير ابناً لابنة فرعون(٩)، قربّي لِغنَي مَلِكٍ ولفخره ولذته فلما تفقه بكل حكمة المصريين(١٠) وادرك وصار عظيماً أبَى تلك الأشياء كلها(١١) وفضّل عليها شدائد المسيح ومعايبه كما قال الرسول(١٢) كان له خيراً من أن يتنعم بتنعم الخطيئة زمناً يسيراً، ولمَّا اتفق انه هرب مرةً من مصر طالت عليه المدة التي صرفها وهو راعٍ(١٣)، مع انه كان يومئذ ابن ملك، ورُبّي في لذات القصر ونعيمه، فلما وجد أخيراً مقبولاً لدى الله بطول اناته واميناً(١٤) بحيث تحمل تجارب شتّى أصبح لاسرائيل منقذا(١٥) وقائداً(١٦) وملكاً(١٧)، ورسمه الله الها لفرعون(١٨)، لان بواسطته ضرب الله مصر واظهر أموراً عظيمة غريبة على فرعون(١٩) والنتيجة انه غرق المصريين في البحر(٢٠)، فانظر بعد كم مرة اكتشفت مشيئة الله جهراً، وبعدكم بلية وشدة كملت.

وابرهيم أيضاً هو مثل عن ذلك لأنه كم من سنة مضت عليه بعد

---

(٩) خروج ص ٢ عدد ١٠
(١٠) ابركسيس ص ٧ عدد ٢٢
(١١) عبرانيين ص ١١ عدد ٢٤
(١٢) عبرانيين ص ١١ عدد ٢٥ و٢٦
(١٣) خروج ص ٢ عدد ٢١ وص ٣ عدد ١
(١٤) عبرانيين ص ٣ عدد ٢ العدد ص ١٢ عدد ٧
(١٥) خروج ص ٣ عدد ١٠
(١٦) مزمور ٧٧ عدد ٢٠
(١٧) تثنية ص ٣٣ عدد ٥
(١٨) خروج ص ٧ عدد ١
(١٩) خروج ص ٧ و٨ الخ خروج ص ١١ عدد ١٠
(٢٠) خروج ص ١١ الى ١٤

ان وعده الله بان يعطيه ابناً[٢١] ولم يعطه ذلك عاجلاً، بل حلّت به في خلال ذلك بلايا وتجارب[٢٢] مدة سنين كثيرة، فتحمل كل ما اصابه بصبر متين وتقوى بالايمان[٢٣]، وتيقن ان الذي وعد هو صادق[٢٤]، ويصنع كل ما وعد به فلما وُجِد اميناً هكذا نال الموعد.

وكذلك نوح امره الله في السنة الخمسماية من عمره[٢٥] بان يهيئ الفلك فانه كان اخبره بانه يجلب طوفاناً على الأرض، والحال انه جلبه في السنة الستمائة من عمره، فظل منتظراً مائة سنة كاملة ولم يشك في ما أراد الله فعله هل يتم ام لا، بل ثبت في ايمان راسخ واعتقد بان كل ما قالهُ الله لا بدّ من حدوثه بلا ريب، فلما رُضي عنه بسبب نية قلبه خلص هو وآل بيته فقط بالايمان والصبر وطول الاناة[٢٦] لكونه حفظ الوصية على التمام.

فقد استخرجنا هذه البراهين من الكتب المقدسة لكي نوضح بلا نزاع ان قوة نعمة الله في الإنسان وموهبة الروح القدس التي تُحسَب النفس الامينة أهلاً لقبولها يتبعها جهاد عظيم وصبر كثير وطول اناة وتجارب وبلايا، إذ يُمتحن بها هوى الارادة الصادق باصناف الشدائد كلها، فان لم تُحزن الروح بطريقة ما بل توافق النعمة في الوصايا جميعها فانها تُحسب حينئذٍ اهلاً لأن تُطلق من شدائدها وتنال ملء تبنّي

---

(٢١) تكوين ص ١٥ عدد ٤ وص ١٧ عدد ٥ الى ٨ وص ١٨ عدد ١٠ الخ

(٢٢) تكوين ص ٢٠ عدد ٢

(٢٣) رومية ص ٤ عدد ١٨ و١٩ و٢٠ و٢١

(٢٤) طيطس ص ١ عدد ٢

(٢٥) تكوين ص ٥ عدد ٢٢ وص ٦ عدد ٨

(٢٦) ثاني بطرس ص ٢ عدد ٨

الروح، وما قيل عنه في السرّ والغنى الروحي والحكمة التي ليست من هذا العالم وهذه جميعها يشترك فيها المسيحيون بالحق.

فلذلك قد يفترق هولاء في كل الأوجه من جميع الذين لهم روح العالم، إذ هم أهل فطنة وفهم وحكمة، لأن كذلك تجري الدينونة على كل الناس كما كُتب(٢٧) انه يعرف كل إنسان من أين يتكلم واين مقامه وما درجاته، ولكن ليس أحد ممن لهم روح العالم يقدر أن يعرفه ويميزه الاَّ مَن كان له روح اللاهوت السموي مثله، فانه يعرف مثيله كما قال الرسول(٢٨) ونقايس الروحانيات بالروحانيات، فامَّا الإنسان الذي هو حيواني(٢٩) فانه لم يقبل ما لروح الله لأن له جهالة، والروحاني(٣٠) يدين كل شيء وليس هو مَدِينا من أحدٍ، فمثل هذا الإنسان يعاين اشياء هذا العالم الفاخرة وخيراته ومسراته ولذاته العامة ومعرفته ذاتها وكل ما يختص بالحال الحاضرة فتكون لديه لعينة كريهة.

لأنه كما أن الإنسان المحترق بالحمَّي مهما احضرت له من الأكل أو الشرب وكان لذيذاً ينفر منه ويلقي به عنه لسبب احتراقه بالحمَّى وشدة عذابه بها، كذلك الذين يحترقون بشهوة الروح السموية الشريفة المقدسة، المجروحة نفوسهم بهوي محبة الله، الذين غلبت عليهم تلك النار الالهية السموية، التي جاء الرب لالقائها على الأرض(٣١) وما أراد الاَّ اضرامها، ويلتهبون بشهوة المسيح السمويَّة كما قيل آنفاً، فهولاء

---

(٢٧) اول قورنثية ص ٢ عدد ١٥
(٢٨) اول قورنثية ص ٢ عد ١٣
(٢٩) اول قورنثية ص ٢ عد ١٤
(٣٠) اول قورنثية ص ٢ عد ١٥
(٣١) لوقا ص ١٢ عدد ٤٩

ينزّلون جميع أشياء هذا العالم الفاخرة الثمينة منزلة أشياء كريهة بسبب نار محبة المسيح المالكة فيهم، المضرمة اياهم بالميل إلى الله، وهذه المحبة لا يمكن أن يفرقهم عنها شيء، لا في السماء ولا على الأرض، ولا تحت الأرض، كما شهد بذلك بولس الرسول قائلاً، مَن الذي يقدر ان يصدنا عن حب المسيح(٣٢) إلى اخره.

ولكنه لم يُسمع قط ان امرءاً يقتفي نفسه(٣٣) وروحَ المحبة السموي بدون أن يبتعد عن جميع الأشياء المختصة بهذا العالم، ويبذل نفسه في طلب حب المسيح، وينحلّ عقلهُ من الهموم الهيولية والقيود الأرضية، ليكون دائماً مشغولاً بذلك المرام قدام عينه، ويدبّر هذه الأمور بالوصايا كلها، حتى يكون همه كله وسعيه وجهده وشغل نفسه مربوطاً بوجود ذلك الجوهر العقلي، وكيفية لزوم تزيينه(٣٤) بقواعد كل فضيلة، وبزينة الروح السموية وشركة نقاوة المسيح(٣٥) وقداسته، حتى إذا رذل كل شيء، وتجنب جميع موانع المادة والأرض والمحبة الجسدية، وابتعد عن الحب الطبيعي سواء كان للوالدين أو لغيرهما من الأهل، لا يسوغ لعقله أن ينشغل بشيء آخر، أو أن ينجذب بالحكم، أو المجد، أو الكرامات، أو الفة العالم الجسدية، أو غير ذلك من الهموم الأرضية، بل يجعل عقله كله ويقصر اعتناه وتلفهه على طلب جوهر النفس العقلي، وينتظر بالكلية برجآ وامل مجي الروح عليه حسبما قاله الرب(٣٦)

---

(٣٢) رومية ص ٨ عدد ٣٥

(٣٣) لوقا ص ٢١ عدد ١٩

(٣٤) قابل الأمثال ص ١ عد ٩ بنشيد الانشاد ص ١ عدد ٩ وارميا ص ٢ عدد ٣٢ وأول بطرس ص ٣ عدد ٤

(٣٥) اول يوحنا ص ١ عدد ٣

(٣٦) لوقا ص ٢١ عدد ١٩

بصبركم تقتنون نفوسكم، وقال أيضاً[٣٧] اطلبوا أولاً ملكوت السموات وكل هذه الأشياء تُزاد لكم.

ومن الممكن أن المرء الذي يجتهد هذا الاجتهاد ويحرص نفسه دائماً سواء كان بالصلاة أو الطاعة أو بغير ذلك من الأفعال الالهية يقدر أن ينجو من ظلام الشياطين الخبيثة، لأن العقل الذي لا يهمل تفتيش ذاته ويطلب الرب يستطيع أن يقتني نفسه (إذا زالت أهواوها الفاسدة) بتقييد ذاته للرب بالجهد دائماً وبضمير ناجح وبالتمسك به تعالى كما قيل[٣٨] ونسبي كل ضمير إلى طاعة المسيح، لكي بواسطة هذا الجهد والشوق والتفتيش يحسب العقل أهلاً لأن يكون مع الرب روحاً واحداً وهذه عطية المسيح ونعمته التي حلّت في اناء النفس المستعدة لكل عمل صالح، ولا تتهاون بروح الله[٣٩] بارادتها وبخيالات هذا العالم أو بمناصبها أو رياساتها، أو خواص رايها، أو لذاتها الجسدية، أو الفة الأشرار وعشرتهم.

فانه شي مقبول ان كانت النفس هكذا تخصّص ذاتها كلها للرب، وتتمسك به وحدة، وتسير في وصاياهُ بغير ادنى النسيان، وتعطي روح المسيح حقها من الاكرام إذ هي أتت عليها وظللتها، فتحسب بذلك أهلاً لأن تصير روحاً واحداً وتركيباً واحداً معه، كما نصّ على ذلك الرسول[٤٠] قائلاً، مَن اعتصم بالرب فانه يكون معه روحاً واحداً، وامَّا

---

(٣٧) متى ص ٦ عدد ٣٣

(٣٨) ثاني قورنثية ص ١٠ عدد ٥

(٣٩) عبرانيين ص ١٠ عدد ٢٩

(٤٠) أول قورنثية ص ٦ عدد ١٧

ان سلّم أحد نفسه للهموم[٤١] أو الفخر، أو السيادة، أو يطلب الكرامات التي تصدر من الناس ويسعى وراء هذه الأشياء، أو ان كانت نفسه ترحب بخلط الأفكار الأرضية وتشويشها، أو ترتبط بشي ما من هذا العالم وتتقيد به، وبعد ذلك تشتاق أن تنطلق وتفر وتفوز من ظلمة الأهواء التي حجزتها فيها القوات الخبيثة، فاقول انها لا يمكنها ذلك بسبب حبها وصنعها ما تريده الظلمة وعدم تكرهها من الأفعال الخبيثة على الإطلاق.

فسبيلنا إذاً أن نهيي نفوسنا للمجي إلى الرب بعزم تامّ وارادة لا تنحل، وان نكون تبعاً للمسيح لكي نفعل كل ما شاءَهُ، ونراعي جميع وصاياه ونعمل بها، ونبعد نفوسنا بكليتها عن حب العالم، ونهدي أرواحنا إليهِ وحده ونحصر في عقولنا فكراً فيه واعتناءً بهِ تماما، وتفتيشاً عليه وحده، واما ان كنا بواسطة الجسد نبتعد قليلاً عن المراعاة لوصايا الله ابدا والطاعة له، فلا ينبغي أن يبتعد العقل أبدا عن حب الرب وطلبه والشوق إليه، حتى إذا سعينا بعقل متعظ هكذا، وتقدمنا في سبيل البرّ بضمير مستقيم، واهتممنا بنفوسنا كل حين، ننال وعد روحه، ونُفدَي بالنعمة من هلاك ظلام الاهواء التي تضايق النفس بفاعليتها فنصير حينئذ اهلاً للملكوت السموي، ونُحسَب مستحقين للتنعم بالخلود مع المسيح، بحيث نمجد الاب والابن والروح القدس إلى الأبد امين.

---

(٤١) متى ص ١٣ عدد ٢٢

العظة العاشرة

في أن مواهب النعمة الالهية تصان وتزيد بحاسة الضمير الخاشع والارادة المختضعة ولكنها تزول بالكبريا والكسل

ان النفوس التي تحب الحق والله، وبزيادة رجايها وايمانها تشتهي أن تلبس المسيح بكليته، لا تحتاج إلى تذكير الغير، ولا تكون خالية عن شهوة ومحبة إلهية للرب، ولو انها تصير أحياناً في حال الفراغ، ولكن من حيث انها تكون بكليتها مسمّرة في صليب المسيح، فانها تستشعر يوما فيوما بحسّ اختباريّ عن تقدمها الروحاني نحو العريس الروحاني، ومن حيث انها مجروحة بشهوة سماوية وجائعة لبرّ الفضائل فان لها شوقاً إلى الروح عظيماً لا يخمد لكي يضي عليها ولو انها تحسب بايمانه أهلاً لقبول الأسرار الإلهية أو تُصَيَّر شريكةً في بهجة النعمة السموية عينها، فمع ذلك ليس لها ثقة بحالها ناشيئة عن اعتمادها على كونها شياً مّا، ولكن بقدر ما تُحسَب أهلاً للمواهب الروحانية يزداد فيها الشوق الالهي الذي ملاها اضطراما، ولا تبرح مفتشة باجتهاد لا ملل معه، وبقدر ما تحسّ بالترقي الروحاني في ذواتها تزداد جوعاً وظمأً إلى اقتناء النعمة ونوالها، وبقدر ما تغني غَناءً روحانياً تزداد في اظهار ذواتها كانها لا تزال في فقر عظيم، وتحملها شهوة روحانية حارة إلى العريس السماوي كما قالت الكتب[١] مَن اكلني عاد جائعاً إليَّ ومَن شربني لا يزال ظمآن.

---

(١) حكمة يشوع ص ٢٤ عدد ٢٩

فمثل هذه النفوس التي تحب الرب حباً حارّاً لا ينطفي تستاهل الحياة الأبدية، ومن ثم تُحسَب أهلاً أيضاً للافتداء من الأهواء الدنية، وتنال نور الروح القدس بالتمام وحضوره الذي لا يوصف، والشركة السرّية[٢] بملء النعمة[٣]، واماَّ جميع النفوس الخالية عن الهمة والجراءة، ولا تطلب شياً من هذا النوع، فلا تزال كانها في الجسد لكونها لم تحتوِ قط على رجاء قداسة قلوبها بالصبر وطول الاناة ولم أعْنِ بذلك بعض درجات الكمال وانما عنيت جملتها، ولا على الحصول على شركة الروح بالكمال بغاية الاحساس والثقة، ولم تنتظر الافتدآ بالروح من الأهواء الخبيثة، أو انها لما حُسبت اهلاً للنعمة الالهية، ثم خدعها عنصر الخبث بغتةً سلَّمت ذاتها لنوع اهمال وتغافل، والسبب واضح وهو انها بعد أن تنال نعمة الروح وتتنعَّم حقاً بعزاء النعمة في الراحة والشوق والحلاوة الروحانية وتتكل عليها تتشامخ وتغفل عن التحرّز، لكونها ليست ذات قلب منسحق ولا عقل متواضع، ولا هي في تلك الدرجة الكاملة درجة الحرية من الشهوات، ولا انتظرت الامتلاء التام من النعمة بغاية الاجتهاد والايمان، بل عوض ذلك اكتفت وقنعت غاية ما امكن ووثقت عزاء النعمة القليل الذي هو فيها، فالنجاح الذي حصلت عليه مثل هذه النفوس ادَّي إلى التشامخ اكثر من التواضع، حتى انها جُرِّدت ثانية من تلك الموهبة التي اسبغت عليها أولاً، لكونها رذلت التقدُّم بغفلتها وتشامخ رايها الباطل.

---

(٢) قابل قولاسايس ص ٣ عد ٣ باول يوحنا ص ١ عد ٣

(٣) يوحنا ص ١ عدد ١٦

وامَّا النفس المحبة لله وللمسيح حقيقة، ولو انها تعمل أعمال البرّ بلا احصاء، فانها تُظهر بسيرتها انها لم تفعل شيأً البتة بسبب المحبة الحارة التي فيها للرب، ولو انها تميت الجسد بالصيامات والسهر فلا تزال تتبع الفضائل كانها لم تتعب قبلاً من أجلها قط، ولو انها تُحسَب أهلاً لمواهب الروح المختلفة أو اُنعم عليها بالوحي والسرائر السموية، فبسبب وَجْدها العظيم بالرب تظهر مع ذلك كانها لا تملك شيأً من هذا، ولكنها إذ تجوع وتعطش بالايمان والمحبة فلا تزال محمولة دائماً بروح الصلاة المستمرة إلى أسرار النعمة وإلى كل درجة في الفضيلة، ومن حيث كونها مجروحة بمحبة الروح السموي، وكثيرة التشوق الحار إلى العريس السموي بالنعمة الحالة فيها دائماً، ومشتهية ان تُدخَل تماماً إلى الشركة السرّية معهُ الفائقة الوصف بتقديس الروح، ومكشوفة في منظر النفس وناظرة إلى العريس السموي بعين مستقيمة وجهاً لوجه في ذلك النور الروحاني الذي لا يوصف، فانها تختلط به في الثقة الكاملة، وتصير مطابقة لموته، وتنتظر دائماً بالشوق الوافر ان تموت من أجل المسيح، وتترجى ثقة الايمان التامّة لكي بهداية الروح تنال فداءً كاملاً من الخطيئة وظلام الشهوات، حتى إذا تطهَّرا بالروح وتقدست نفساً وجسداً، تحسب أهلاً لأن تصير اناءً نقياً معداً لقبول الدهن السموي، ولحلول المسيح الملك الحق السموي، وحينئذٍ تُؤَهَّل النفس للحياة السموية، وتصير من تلك الساعة مسكناً نقياً للروح القدس.

الاَّ ان هناك معالي ليس ماذوناً للنفس أن تدركها بالمرّة، أو بدون امتحان، بل باتعاب كثيرة، ومجاهدات وأزمنة، وانعكاف كثير، وباصناف البلايا والتجارب تنال النموّ والترقي الروحاني إلى أن تحصُل

في الاخر على خلاص تام من شهوتها القديمة، حتى إذا تجلّدت لكل تجربة من ناحية الشر بمقاومة عظيمة عن سرور واستبشار تُحسَب حينئذٍ أهلاً لكرامات عظيمة ومواهب روحانية وخيرات سموية وهكذا نصير وارثة للملكوت السموي بربنا المسيح يسوع، الذي له المجد إلى الأبد امين.

♱

العظة الحادية عشر

في أن قوة الروح القدس هي في قلب الانسان كالنار. وما هي الاشيا التي تحتاج إليها لنعرف بها الأفكار التي تنشا في القلب. وعن الحية الميتة التي رفعها موسى على القضيب رمزاً عن يسوع. وتتضمن هذه العظة أيضاً مجادلتين. الاولى بين المسيح وابليس. والثانية بين الخطاة وابليس.

ان تلك النار السموية نار الطبيعة الالهية التي ينالها المسيحيون في العالم في قلبهم من داخل، تلك النار بعينها التي تفعل في قلوبهم الان، سوف تظهر من خارج حين ينحلّ الجسد، ثم تلمّ الاعضآ ثانية وتسبب قيامة الأعضاء التي كانت انحلّت، فانه كما أن النار التي كانت تتقد على المذبح باورشليم دفنت مدة العبودية في حفرة[١]، فلما حصل الصلح وارتدت الاساري كانت تلك النار عينها كانها تجدَّدت واتَّقدت كما كانت سابقاً، كذلك في هذا اليوم ذاته تفعل النار السموية في الجسد

(١) ثاني المقابيين ص ١ عدد ١٩

الذي اَلِفْناه وتجدّدهُ، (وهذا الجسد بعد انحلاله ينقلب نجاسة)، وتقيم الأجساد الفاسدة ثانياً، لأن تلك النار الحالة الان في القلب سوف تفشو يومئذٍ وتُتِم قيامة الجسد.

لان في حكم بختنصر لم تكن النار التي في الاتون الهيةً بل محدثة احداثا(٢)، ولكن الثلاثة الفتيان الذين طُرحوا في النار المنظورة لأجل برهم، كانت لهم النار الالهية السموية حينئذ فاعلة داخل أفكارهم ومبلّغة تاثيرها فيهم، وتلك النار ذاتها كشفت نفسها أيضاً من دونهم، لأنها وقفت في وسطهم وحجزت النار المنظورة لكيلا تحرق الأبرار ولا توذيهم البتة.

وكذلك في أيام اسرائيل لما كان عقلهم وأفكارهم مائلة إلى العصيان على الله الحيّ وإلى الرجوع إلى الأصنام، اُلزم هارون بان يقول لهم ان ياتوا باوعيتهم وحُليهّم الذهب، فلما طرحوا الذهب والأوعية في النار صارت صنماً فكَانّ النار صوَّرت نيتهم(٣)، وكان ذلك أمراً عجيباً، لأنهم لمَّا طلبوا بأفكارهم الاصنامية بنيتهم الخفية، صيَّرت النار الاواني التي اُلقيت فيهما صنماً، وبعد ذلك لم يقصرّوا في عبادة الاوثان جهراً.

وايضا كما ان الثلاثة الفتيان الذين كانت أفكارهم متعلقة بالبرّ نالوا نار الله في داخلهم، وعبدوا الرب بالحق، كذلك الان في العالم تنال النفوس المومنة النار الالهية السموية في الإنسان الباطن، وتلك النار عينها تصوّر الشبه السموي في الطبيعة البشرية.

وكما ان النار صوَّرت الأواني الذهبية فصارت صنماً، كذلك الرب

---

(٢) دانيال ص ٣ عدد ١٩

(٣) خروج ص ٣٢ عدد ٢٤

الذي يجازي مقاصد النفوس المومنة الصالحة بحسب إرادتها، يصوّر في النفس الصورة الجديدة التي في القيامة لتظهر من خارج فتمجد أجسادها باطنا وظاهرا، وكما أن أجسادها تفسد في هذا الزمان وتموت وتنحل، كذلك الأفكار يفسدها الشيطان وتموت للحياة الحقانية[٤]، وتندفن في الطين والأرض، لأن نفسها تهلك.

وكما أن الاسرائيليين طرحوا اوانيهم الذهب في النار فصارت صنماً، كذلك الإنسان الان سلّم أفكاره النقية الصالحة للخبث فاندفنت في طين الخطية وصارت صنماً حقيقاً.

ولكن كيف يفعل الإنسان حتى يجدها ثانية ويعرفها وينقذها من النار المنسوبة هي إليها.

فاقول ان النفس تحتاج من هذا القبيل إلى المصباح الالهي وهو الروح القدس الذي ينير البيت المظلم، والى شمس البرّ الساطعة التي تضي وتشرق في القلب، وتحتاج أيضاً إلى أسلحة الغالب في الحرب[٥].

وهذا هو المعنيّ بالأرملة التي ضاعت منها قطعة الفضة فانارت الشمعة أولاً[٦] ثم كنست الدار، فلما كنست الدار واضاءت الشمعة وجدت قطعة الفضة بعد أن كانت مغطاة بالزبل والتراب والوسخ، والان ليست النفس قادرة أن تجد أفكارها وتميزها، ولكن متى أضأت الشمعة الإلهية فانها تنور البيت الذي كان مظلماً، وحينئذٍ تنظر أفكارها

(٤) يوحنا ص ١ عدد ٤

(٥) قابل يوحنا ص ١٦ عدد ٣٣ باشعيا ص ٦٣ عدد ١ ــ ٦ ورويا ص ٣ عدد ٢١ وص ١٢ عد ٢

(٦) لوقا ص ١٥ عدد ٨

كيف كانت مدفونة في دنس الخطيئة وطينها، ثم تشرق الشمس فتري النفس هلاكها، وتشرع في استرداد أفكارها التي كانت مشتتة ومختلطة بالزبل والدنس، لأن النفس اضاعت صورتها(٧) حين خالفت الوصية.

ثم انه إذا كان ملك له خيرات وخدم تحت امره يلازمونه، ثم يتفق أن يأخذه أعداوه اسيراً فإذا أُمسِك هكذا ونُفي من ممالكه، فمن الواجب ان حشمه وخدمه يتبعونه، وكذلك آدم فان الله خلقه نقياً لعبادته واعطيت له جميع هذه المخلوقات خداماً (لأنه صُيِّر رباً وملكاً على جميع المخلوقات) ولكن منذ جآته الكلمة الخبيثة† وخاطبتهُ اقتبلها أولاً بظاهر اُذنه، ثم تداخلت في قلبه وملكت شخصه كله، وهكذا لما اتفق انه اُمسِك مرة أخذت معه المخلوقات التي كانت تلازمه وتخدمه لأن به تسلّط الموت على كل نفس فمحا صورة آدم الكاملة منذ عصي، حتى ان جنس البشر تحوّل وصار يعيد الابالسة، فان ثمار الأرض التي خلقها الله لغاية حميدة صارت تقَدَّم للشياطين، فانهم يضعون على مذابحهم خبزاً وخمراً وزيتاً وحيوانات احيآ، وليس ذلك فقط بل قد ضحّوا للشياطين بنيهم وبناتهم(٨).

---

(٧) قابل تكوين ص ١ عد ٢٦ بافسس ص ٤ عدد ٢٤ وقولاسايس ص ٣ عدد ١٠

† الارواح تدعي في الفلسفة القديمة كلمات. والمسيح سُمِّي في الكتاب المقدس كلمة. وقيل لهُ الكلمة على سبيل التعظيم. فكما أن الكلمة الصالحة هي المسيح. كذلك الكلمة الشريرة يقتضي أن تكون المسيح الدجّال أو الشيطان.

(٨) مزمور ١٠٦ عدد ٣٧

ففي هذا الزمان أتى ذلك الذي خلق النفس والجسد بشخصه وابطل قصد الخبيث كله[٩] وأفعاله التي كملت في الأفكار، وجدَّد وخلق الصورة السماوية، وجدَّد النفس لكي يعود آدم ثانياً ملكاً على الموت ورباً للمخلوقات، وفي ظلّ الناموس سمّي موسى مخلصاً لاسرائيل لكونه اخرجهم من مصر، وكذلك المسيح يدخل الان في مكامن النفس الخفية، ويخرجها من مصر المظلمة، ومن النير الثقيل والعبودية القاسية، ولذلك يامرنا بأن نخرج من العالم، ونصير فقرآ عن كل شيء منظور، ولا نهتم اهتماماً أرضياً، بل نقف ليلاً ونهاراً على الباب، وننتظر الوقت الذي يفتح فيه الرب القلوب المغلقة، ويفيض علينا موهبة الروح القدس، ولذلك أمر أن نترك ذهبنا وفضتنا وأقاربنا[١٠]، ونبيع كل ما لنا، ونبذله للمساكين، وندّخره بذلك ثم نطلبه في السمآ، لأنه قال[١١] حيث يكون الكنز فهناك يكون القلب أيضاً، لأن الرب يعلم أن من ذلك القبيل يقوي الشيطان على الأفكار ليهبطها إلى الاهتمام بالاشياء الهيولية الأرضية، ولهذا السبب شاءَ الله خير نفسك فامرك أن ترفض جميعها، حتى تقدر أن تطلب الخيرات السماوية، وتحفظ قلبك منقاداً نحو الله ولو كان ذلك بخلاف إرادتك، لأنك ان ملت ورجعت إلى شهواتك تري نفسك أخيراً لا تملك شياً من الاشيآ المنظورة، ثم ان شئت او ما شئت فانك تضطر إلى امالة عقلك نحو السماء، حيث كنزت هذه الأشياء وخزنتها، لأن حيث يكون كنزك فهناك يكون قلبك أيضاً.

---

(٩) أول يوحنا ص ٣ عدد ٨

(١٠) متى ص ١٩ عدد ٢٩

(١١) متى ص ٦ عدد ٢١

لأنه بحتم السنّة أمر الله موسى أن يصنع حيّة من نحاس ويرفعها ويثبتها على راس عود فكان كل من لدغته حية يشفي بمجرد النظر إلى حيَّة النحاس، فقد صنع هذا بتدبير مخصوص حتى ان المعوّقين بالهموم الأرضية، وعبادة الأصنام، ولذات الشيطان، وكل اثم، لعلهم بهذه الوسيلة يتطلعون إلى الأشياء العلوية بمقدار ما، فإذا ابعدوا عيونهم عن الأشياء السفلية يقصرون تامّلهم على الأشياء السامية، ومنها يتدرَّجون إلى اعلَى الكل، وبتقدمهم هكذا إلى رتبة متناهيته العلو والسموَّ يدركون أخيراً أن يعرفوا ان على كل مخلوق من هو أعلى وارفع منهم.

وكذلك امرك بان تصير فقيراً وتبيع كل مالك وتعطيه للمحتاجين، لكي إذا شئت فيما بعد أن تميل إلى الأرض فلا يكون ذلك في مقدرتك، فافحص قلبك إذاً وابتدي بأن تتاظر أفكارك في هذه المادة، وتقول من حيث انه ليس لنا على الأرض شيء، فلنرحل نحو السماء حيث يكون لنا كنز وحيث لنا تجارة، فحينئذٍ ياخذ ضميرك في أن يرفع منظره إلى ذلك السامي ويطلب ما هو فوق[١٢] ويتدرَّج في ذلك.

ولكن ما المراد بأن الحيَّة المائتة المنصوبة على راس العود كانت تشفي الذين كانوا مجروحين، سوي أن الواقع ان الحية المائتة غلبت الاحيا حتى صارت رمزاً على جسد الرب، لأن الجسد الذي اتخذه من مريم ذات البتولية الدائمة قربهُ على الصليب وعلقهُ وثبته في الخشبة، فغلب الجسدُ المائت تلك الحيَّةَ التي كانت عائشة سارية في القلب،

---

(١٢) قولاسايس ص ٣ عدد ١

فهذا هو أغرب الغرائب كيف ان الحيّة الميتة قتلت العائشة، ولكن كما أن موسى صنع صنيعاً جديداً لمَّا عمل تمثال الحيَّة العائشة، كذلك الله خلق خلقا جديداً[١٣] مريم العذرا واكتسي بها، ولكنه لم ينزل من السماء بجسد، بل لما دخل الروح السموي في آدم، صنع فيه الطبيعة الالهية وخلطه بها، وكما أن الرب لم يأمر بحيَّة نحاس في العالم الاّ في عهد موسى[١٤]، كذلك لم يظهر قط في العالم جسد جديد الاّ جسد ربنا، لأنه حين خالف آدم الأول الوصية تسلّط الموت على جميع بنيه، فالجسد المائت إذاً غلب الحيَّة العائشة، وهذه العجيبة هي لليهود عثرة وللامم جهالة.

ولكن ماذا يقول الرسول، فيما كتب به هكذا فامَّا نحن فاننا نبشر بالمسيح مصلوباً، وذلك عثرة عند اليهود وجهالة عند الامم، وامَّا عندنا نحن الذين خلصنا فالمسيح قوة الله وحكمة الله[١٥] لأن الحياة هي في الجسد الميت، وفيه الفدآ، وفيه النور، وبه يأتي الرب إلى الموت، ويجادله ويامرهُ حتماً بأن يخرج الأرواح من الجحيم والموت[١٦] ويردها إليه، فيذهب ذاك إلى عبيده مكدّراً بهذه الأوامر ويصفّ جنوده، ثم يأتي رئيس الخبث إليه بالصك[١٧] ويقول ها ان هولاء اطاعوا كلمتي[١٨]، فانظر كيف صار جنس البشر عبيداً لنا، فحينئذ من حيث كون الله ديانا عادلاً يُظهر وقتئذ عدله ويجيبه قائلاً، لا ريب ان

---

(١٣) ارميا ص ٣١ عدد ٢٢

(١٤) لوقا ص ١ عدد ٣٥

(١٥) اول قورنثية ص ١ عد ٢٣ و٢٤

(١٦) رويا ص ١ عدد ١٨

(١٧) ارميا ص ١٧ عدد ١

(١٨) رومية ص ٦ عدد ١٦

آدم اطاعك، وانت امتلكت قلوب بنيه كلها واطاعتك الطبيعة البشرية، ولكن ما هو هذا الذي يفعله جسدي هنا، انه بري من الخطية، وامَّا جسد ادم الأول فانه كان مربوطاً برُبُط كثيرة، ومن العدل أن لديك الصكوك، ولكن الجميع يشهدون لي باتفاق اني لم اخطئ(١٩)، ولست ممنوناً لك في شيء البتة، والكل يشهدون لي انني ابن الله، لأن الصوت الذي نزل من السماء العُليَا شهد لي على الأرض، إذ قال هذا ابني الحبيب فاسمعوه(٢٠)، ويوحنا شاهد آخَرُ قال(٢١) ها هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم، وقال الكتاب، لم يعمل اثماً ولم يكن غش في فمه(٢٢)، وقال أيضاً، اركون هذا العالم يأتي وليس له فيّ شي(٢٣)، بل أنت أيضاً يا ابليس شاهد بيِّن لي إذ صرخت قائلاً، قد عرفت مَن أنت إنما أنت ابن الله(٢٤)، وقلت أيضاً، ما لنا ولك يا يسوع الناصري اتيت لتهلكنا قبل الزمان(٢٥)، فقد شهد لي ثلاثة، الاول ذلك الذي أرسل الصوت من السماء، الثاني اولئك الذين هم على الأرض والثالث هو أنت بعينك، فلذلك انا أفتدي الجسد الذي باعه لك ادم الاول(٢٦)، وابطل صكك

---

(١٩) اول يوحنا ص ٣ عدد ٥

(٢٠) متى ص ٣ عدد ١٧ وص ١٧ عدد ٥

(٢١) يوحنا ص ١ عدد ٢٩

(٢٢) اشعيا ص ٥٣ عدد ٩ اول بطرس ص ٢ عدد ٢٢

(٢٣) يوحنا ص ١٤ عدد ٣٠

(٢٤) مرقص ص ١ عدد ٢٤ وص ٣ عدد ١١

(٢٥) لوقا ص ٤ عدد ٣٤ متى ص ٨ عدد ٢٩

(٢٦) قولاسايس ص ٢ عدد ١٤

بصلبي وهبوطي إلى الجحيم، وانا آمرك أيها الجحيم ويا أيتها الظلمة والموت بأن كلاً منكم يطلق أرواح آدم المحبوسة عندكم، فالقوات الخبيثة عند ذلك يأخذهم الرعب، ويبادرون إلى تسليم آدم الذي كانوا ممسكين به.

ولكنك متى سمعتَ ان في ذلك الوقت عينه خلص الرب النفوس من جهنم والظلمة، وانه هبط إلى الجحيم واتم الصنيع المجيد، فلا تظن ان هذه الأمور بعيدة جداً من نفسك، لأن الإنسان فيه دائماً قابلية للخبيث، وأفكار النفس تنحبس في الظلمة، وكلما سمعتَ بذكر القبور، فلا تجعل أفكارك تسري نحو القبور الظاهرة فقط، لأن قلبك ذاته هو القبر والمدفن، فانه ان كان اركون الخبث وملائكته كامنين فيه ويصنعون هناك طوقاً ومسالك تتمشى فيها قوات الشيطان في العقل والأفكار، أفلا تكون أنت والحالة هذه جهنماً ومدفناً وقبراً، أو لست أنت ميتاً لله، فمن ثم قد طبع الشيطان الفضة المزيّفة(٢٧)، وفي هذه النفس عينها زَرَع زرع المرارة وخمَّرها بالخمير العتيق فينبع فيها ينبوع الطين† ولذلك ينزل الرب إلى النفوس التي تطلبه وإلى قرار القلب ذاته، وهناك ينشر أوامرُه للموت قائلاً اَخرجْ تلك النفوس التي تطلبني المسجونة عندك، التي طالما ضبطتها انت بجهد، ثم يكسر الحجارة

(٢٧) قابل ارميا ص ٦ عدد ٣٠ واشعيا ص ١ عدد ٢٢ بالرويا ص ١٩ عدد ٩

† الظاهر ان حال الأشرار هنا مشروحة خلافاً للموعد الذي وعد به المسيح في الإنجيل للذين يومنون به. قابل يوحنا ص ٤ عدد ١٢. باشعيا ص ٥٧ عدد ٢٠

الثقيلة الموضوعة على النفس، ويفتح القبور، ويقيم الموتى الحقيقيين، ويطلق النفس المحبوسة من السجن المظلم.

وكما أن الإنسان المقيد اليدين والرجلين بالسلاسل ياتيه مَن يحلّ قيوده ويدعه يمشي في الفضآ بحرية، كذلك يحلّ الرب النفس المقيدة باغلال الموت من قيودها ويطلقها، ويُعطي العقل حرية لكي يُسرَّح في الفضاء الإلهي باطمئنان وانشراح.

وكما يكون ان انسانا يغطس في وسط نهر في عزّ فيضانه فيموت في الماء ويختنق بين حيوانات مهولة، فينزل اخر ليخلصه ويكون قليل المعرفة في العوم، فيهلك هو أيضاً معه، فيقتضي ان واحداً ناشطاً في السباحة ماهراً يغوص قلب الماء، حتى يخرج الغريق الذي كان مُلقىً في وسط الحيوانات المخوفة فالماء حينئذ إذا وجد إنساناً ذا خبرة ومهارة في السباحة يساعده ويرفعه على الوجه، كذلك النفس فانها تختنق لغرقها في هاوية الظلام وقرار الموت وتموت عن الله في صحبة الحيوانات المهولة.

ولكن من ذا الذي يستطيع ان ينزل إلى تلك الأماكن الخفية وإلى قرار الجحيم والموت، الاَّ ذاك الماهر العظيم الذي خلق النفس، فهو يدخل كلتا الناحيتين أي قرار الموت ووسط القلب، حيث يكون الموت حابساً للنفس بافكارها، فيُخرجُ ادم المائت من ذلك القرار المظلم، والموت عينه يساعد الإنسان بطريقة الممارسة كما يفعل الماء بالعُوّام.

لأنه أيّ صعوبةٍ على الله أن يدخل الموت، وعمق القلب، ويدعو من ثم آدم المائت، الا ترى أن في هذه الدنيا المنظورة مساكن وبيوتاً مبنية يسكنها جنس البشر، وفيها مآوي للوحوش والأسود والتنانين.

وغيرها من الحيوانات المسمّة، والشمس التي ليست هي الاّ خَلْق تدخل كل طريق من أنوار وأبواب، حتى إلى مغاير الاسود واحجار الدواب، ثم تخرج ثانياً بلا ضرر عليها، فكم بالحري إذاً ينفذ الله ربّ الكل في المكامن الضيقة والأماكن التي فيها الموت ضارباً خيمته، وفي النفوس، وينقذ آدم منها ولا يضره الموت، وكذلك المطر الذي يهطل من السماء(٢٨) يسري في اوطي جهات الأرض، وبسقي ويحيي الجذور المائتة، وينشي فروعاً جديدة.

ومن الناس مَن له مجاهدات وبلايا وحرب تام مع ابليس، وهذا الإنسان هو المنسحق النفس، لأنه في شدة وكآبة ودموع، ومثل هذا له منقبة مضاعفة، وإذا كان في حال الأمور هذه يتجلَّد فان الله يكون معه في الحرب ويصونه، بحيث انه يجدّ باشتياق ويقرع الباب(٢٩) إلى أن يفتح له، وإذا كان أيضاً أخوك يخلص نفسه حسناً في هذه المادة فان النعمة تثبتهُ، وامَّا مَن لا أساس له، فما يكون به خوف الله تماماً، وليس قلبه منسحقاً، ولا اعتناء له، ولا يصون قلبه وأعضاءَه صيانة تجعله يسعَى بلا خلل، فتكون نفس هذا الإنسان إذاً في حال فساد، لأنه لا يكون بعد قد دخل في الجهاد، ولذلك مَن كان في حال محاربة وبلية يكون بينُه مَن لا يعرف معنى الحرب فرق عظيم، لأن البذر حين يُبذر في الأرض يتحمل بلية من جليد الشتا في أوانه ومن الصقيع وبرد الهوآ ثم يحيي النبت ثانياً.

وقد يتفق أحياناً ان الشيطان يناظرك في هذا الأمر في قلبك

(٢٨) اشعيا ص ٥٥ عدد ١٠

(٢٩) متى ص ٧ عدد ٧

قائلاً، انظر كم شراً فعلت، وكم أصنافاً من الجنون امتلات بها نفسك، وأنت مثقل بخطاياك، وليس بممكن لك الخلاص، وإنما يفعل بك ذلك ليجذبك إلى اليأس، إذ يشير لك به إلى أن توبتك لا تُقبَل، فان الخطية لمَّا دخلت مرة بالمعصية صارت مخاطبة للنفس كل ساعة كما يخاطب المرء صاحبه، وامَّا أنت فاجبه وقل له، ان عندي شواهد الرب مكتوبة(٣٠)، تقول اني لست أريد موت المنافق بل أن يتوب من طريقه ويعيش، لأنه لهذا الداعي عينه نزل هو ليخلص الخطاة، ويقيم الموتى، ويحيي الذين اخضعهم الموت، ويضي على الذين في الظلمة، لأنه لمَّا جاء دعانا حقا إلى حالة التبنيّ للمدينة المقدسة التي هي في السلام، وللحياة التي لا موت معها أبداً، وللمجد الذي لا يضمحل، فسبيلنا إذاً أن نختم مبتدانا بغاية حسنة، ونظل في حال فقر وتغرّب وكرب وصلاة لله، بحيث نقرع الباب بجسارة، لأنه كما أن الجسد قريب للنفس، هكذا الرب بل هو أقرب من ذلك ليأتي ويفتح أبواب القلب المغلقة، ويعطينا الخيرات السموية، لأنه صالح ومحسن للإنسان، ولا يعد بالحياة الاَّ ان داومنا على طلبه إلى المنتهى، فالمجد لمراحم الاب والابن والروح القدس إلى الأبد امين.

---

(٣٠) حزقيال ص ٣٣ عدد ١١

العظة الثانية عشر

في حال آدم قبل أن عصي وصية الله وبعد أن اضاع صورته والصورة السموية معاً.

وفي هذه العظة سوالات كثيرة الفائدة

لما خالف آدم الوصية هلك من وجهين، الأول كونه أضاع نقاوة طبيعته التي كان حائزاً اياها أولاً، وكانت جميلة على شبه الله ومثاله سواء[١] والثاني كونه اضاع أيضاً تلك الصورة عينها، التي بواسطتها سلّم له الميراث السموي كله بحسب الوعد، فإذا كان درهم عليه صورة الملك يُزَيَّف ويضيع الذهب ولا تنفع الصورة، فما أعظم ما أضاعه ادم، لأن الغني والميراث المعدّين له كانا عظيمين، وكما نقدّر ان عقاراً فيه مسالك كثيرة، وفي أحد الأماكن كرمة زاهية وفي غيره حقول مثمرة، وفي غيره مواشي، وفي آخر ذهب وفضة، كذلك كان اناء آدم أي جسده عقاراً ثميناً قبل معصيته، ولكنه لمَّا جنح إلى الأفكار والتخيلات الشريرة هلك[٢] من قدام الله.

وليس المعنى أنه هلك بالكلية وخفي ومات بل مات عن الله[٣]، ولكنه لم يزل حياً لطبيعته، لأن الدنيا كلها تسعى وتأخذ وتعطي، الاَّ ان اللَّه يرى ضميرهم وأفكارهم، وتارة يكون كانه ينظرهم، وتارةً

---

(١) تكوين ص ١ عدد ٢٦ أول قورنثية ص ١ عدد ٧

(٢) تكوين ص ٣ عدد ١ قابله بمزمور ١ عدد ٧

(٣) تامل رومية ص ٦ عد ١١ وثاني قورنثية ص ٥ عدد ١٥

يصرف عنهم عينه، ولا يشاركهم، لكون ضميرهم لا يميل إلى شيء يرضيه، وكما أنه إذا كانت منازل للضيافات قبيحة الشهرة، وأماكن يرتكب فيها الفحش والفسق، والمارّون بها من أهل التقوى والصلاح يتكرهون منها، وينفرون مما يغلبهم النظر إليه، لكونهم كالأموات عنها، كذلك الله يطلع على الذين زاغوا من كلمته ومن الوصيَّة لكن بنظرة اهانة[٤]، ولا يشاركهم، ولا يحلّ في أفكارهم البتة.

سوال كيف يمكن للإنسان أن يكون مسكيناً بالروح، ولا سيما إذا كان يحسّ في نفسه بانه تغير وترقى جداً، حتى ولو وصل إلى المعرفة والفهم اللذين كان اليهما من قبل محتاجا.

جواب ما دام الإنسان غير مالك هذه وغير متدرّج في الترقي، فلا يكون مسكيناً بالروح أبداً بل يتخيل ذلك مجرد تخيّل فقط، ولكنه متى أدرك هذا الفهم والترقي، فالنعمة ذاتها تعلّمه أن يكون مسكينا بالروح، وان المرء ولو كان بارّاً وصفيا لله فلا يزعمنّ انه شيء مّا[٥]، بل يحفظ نفسه في حال الحقارة الوضعية وانكار الذات عن الوجود، كأنه لم يعلم ولم يعمل شياً وان يكن عاملا بهما كليهما، وهذا كانه طبيعي راسخ في عقل البشر، الا ترى ان ابانا ابرهيم ولو انه كان صفياً دعا نفسهُ تراباً ورماداً[٦]، وداود بعد ان مُسح ملكاً وكان الله معه قال انا دودة[٧] ولست انساناً عار للبشر ورذالة في الشعب.

---

(٤) مزمور ٧٣ عدد ٢٠

(٥) ثاني قورنثية ص ١٢ عد ١٠

(٦) تكوين ص ١٧ عدد ٢٧

(٧) مزمور ٢٢ عدد ٦ قابله بأول الملوك ص ١٦ عدد ١٣

فالذين يشآؤن إذاً أن يكونوا ورثآء مع هولاء وان يكونوا من أهل المدينة المقدسة، وان يتمجَّدوا معهم، سبيلهم أن يلازموا تواضع العقل هذا، ولا يظنوا ان ليس فيهم الاَّ قلب منسحق[٨]، لأنه ولو ان النعمة تفعل في كلٍّ من المسيحيين بأنواع مختلفة، ولها أركان متنوعة[٩]، فهي جميعها من مقرّ واحد[١٠]، وذات روح واحد[١١]، ولسان واحد[١٢]، ولها معرفة بعضها ببعض.

وكما أن أعضاء الجسد كثيرة والنفس المتحركة في جميعها واحدة، كذلك الروح هو واحد[١٣] الفاعل في الكل بأنواع مختلفة، مع انها من مقر واحد وطريق واحد، لأن جميع الأبرار سلكوا في الطريق الضيق الكرب وقد كانوا يُضطهدون،[١٤] ويُعذّبون ويُسبُّون[١٥]، وصرفوا حياتهم في جلود الماعز والمغاير وكهوف الأرض.

وكذلك قالت الرسل[١٦] وإلى هذه الساعة نحن جياع وعطاش وعراة ملطومين، وليس لنا موضع اقامة، فبعضهم قُطعت منهم الرؤس، واخرون صُلبوا، واخرون عُذّبوا بأنواع مختلفة.

ورب الأنبياء والرسل نفسه سلك في هذا العالم كأَنه نسي مجده الالهي كل نسيان، ولمَّا صار قدوة لنا لبس تاج الشوك[١٧] في الاهانة

---

(٨) اشعيا ص ٥٧ عدد ١٥
(٩) اول قورنثية ص ١٢ عد ١٣ و٢٠ و٢٧
(١٠) قابل مزمور ١٢٢ بفيلبسيوس ص ٣ عدد ٢٠ وعبرانيين ص ١٢ عدد ٢٢
(١١) ابركسيس ص ٤ عدد ٣٢
(١٢) أول قورنثية ص ١ عد ١٠ رومية ص ١٥ عدد ٦
(١٣) أول قورنثية ص ١٢ عد ١١
(١٤) عبرانيين ص ١١ عدد ٣٧ و٣٨
(١٥) رومية ص ١٥ عدد ٣
(١٦) أول قورنثية ص ٤ عد ١١
(١٧) متى ص ٢٧ عدد ٢٨ و ٣١

والعار، وتحمَّل البصق واللطم ثم الصليب، فان كان الله سلك هكذا في العالم فسبيلك انت[١٨] ان نقتدي به، لأن هكذا سعت الرسل والأنبياء، وان شئنا نحن ان نُبنَي على أساس الرب ورسلهِ فيجب علينا أن نتشبه بهم، لأن الرسول قال بروح القدس[١٩] تشبهوا بي كما أنا اتشبه بالمسيح أيضاً.

واما إن كنت حقاً تحب كرامات البشر[٢٠]، وتودّ أن يُسجَد لك، وتطلب أن تعيش في الهناء، فانك تزيغ عن الطريق بالكلية، لأنه يجدر بك أن تتصلب مع مَن سُمّر على الصليب، وتتألم مع مَن تألّم حتى تتمجد أيضاً مع مَن تمجد، لأنهُ لا بدّ للعروس أن تتالّم مع العريس، لكي تصير هكذا شريكة ووارثة مع العريس، فانه لا يُوذَن لأحد قط في أن يدخل مدينة القديسين، ويرتاح ويملك مع الملك ذاته إلى أبد الدهور بدون تالم وبغير الطريق الوعرة الضيقة الكربة.

سوال من حيث ان ادم (كما قلت) فقد صورته السموية المختصة به، اسال هل كان ينال الصورة الإلهية لو كان فيه الروح القدس.

جواب لو دامت معه كلمة الله والوصية لكان كل شيء له، لأن الكلمة بمفردها كانت ميراثاً له[٢١]، وكانت له ثوباً[٢٢] ومجداً ساتراً اياه، وكانت نصَّ تعلميه دائماً، فانها الهمته إلى أن يسمِّي كلاً من الأشياء باسم[٢٣]، فسمَّي هذه سماءً، وتلك شمساً، هذا قمراً وتلك أرضاً،

---

(١٨) يوحنا ص ١٥ عدد ٢٠
(١٩) أول قورنثية ص ١١ عدد ١
(٢٠) يوحنا ص ٥ عدد ٤١ و٤٤
(٢١) مزمور ١٦ عدد ٥
(٢٢) اشعيا ص ٤ عدد ٥
(٢٣) تكوين ص ٢ عدد ١٩

هذا طيراً وذاك وحشاً، وتلك شجرةً، وكما كان يتلقّن الاسم كذلك كان ينطق به.

سوال هل كان له حسّ الروح وسرّه.

جواب ان الكلمة عينها بحضورها معه صارت له كل شيء، سواء كان معرفة، أو حاسية، أو ميراثاً، أو تعليماً، وماذا نصَّ يوحنا عن الكلمة قال(٢٤) في البدء كان الكلمة، فانظر ان الكلمة كانت قبل كل شيء، وإذا كان حاضراً معه مجد آخر من خارج، فلا تغتاظن من ذلك فانه يقول† انهما كانا عريانين وكان لم يرَ أحدهما ما بالاخر من ذلك(٢٥)، فلما عصيا الوصية رايا أنفسهما عريانين فاستحييا.

سوال فهل كانا إذاً قبل ذلك مكتسيين بمجد الله عوضاً عن ثوبٍ.

جواب كما أن الروح اجري فاعلية في الأنبياء وعلَّمهم وكان في باطنهم، وكشف لهم نفسه من خارج، كذلك كان مع آدم، فان الروح لما شاء كان معه وعلَّمه واصدر له أوامر(٢٦) قائلاً، انطق وسمِّه كذا، لأن الكلمة كانت له كل شيء، ومدة ما دام مواظبا على الوصية كان

---

(٢٤) يوحنا ص ١ عدد ١

(٢٥) تكوين ص ٢ عدد ٢٥

(٢٦) تامل اشعيا ص ٣٠ عدد ٢١

† الكتاب المقدس يقول انهما كانا عريانين الرجل وزوجته ولم يستحيا وذلك صفة لبراءَتهما وخلوهما من الشهوة. فقبل السقطة لم يكن لهما إلا العين البسيطة فقط. لوقا ص ١١ عدد ٣٤. وبعدها صار لهما عين شريرة قابل متى ص ٥ عدد ٢٨. ثاني بطرس ص ٢ عدد ١٤ أول يوحنا ص ٢ عدد ١٦. بالتكوين ص ٣ عدد ٧. والظاهر ان المعنى واحد.

حبيباً لله(٢٧)، وأي عجب من أنه في هذه الأحوال عصي الوصية، والحال ان اولئك الذين امتلاوا[†] بالروح القدس ذاته ليس فيهم سوى أفكار طبيعية ويريدون أن يطيعوها، كذلك هو أيضاً ولو انه كان حاضراً مع الله في الفردوس فقد عصي بارادته واطاع جانب الشر، ولكنه لم تزل عنه المعرفة حتى بعد عصيانه(٢٨).

سوال أي نوع معرفة كانت هذه.

جواب كما أن مذنبا إذا حضر في ديوان القضا يساله القاضي قائلاً، لماذا ارتكبت هذه الذنوب، الم تعلم انك توخذ وتُقَتل بها، فلا تجعله نيته ان يقول لم اعلم ذلك، لأنهُ كان يعلم جيداً، ويتذكر الكل في وقت القضاء، ويقرّبه جهراً كذلك حال الزاني مثلا فانه لا يجهل انه يفعل شراً، اَوَ لا يعلم السارق انه يفعل خطية، وهلاَّ يعلم الناس من تامُّلهم الطبيعي فضلا عن الكتاب المقدس ان الله موجود، وانهم لا يقدرون في ذلك اليوم ان يقولوا ما عرفنا انك انت الاله، إذ يذكرهم بالرعود والبروق التي صدرت من السماء ويحتج بها ويقول، الم تعلموا

(٢٧) يوحنا ص ١٥ عدد ١٤

(٢٨) تكوين ص ٣ عدد ٥ و٧

† يعني المسيحيين. لأنه ولو ان آدم كان فيه الروح لكونه صُنع على صورة الله (تكوين ص ١ عدد ٢٧. والحكمة دخلت النفوس المقدسة في كل الأجيال. سفر الحكمة ص ٧ عدد ٢٧). الاَّ ان الامتلا بالروح هي عبارة مختصة بالمسيحيين قابل يوحنا ص ١ عدد ١٦. افسس ص ٣ عدد ١٩. وص ١ عدد ٢٣. وص ٥ عدد ١٨ فيلبسيوس ص ١ عدد ١١ قولاسايس ص ١ عدد ٩.

انه انما الله الذي يامر الخليقة، ولماذا صرخت الشياطين إذاً[٢٩] قائلة، انت هو ابن الله، اجيت ها هنا لتعذبنا قبل الزمان، وفي العذاب يقولون انت تحرقنا انت تحرقنا، فهم لم يعرفوا إذاً شجرة معرفة الخير والشرّ، ولكن معصية آدم هي التي سبّبت لهم المعرفة.

لأن كل واحد يسال ويستقصي، في اية حال كان آدم، وماذا فعل، لأن آدم نال معرفة الخير والشر، فنقول انا نعلم من الكتب المقدسة انه كان في حال كرامة وطهارة، ولكنه لما عصي الوصية طُرد من الفردوس وغضب الله عليه، فليعلم أخيراً ما هو خيرة، وإذا علم ما هو شره[٣٠] يحذر منه لئلاّ يعود سقط في دينونة الموت بالخطية، الاَّ اننا نعلم أن كلاًّ من خلائق الله مرتّب منه، لأنه خلق السماء والأرض والحيوانات الحية والدواب والوحوش، وهذا نرى انه حق ولكننا لا نعلم عددها، ومَن من الناس يعلمه، ومَن يعلمه سوى الله وحده الذي هو في كل شيء، وفي جنين الخلائق الحية، أفلا يعلم هو الأشياء التي تحت الأرض وفوق السماوات.

فلنترك إذاً هذه الموادّ ونفتش كالتجار الصالحين على الكيفية التي نملك بها الميراث الذي لنا في السماء، والأشياء النافعة لارواحنا، ولنتعلم أن نملك امتلاكاً يدوم مع نفوسنا، فانك ان كنت انت الذي ليس هو سوي إنسان تبدأ مرة بفحص ضمير الله وتقول قد كوشفت على شيء وأدركته، فحينئذ تكون قد جعلت الضمير البشري فائقاً إدراك الله، ولكنك مخطي في ذلك خطاء جسيما، وبقدر

---

(٢٩) مرقص ص ١٣ عدد ١١ متى ص ٨ عدد ٢٩

(٣٠) قابل الجامعة ص ٨ عدد ٨ بسفر الحكمة ص ١٠ عدد ١

ما تشتهي التفتيش والتعمق على سبيل المعرفة تزداد غوصا في القرار، ولا تزداد في الحكمة شيأً، لأن تلك السوالات الغريبة التي تنشا فيك، أعني ما هو الذي يفعله الله فيك يوماً فيوماً، وكيف يفعله، إنما هي مواد تفوق كل منطوق وإدراك، ويجب قبول كل شي منه تعالى بحمدٍ وايمان، هل امكنك قط من ساعة ميلادك إلى هذه اللحظة أن تعرف شيأً ما عن روحك، اَعِدْ عليَّ إذاً الأفكار المتعددة التي تنشا فيك من الصباح إلى الليل، ومُنَّ عليَّ بذكر افكار ثلاثة ايام، ولكن هذا لا يمكنك ابدا، فان كنت لا تستطيع قط تدرك افكار نفسك، فكيف يمكنك أن تدرك أفكار الله وضميره، اتريد أن تاكل وحدك كل ما تجد من الخبز ولا تترك للأرض كلها شيأً، وتنطلق إلى شط النهر وتشرب بمقدار ما تحتاج إليه وتعود ولا تسال أبداً من اين يأتي أو كيف يسيل، اَلاَ فاجتهد في معالجة قدمك، أو رمد عينك لكي تعاين ضياء الشمس، ولا تسال قط عن مقدار النور الذي تحتويه الشمس، ولا عن البرج الذي تدخله، واتخذ كل ما كان مفيداً ونافعاً، لِمَ تجول في الجبال وتسال عن الحمير الموحشة، أو غيرها من الوحوش التي ترعي هناك، الا ترى الطفل نفسه متى دنا من ثدي امه يرضع اللبن ويشبع، ولكنه لا يعرف كيف يفتش على الأصل والمنبع الذي يسيل منه، لأنه يرضع اللبن ويفرّغه كله، ثم يمتلي الثدي ثانياً، ولا يعرف الصبي شيأً من ذلك كلاًّ ولا امّه، مع ان اللبن يصدر منها.

فان كنت تطلب الرب في العمق[٣١] فهناك تجده، وان طلبتهُ في

---

(٣١) مزمور ١٠٧ عدد ٢٤

الماء فهناك تجده صانعاً العجائب، وان فتشت عليه في الكهف فهناك تجده[٣٢] في وسط سدَين واقياً داينال البارّ، وان سالت عنه في النار[٣٣] فهناك تجده معيناً عبيده، وان طلبته في الجبل[٣٤] تجده مع موسي وايليا فهو إذاً في كل مكان سواء تحت الأرض أو فوق السماوات أو داخلنا نعم انه في كل مكان، كذلك النفس هي قريبة منك، وفي باطنك، وفي خارجك أيضاً، لأنه حيثما كان شوقك إلى بلاد قاصية فهناك يكون عقلك، سواء كان نحو المغرب، أو المشرق، أو نحو السمآء، فهناك يوجد هو.

فلنسعَ إذاً قبل كل شيء في أن تكون علامة الرب[٣٥] وختمه[٣٦] فينا من داخل، لأنه في يوم الدينونة حين يقسم الله القسمة، وجميع أسباط الأرض أي ادم بكليته يُجمَعون ويدعو الراعي رعيتهُ[٣٧] فجميع مَن كانت فيهم العلامة يعرفون راعيهم، ويعرف الراعي مَن كان فيهم ختمهُ، ويجمعهم من كافة القبائل، لأن خاصتهُ[٣٨] تسمع صوتهُ وتتبعهُ، وينقسم العالم قسمين[٣٩]، فقطيع مظلم[٤٠] يذهب إلى النار الموبدة[٤١]، واخر ممتلي نوراً يُؤَدِّي إلى النعيم السماوي، وذلك

(٣٢) دانيال ص ٦ عدد ٢٢
(٣٣) دانيال ص ٣ عدد ٢٥ و٢٨
(٣٤) متى ص ١٧ عدد ٣ و٤
(٣٥) غلاطيا ص ٦ عدد ١٧ حزقيال ص ٩ عدد ٤
(٣٦) روبا ص ٧ عدد ٢ و٣ افسس ص ١ عدد ١٣
(٣٧) يوحنا ص ١٠ عدد ١١
(٣٨) يوحنا ص ١٠ عدد ٢٧
(٣٩) متى ص ٢٥ عدد ٣٢ و٣٣
(٤٠) قابل ناحوم ص ٢ عدد ١٠ بيهودا ص ١٣
(٤١) متى ص ٢٥ عدد ٤١

الذي نمتلكه الان داخل نفوسنا، هو الكنز الذي يضيء ويلوح ويكسو أجسادنا مجداً.

وكما انه في فصل شهر نيسان تُخرِج الجذور المدفونة في الأرض ثمارها، وما يختص بها من الزهور والمحاسن، سواء هي الجذور الجيدة التي تثمر ثمراً أو التي تخرج شوكاً فكلها تظهر، كذلك في ذلك اليوم يكشف كل أحدٍ ما فعله بالجسد، ويظهر الأخيار والأشرار معاً، لأن هناك تكون الدينونة والمجازاة العامَّة، فانه يوجد نوع طعام اخر غير هذا المنظور، لأن موسى لمَّا صعد إلى الجبل صام أربعين يوماً، ولم يصعد الاَّ بشراً ولكنه نزل متايّداً بالله، ونحن نرى في نفوسنا انه ان لم يسند الجسد بالطعام يضعف مع ان موسى بعد أن صام أربعين يوماً نزل أقوى من جميعهم، لأن الله قاته فنال جسده نوع طعام اخر من السماء، فان كلمة الله كانت له طعاماً[٤٢]، وكان على وجههِ مجد[٤٣] فكان الذي حَدَثَ رمزاً، لأن عين ذلك المجد يضي الان في قلوب المسيحيين، إذ الأجساد التي تقوم في القيامة تستتر بكساءٍ اخر الهيّ وتقتات بقوت سماوي.

سوال ما معنى ان الامراة تصلي وراسها مكشوف.

جواب لأن في عهد الرسل كانوا طوال الشعور ولمثل هذا السبب جاء الرب والرسول إلى المخلوق واعادوه إلى حسّ الوَرَع، والمراة هنا كناية عن الكنيسة، وكما أن النسا في تلك الايام كنّ يطوّلن شعورهن ستراً لهنّ، كذلك البيعة تكسو اولادها وتلبسهم ثياباً الهية مجيدة،

---

(٤٢) متى ص ٤ عدد ٤

(٤٣) ثاني قورنثية ص ٣ عدد ٧

ولكن الكنيسة الاسرائيلية كانت في القديم واحدة، وكانت مستورة بالروح، وكانوا مكسيين بالروح للمجد مع انهم لم يكونوا ذوي نظام، فالكنسية إذاً تثبت بجمع وبنفس واحدة، لأن النفس تضبط أفكارها فتصير كنيسة كاملة لله، لأن النفس هي مناسبة لعشرة العريس السموي، وقد تختلط بذلك السموي، ولكن يجب فهم هذا نظراً لجمع ولشخص مفرد معاً، لأن النبي في كلامه عن اورشليم قال[٤٤] وجدتكِ عريانة فكسوتكِ الخ، فكأنه كان يتكلم عن شخص مُفرد.

سوال ما معنى قول مرثا للرب عن مريم انا مجتهدة مهتمة في أمور كثيرة، واما هي فجالسة بحذائك[٤٥].

الجواب ان الذي وجب على مرثا ان تجيب به منعها الرب عنه وقال لها، انها تركت حقاً كل شي وجلست عند قدمي الرب، وصرفت النهار كله في تسبيح الله، فانظر كيف اُذِن لها في الجلوس جزاءً لمحبتها، ولكني أريد أن أزيد كلمة الله وضوحاً فانتبهوا فاقول، ان احب انسان يسوع وراعاه، واصغى له بجدّ ليس على سبيل العادة فقط، بل داوم أيضاً على المحبة، فالله يفتكر حينئذٍ في أن يعطي تلك النفس جزاءً مّا لمحبتها، مع أن الإنسان يكون وقتئذٍ جاهلاً ما يكاد يناله، وما مقدار ما ينعم به الله على النفس، لأن مريم التي أحبته وجلست عند قدميه لم ينعم عليها بموانسته فقط، بل اَسرَي إليها من جوهره أو طبيعته فضيلة ما خفية، لأن الكلام عينه الذي نطق به الرب لمريم بهدوّ كان

---

(٤٤) ص ١٦ عدد ٧ و١٠

(٤٥) لوقا ص ١٠ عدد ٤١

كله روحاً[٤٩] وقوة حقانية، ولما دخل هذا الكلام في قلبها صار نفساً في النفس وروحاً في الروح، وفاضت القوة الإلهية في قلبها، لأنه من الضرورة ان تلك القوة اينما حلَّت لا تزول، كملْك لا يحول أبداً، ولهذا السبب أجاب قايلاً، ان مريم اختارت النصيب الأصلح لعلمه بما أنعم به عليها[٤٧]، وبعد ذلك بمدة كل ما فعلته مرثا على سبيل الخدمة بلغ بها كذلك إلى تلك النعمة، لأنها نالت أيضاً الفضيلة الإلهية في نفسها.

وأيّ عجب من أن الذين ياتون إلى الرب ويلتصقون به جسداً[٤٨] ينالون منه فضيلة، والحال ان الرسل لما كانوا يبشرون بالكلمة كان الروح القدس[٤٩] يحلّ على الذين يومنون بها، وكرنيليوس نال فضيلة من الكلمة التي سمعها، فكم بالحري حين نطق الرب بالكلمة لمريم بشخصه[٥٠]، أو لزكا، أو للخاطية التي حلَّت شعرها ومسحت قدمي ربها، أو للسامرية[٥١]، أو للّص[٥٢]، إذ صدرت منه فضيلة وكان الروح القدس يختلط بارواحهم، وحتى الان جميع الذين يحبون الله ويرذلون كل الأشياء لأجله ويواظبون على الصلاة يتعلَّمون[٥٣] سرّاً

---

(٤٦) يوحنا ص ٦ عدد ٦٣
(٤٧) لوقا ص ١٠ عدد ٤٢
(٤٨) قابل افسس ص ٥ عدد ١٠ بأول قورنثية ص ٦ عدد ١٥
(٤٩) ابركسيس ص ١٠ عدد ٤٤
(٥٠) لوقا ص ١٠ عدد ٤٢ وص ١٩ عدد ٩ وص ٧ عدد ٤٨
(٥١) يوحنا ص عدد ١٤
(٥٢) لوقا ص ٢٣ عدد ٤٣
(٥٣) قابل مزمور ٥١ عدد ٦ و٦٦ عدد ٧ و٨ وأول قورنثية ص ٢ عدد ١٠

ما لم يعلموه من قبل، لأن الحق يظهر لهم بحسب بغيتهم له ويعلمهم، انا هو الحق[٥٤]، لأن الرسل أنفسهم بمواظبتهم مع الرب قبل الصلوات، راوا علامات عظيمة[٥٥] كيف كان البرص يتطهرون والموتى يقومون، الاَّ انهم مع ذلك كانوا يجهلون طريق القوة الالهية[٥٦] وكيفية فعلها في القلب[٥٧]، ولم يعرفوا انه يجب أن يولدوا ثانياً بالروح ويختلطوا بالنفس السموية ويصيروا خلقاً جديداً، ولكنهم احبّوا الرب لأجل الآيات التي فعلها، وأخيراً قال الرب لهم، لماذا تتعجبون من هذه الآيات، انني اعطيكم ميراثاً ليس عند العالم مثله، فلم يزالوا مستغربين كلامهُ إلى أن قام من بين الموتى، واَخَذَ جسده إلى أعلى من السموات لأجلنا وحينئذ دخل روح العزاء في أرواحهم وامتزج بها، والحق يظهر في النفوس المومنة، والإنسان السموي[٥٨] يلاقي الإنسان الجسداني ويصيرا شركة واحدة.

فجميع الذين هم للخدمة ويفعلون كل شي ببشاشة وغيرة وايمان وحب لله، ففعلهم ياتي بهم بعد زمان إلى معرفة الحق عينه، لأن الرب ينكشف لنفوسهم ويعلمهم طريقة الروح القدس، فالمجد والسجود للاب وللابن وللروح القدس إلى الأبد امين.

---

(٥٤) يوحنا ص ١٤ عدد ٦

(٥٥) متى ص ١١ عدد ٥

(٥٦) يوحنا ص ٣ عدد ٨

(٥٧) يوحنا ص ٣ عدد ٨

(٥٨) أول قورنثية ص ١٥ عدد ٤٧

العظة الثالثة عشر

في الثمرة التي يطلبها الله من المسيحيين

كل الأشياء الظاهرة[١] خلقها الله وأعطاها للبشر لأجل تنعمهم وابتهاجهم، ومنحهم ناموس البرّ، ولكن منذ اتى المسيح صار ينتظر الله ثمرة أخرى، ونوع بر اخر ونقاوة قلب، ونية صالحة، وخطاباً مفيداً، وأفكاراً عفيفة حسنة، وسيرة القديسين المضبوطة، لأن الرب قال[٢] ان لم يفضل عدلكم على عدل الكتبة والفريسين فلا تدخلون ملكوت السموات، وكُتِب في الناموس لا تزنِ، وأنا أقول لكم لا تشتهوا[٣] ولا تغضبوا[٤]، لأن مَن شاء ان يكون صديقاً للمسيح واخاً وابناً له، يجب عليه أن يفعل شياً ما غريباً فايقاً بقية الناس، يعني أن ينذر قلبه ولبه لله، ويرفع إليه أفكاره فيمنح الله لقلبه بالسرّ حياة وعوناً، ويُودِعه ذاته عينها، لأنه متى سلَّم الإنسان لله سرائره، يعني قلبه وأفكاره بحيث لا يلهيَ ولا يطيش، وإنما يغصب نفسه كل غصب، فحينئذ يتفضل الرب بان يصيره شريكاً في الأسرار بأعظم قداسة ونقاوة، ويعطي نفسه الطعام السموي والشراب الروحاني.

وكما نفرض ان إنساناً عنده خيرات عظيمة وخدام وبنون، وعنده

---

(١) مزمور ١٩ عدد ١
(٢) متى ص ٥ عدد ٢٠
(٣) متى ص ٥ عدد ٢٨
(٤) متى ص ٥ عدد ٢٢

نوع من الخبز للخدام، ونوع اخر لبنيه المولودين من زرعه، لأن البنين هم ورثاء الاب وياكلون معه سوية لكونهم يماثلون اباهم، كذلك المسيح الرب الحق خلق كافة الأشياء بنفسه ويَعُول الأشرار وغير الشاكرين، واما البنون الذين ولدهم من زرعه(٥)، ومنحهم من نعمته وقد صُوّر فيهم الرب(٦) فانه يعولهم بنوع مخصوص من الطعام والقوت ماكولاً ومشروباً أفضل من باقي الناس، ويُعطي نفسه للذين لهم عشرة مع أبيهم(٧) يسوع، كما قال الرب(٨)، من ياكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وانا فيه، ولا يعاين الموت، لأن الذين يأخذون الميراث الحقيقي فهم بنون مولودون من الاب السموي، ويسكنون في بيت ابيهم كما قال الرب(٩) العبد ليس يثبت في البيت إلى الأبد فاما الابن فثابت إلى الأبد.

فان شئنا نحن أيضاً ان نولد من الاب السموي فعلينا أن نفعل ما يفوق سائر البشر، ونشرّف نفوسنا بالاجتهاد والجدّ والغيرة والمحبة، وحسن السيرة، والمواظبة على الايمان، والخشية، مشتهين ان نقتني تلك الخيرات، ونأخذ الله ميراثاً، لأنه قال الرب نصيب ميراثي(١٠)

---

(٥) قابل يوحنا ص ١ عدد ١٢ و١٣ بيعقوب ص ١ عدد ١٨ واول بطرس ص ١ عدد ٢٣

(٦) غلاطيا ص ٤ عدد ١٩

(٧) اشعيا ص ٩ عدد ٦

(٨) يوحنا ص ٦ عدد ٥٤ و٥٦ وص ٨ عدد ٥١

(٩) قابل يوحنا ص ٨ عدد ٢٥ بالعبرانيين ص ٣ عدد ٥ و٦

(١٠) مزمور ١٦ عدد ٥

وكاسي، فاذا راي الله منا حسن القصد والصبر يُجري علينا رحمته وينقينا بكلمته السموية من دنس الخطية ومن تلك النار الأبدية[١١] التي في باطننا، فهذا يوهلكم للملكوت، والمجد لرحمته اللطيفة، وللرضي الحسن الذي ظهر[١٢] من الاب والابن والروح القدس امين.

✠

العظة الرابعة عشر

في ان الذين يسلمون أفكارهم وعقلهم لله يفعلون ذلك رجاءَ أن تستنير عيون قلبهم. وان يحسبهم الله أهلاً للسرائر في أعلى درجات القداسة والطهارة ويمنحهم من نعمته. وفيما يجب علينا فعله نحن الراغبون في اقتنآ الخيرات السموية. وان الرسل والأنبيا قد تشبّه بأشعة الشمس التي تدخل في الطاقة وهذه العظة تعلمنا ما هي أرض الشيطان وأرض الملئكة. وان كلتيهما لا تُلمَسَان ولا تُنظَرَان

جميع صنايع العالم التي تقع تحت نظرنا قد صُنِعَت رجاء أن ينتفع البشر بأعمالها، ولو لم يكن لأجل ثقة التمتع بالأعمال لَمَا كان يحصل تدرّج ونجاح قط، لأن الفلاح انما يبذر زرعه لانتظار الثمرة، ولاجل هذا الانتظار يتحمل مشقات عظيمة، قال الكتاب المقدس[١] على الرجآ يحق للحراث أن يحرث، والمتزوج يتزوج على رجآ حصول الورّاث،

---

(١١) يعقوب ص ٣ عدد ٦ وص ٥ عدد ٣ وهوشع ص ٧ عدد ٤ و٦

(١٢) طيطس ص ٣ عدد ٤

(١) اول قورنثية ص ٩ عدد ١٠

والتاجر إنما يلقي نفسه في البحر والموت البيّن لأجل المكسب، كذلك هو الأمر نظراً لملكوت السموات، فان الإنسان يسلّم نفسه رجآ ان تستنير عيون قلبه فيتجنب أمور هذه الحياة، ويتبع الصلاة والابتهال كثيراً منتظراً الرب حين يأتي ويكشف له نفسه، ويطهره من الخطية الحالّة فيه.

ولا يثق بتعبه وسعيه إلى أن ينال الأشيآ التي يرتجيها، ويأتي الرب ويحلّ فيه بحسّ الروح التام وفاعليته، فمتى ذاق صلاح الرب[٢] وابتهج بثمار الروح[٣] وارتفع عنه ستر الظلام[٤] واضآ نور المسيح[٥] وامتد بالفرح بما يفوق الوصف، فحينئذ يقنع إلى الغاية، إذ يكون معه الرب بمودة ابٍ عظيمة، كما يفرح التاجر باكتساب ما ارتجاه كما قلنا آنفاً، ولكنه يكون قبلاً في همّ وخوف من اللصوص والأرواح الخبيثة[٦]، لئلاَّ إذا تغافل يضيع تعبهُ باطلاً إلى أن يحين زمان يُحسب فيه أهلاً لملكوت السموات في أورشليم العليا.

فسبيلنا نحن أيضاً أن نتوسل إلى الله لأجل أن يجرّدنا من الإنسان العتيق، ويلبسنا المسيح السموي من هذه اللحظة الحاضرة، حتى إذا امتلانا بهجةً واهتدينا بهِ نعيش في المستقبل بهدوّ عظيم، لأن الرب عندما شاء أن يشبعنا بذوق ملكوتهِ قال، بغيري لستم تقدرون أن تعملوا شياً[٧]، وقد عَلِم أيضاً كيف يُنير كثيرين بواسطة الرسل لأنهم

---

(٢) مزمور ٣٤ عدد ٨

(٣) غلاطيا ص ٥ عدد ٢٢ و٢٣

(٤) ثاني قورنثية ص ٣ عدد ١٦

(٥) ثاني قورنثية ص ٤ عدد ٤

(٦) لوقا ص ٨ عدد ١٢

(٧) يوحنا ص ١٥ عدد ٥

لما كانوا هم أنفسهم، من جملة الخلق، رَبَّوا العبيد أمثالهم، وبحُسن سيرتهم وتعليمهم احيوا واقاموا عقول اناس كانت قبل مايتة[٨] وفاسدة، لأن بعض الخلق يقوي الاخر ويحييه، كما تفعل السُحب مثلاً بالغلة والحنطة والحال انها مخلوقة، والمطر أيضاً والشمس يُحييان ما يومران باحيائه[٩].

وكما أن النور يدخل من الطاقة ولكن الشمس تلقي شعاعها في الأرض كلها، هكذا كانت الأنبياء أنواراً[١٠] لبيتهم اعني لاسرائيل، واما الرسل فكانوا شموساً كاملة ملقية نورها الساطع في جميع أقسام العالم[١١].

ثم قد توجد أرض تسكنها الحيوانات ذوات الأربع ومقام في الجوّ تطوف فيه الطيور وتعيش، فان أرادت السقوط أو المشي على الأرض (على صحة القول) فلا شك في أن يصطادها الصيَّادون، وتوجد أرض للاسماك وهي مياه البحر، والمكان الذي يولد فيه شيء سواء في الأرض أو في الجوّ، ففيه يعيش ويقتات ويرتاح، وكذلك توجد أرض وبلد شيطانية تعيش فيها قوات الظلمة وأرواح الخبث وهناك تطوف وتقيم، وتوجد أرض أيضاً نورانية وهي أرض اللاهوت حيث جنود الملئكة[١٢] والأرواح المقدسة تصعد وتهبط في راحة تامة، والأرض المظلمة لا تنظرها عيون هذا الجسد، ولا تُلمَس قط، والأرض المستنيرة أيضاً أرض الكائن

(٨) افسس ص ٢ عدد ١
(٩) قابل تثنية ص ٣٨ عدد ٨ ومزمور ١٤٨ عدد ٣ و٤ اشعيا ص ٥ عدد ٦
(١٠) ثاني بطرس ص ١ عدد ٩
(١١) مزمور ١٩ عدد ٤ ورومية ص ١٠ عدد ١٨
(١٢) قابل مزمور ٣٤ عدد ٧ عبرانيين ص ٢١ عدد ٢٢ و٢٣ رويا ص ١٤ عدد ١

الالهيّ لا تُلمَس قط، ولا تعاينها عيون الجسد، واما الروحانيون فان الأرض الشيطانية وأرض اللاهوت النورانية معاً تتكشفان لعين قلبهم.

وكما أن أخبار الغير تُعلِمنا انه توجد جبال نارية حيث النار متقدة دائماً وفيها حيوانات كالغنم. والذين يصطادونها يصنعون لهم عجلات من حديد ويزرقون خطاطيفهم ويطرحونها في النار، لأن تلك الحيوانات ليس لهنّ طعام سوي النار، وهي أيضاً مشروبهن وتنعمهنّ ونموهنّ ومعيشتهن، والنار لديهنّ تغني عن كل شيء، وان اتيت بهنّ إلى اقليم اخر لم يَعِشنْ، وإذا اتسخت ثيابهنَّ يوماً ما فلا يغسلنها في ماء بل في نار فتنظف وتبيض، كذلك المسيحيون عندهم النار الالهية طعاماً لهم، وهي لهم تنعم، وهي تنظف قلبهم وتغسله وتقدسه، وهي تُنميهم، وهي هواؤهم وحياتهم، وان خرجوا منها أهلكتهم الأرواح الخبيثة، وكما أن الحيوانات المذكورة في المَثَل السابق إذا تحرَّكت خارجاً من النار ماتت، وكذا يموت السمك إذا خرج من الماء، والبهائم إذا طُرحت في البحر تختنق والطيور إذا سقطت على الأرض يصطادها الصيّادون، كذلك النفس التي لا تُقيم في تلك الأرض تغطس وتموت، وإذا لم تكن النار الإلهية طعاماً لها وشراباً ولباساً وتقديساً للقلب وتطهيراً للنفس، فان الأرواح الخبيثة تقبضها حالاً وتهلكها، فسبيلنا أن نفحص بتامل ان كنا نحن زُرعنا(١٣) في تلك الأرض الغير منظورة، وطُعّمنا في الكرمة السموية اَولا(١٤)، فالمجد لمراحمه امين

(١٣) هوشع ص ٢ عدد ٢٣

(١٤) يوحنا ص ١٥ عدد ١ رومية ص ١١ عدد ٢٣

العظة الخامسَة عشر

هذه العظة تعلّمنا بالتفصيل كيف يجب على النفس أن تسعى بالقداسة والمحبة والطهارة تجاه عريسها يسوع المسيح مخلص العالم. وتتضمن أيضاً بعض سوالات فيها تهذيب عظيم وهي (مثلاً) هل في القيامة تقوم الأعضآ كلها. وغير ذلك كثير بخصوص الشر والنعمة ومطلق الارادة. ورتبة الطبيعة البشرية.

إذا كان شخص كثير الغنى وهو أمير مُفخَّم، يودّ امراة مسكينة ليس معها سوى جسمها ويصير لها محبّا، ويريد أن يُؤتَى بها إلى مسكنه لتكون له زوجة واليفة في المنزل، ولا تزال هي بعد ذلك تظهر لهذا البعل جميع أصناف الارادة الحسنة، وتحبه محبة دائمة، فتلك الامراة المسكينة الفقيرة التي لم تكن تملك شياً تصبح متولية جميع ما يحرزهُ زوجها، واما أن اتفق انها تتجاوز حدود العفة والواجبات، وتسير بما لا يناسب بيت بعلها هذا، فحينئذٍ تُطرَد إلى خارج مفتضحة ذليلة، ساترة راسها بيديها، كما يلمّح إلى ذلك موسى في الناموس نظراً إلى المراة المخبَّلة، التي لا تجدي بعلها نفعاً، ثم انها تمتلي فيما بعد حزناً وكآبة مفرطة، وتتفكّر في نفسها كيف سقطت من هذا الغنى العظيم، وكيف أضاعت ذلك المجد الفاخر، وتجرَّدت من كرامتها كلها بجهلها، وكذلك النفس التي يخطبها المسيح العريس السموي لنفسه لأجل شركته

السرية الالهية[١]، فان ذاقت ذلك الغني السموي[٢] ولو مرة فيجب عليها بكل الجهد والميل العقلي ان تُرضي المسيح حبيبها، وتبرهن[٣] على خدمة الروح التي اتمنت عليها برهنةً تامة، بكل سلوك عفيف ملايم، بارضا الله في الأشياء كلها، وعدم احزان الروح[٤] في شيء من الاشيا، بل تداوم على مراعاته وحبه عن احساس بالواجب عليها، وترفع نفسها إلى منزل هذا العريس السموي بسيرة حسنة، وبحمد قلبي على النعمة التي وُهِبَت لها، فمثل هذه النفس تتوشح حقاً بتولّي خيرات مولاها كلها، ويصير جسدها مسكناً مجيداً للاهوتهِ، واما ان قصَّرت وصنعت شياً غير لائق في خدمتها دون الاشيآ المرضية له، وما حفظت إرادته على التمام، وما فعلت مع نعمة الروح الحاضرة معها، فحينئذٍ تُنزع منها كرامتها كلها بالعار والفضيحة، وتُنفَي من الحياة كانها لا نفع بها، وليست مناسبة لشركة الملك السموي أبداً، وبعد ذلك يصير غمّ وحزن وتاسّف عام بين القديسين كلهم وبين الأرواح العقلية على تلك النفس، وتنوح عليها الملئكة والقوات والرسل والأنبيآ والشهدا.

فانه كما قال الرب[٥] انه يكون فرح في السماء بخاطي واحد يتوب، وكذلك يكون في السماء غمّ عظيم وتاسّف على نفس واحدة تسقط من الحياة الأبدية، وكما إذا مات على الأرض غني يُخرَج من العالم بالمراثي والاسف والولولة من اخوته وأقاربه وأصحابه ومعارفه، كذلك تلك

---

(١) أول يوحنا ص ١ عدد ٣
(٢) رومية ص ٢ عدد ٤
(٣) ثاني طيماثاوس ص ٤ عدد ٥
(٤) افسس ص ٤ عدد ٣٠
(٥) لوقا ص ١٥ عدد ٧

النفس ينوح عليها جميع القديسين بنحائب ومراثي، وهذا مدلول قول الكتاب المقدس أحياناً، ولول يا أيها الابنوس لأن الأرز قد سقط(٦)† وكما أن شعب اسرائيل لمَّا كان في الظاهر انهم يرضون الله مع انهم لم يرضوه كما ينبغي، ظلل عليهم عمود من غمام(٧)، واضاء عليهم عمود من نار(٨)، وراوا البحر قد انقسم قدام عيونهم، وانبجس لهم من الصخرة ماء رائق(٩)، ولكنهم بهواهم ومرامهم مالوا عن الله فسلَّمهم للحيات(١٠) ولاعدايهم(١١)، فاخذوا إلى أسرٍ مُضنٍ وامتُحنوا بعبودية مُرَّة، وكذلك يحدث للنفس من كل الاعتبارات، وقد أظهر الروح ذلك للنبي حزقيال سراً وقال لمثل هذه النفس(١٢)، وجدتكِ عريانة في البرية، وغسلتكِ من ماء نجاستكِ، والبستكِ ثوبا وجعلت، الاساور في يديكِ، وطوقاً في عنقك واقرطة لاذنيكِ، وشاع خبر اسمكِ في الامم، واكلتِ سميذاً وعسلاً ودهناً، ونسيتِ جميع أفضالي، واتبعتِ عاشقيكِ، وارتكبت الزنا الفاضح.

---

(٦) زخريا ص ١١ عدد ٢
(٧) خروج ص ١٣ عدد ٢١ و٢٢ وص ١٤ عدد ١٩ و٢٠
(٨) خروج ص ١٤ عدد ٢١ و٢٢
(٩) خروج ص ١٧ عدد ٦
(١٠) العدد ص ٢١ عدد ٦
(١١) مزمور ٧٨ عدد ٦١
(١٢) حزقيال ص ١٦

† في الأصل وفي ترجمة السبعيني. ولول أيها الصنوبر لأن الابنوس قد سقط. فالابنوس معناه الابرار. مزمور ١٧ عدد ١٢ كما اقتبس المصنف هذه الكلمات. الابنوس هم القديسون في المجد. أو الملئكة التي لم تخطئ، وفي القرآة العامة معناه اعضآ الكنيسة الضالة أو المرتدة. اشعيا ص ٢ عدد ١٣

وكذلك الروح ينصح النفس التي تعرف النعمة الالهية وبعد أن تتطهر من خطاياها السابقة وتتزيّن بزينة الروح القدس(١٣) وتصير شريكة في القوت الالهي السموي، ثم لا تكون سيرتها مطابقة جيداً لما لها من نصيب المعرفة المخصوصة، ولا تحافظ على التوقير والمحبة، كما يجب للمسيح العريس السموي، فحينئذٍ تُطرَح من الحياة التي كانت مشتركة فيها قبلاً، فان ابليس لا يزال له قدرة أن ينتصب ويقوم وينتهز فرصة على الذين يحصلون على هذه الغاية ولو كانت بعيدة، والخطية تتسلّط على الذين عرفوا الله بنعمته وقوتهِ(١٤) وتسعى في نقض مراتبهم.

فسبيلنا إذاً أن نجتهد وبغاية التبصّر نسعي في عمل خلاصنا بخوفٍ(١٥) ورعدة، ولذلك مهما كنتم أنتم أيها الذين صرتم شركآ في روح المسيح، فلا تطلعوا في نفوسكم من أي وجه كان سواء كنتم صغراء أو عظماء، ولا تتكبروا على النصيحة، ولا تعاندوا روح النعمة، ليلاَّ تُنفوا من الحياة التي كنتم شركآ فيها.

وقد أكرر ذلك بوصفٍ آخر، وهو كما إذا كان يؤخذ إلى القصر خادم مثلاً ليحتفظ بالأواني التي تستعمل يومياً، وهو ياخذ من خيرات الملك، لأنه لم يُحضِر معه شياً، ويخدم الأواني الملوكية، فمع ذلك يلزم أن يكون ذا بصيرة وتمييز عظيم، لكيلا يرتكب خطآء ما في الخدمة

---

(١٣) اول بطرس ص ٣ عدد ٤

(١٤) قابل اول يوحنا ص ٢ عدد ٣. فيليمون ص ٤ عدد ١٣

(١٥) فيلبسيوس ص ٢ عدد ١٢

بتخليط الصحاف، ووضعه على مايدة الملك واحدة منها بدل الاخرى، بل يرصّ أول وآخر سماط بدقة النظام، واما ان حمله جهله وعدم تمييزه على أن يخدم الملك بدون ترتيب حسن، فان ذلك يساوي مرتبته وعمره، كذلك النفس التي تخدم الله بالنعمة والروح، يلزم لها من التبصّر والمعرفة شي ليس قليلاً حتى لا تخطي في أواني الله، أو في خدمة الروح لعدم موافقة إرادتها للنعمة، لأنه يتفق أحياناً ان في خدمة الروح التي يخدمها الإنسان الباطن سراً، تخدم الرب نفس ما باوانيها يعني بروحها، الاَّ انه من دون اوانيه أي بغير النعمة لا يمكن أحد أن يعبد الله، اعني أن يعمل مشية الله عملاً مقبولاً من جميع الوجوه، وإذا نال امرء النعمة فلا يزال وقتئذٍ محتاجاً إلى الفهم والتمييز، (وهما عطية من الله أيضاً[١٦] ويمنحهما للنفس التي تطلبهما منه)، لكي يخدمه خدمة مقبولة بالروح الذي يناله، ولا تدهشه الخطية من أي وجه، ولا يتزعزع بالجهل أو الطيش أو الاهمال، فيكون قد ضلّ وصنع مشية الرب بنوع غير مناسب، لان نتيجةَ ذلك العقابُ والموت والحزن لمثل هَتِهِ النفس، وذكر ذلك الرسول الالهي[١٧] فقال لئلاَّ أكون انا الذي بشرت اخرين اُرذَل، اَلاَ ترى كيف كان خوفه مع انه كان رسول الله.

فلنتوسل إذاً إلى الله نحن الذين كنا شركاء في النعمة لكي نخدم في عبادة الروح خدمة مقبولة بموجب إرادته، ولا نسير جميعاً بأفكار يحتقر بها بعضنا بعضا، حتى إذا أرضته سيرتنا وعبدناه على مقتضى إرادته عبادة روحانية نرث الحياة الأبدية.

---

(١٦) يعقوب ص ١ عدد ٥

(١٧) أول قورنثية ص ٩ عدد ٢٧

الإنسان عرضة للضعف ومع ذلك يتفق ان بعضاً من أعضاءَ جسده تظل صحيحة، فتبقي العين مثلا للبصر أو غيرها من الأعضا والبقية تُفنَى، وكذلك في الحال الروحانية يتفق ان إنساناً تكون فيه ثلاثة من اعضاء الروح صحيحة، ولكنه لا يكون من أجل ذلك كاملاً، فانظركم للروح من مقادير ودرجات مختلفة، وكيف ان الخطية تزيد وتنقص رويداً رويداً لا دفعة واحدة، ثم ان غاية الله وتدبيره كله، واشراق الشمس وكافة الخلايق انما صُنِعَت جميعها لاجل الملكوت الذي يرثه المختارون، لكي يكون ملكوتاً مؤلّفا من سلام واتفاق.

فلذلك يجب على المسيحيين أن يجتهدوا في الضبط في كل الأشياء، ولا يدينوا أحداً حتى ولا زانية من الزواني، ولا الاثمة المشهورين بخطاياهم، ولا القليلي النظام، بل أن يراعوا كل جنس البشر بسداجة النية وعين النقاوة، لكي يصبح الإنسان من طبيعته واساسه ان لا يستخف باحد، ولا يدين أو يكره أحداً، حتى ولا يميّز بين أشخاص الناس، فان رايت رجلاً اعور فلا تحتقره في قلبك، بل اعطِه من المراعاة حقه الذي كنت تعطيه له، لو كان لا عيب به، وانظر إلى الاكتع كانه لاكتع به، والى الاعرج كانه إنما يسير معتدلاً، وإلى الأبرص كانه كامل الصحة، لان نقاوة القلب الصحيحة هي انك إذا رايت الخاطئين أو الضعفا ترثي لحالهم وتظهر لهم الرحمة، لأن هكذا يتفق ان قديسي الرب يجلسون في المحرس[١٨]، ويعاينون ضلال العالم وخداعه، ويخاطبون الله بالانسان الباطن، واما بالانسان الخارج

---

(١٨) قابل حبقوق ص ٢ عدد ١. بالجامعة ص ٣٧ عدد ١٤

فانهم يظهرون لجنس البشر كانهم انما يشاهدون ما يحدث في العالم.

ولذلك قد يستخرج أهل العالم نوع فاعلية من روح الضلالة ليلتذوا بالأمور الدنيونة، واما المسيحيون فلهم ميل بعكس ذلك وضمير مخالف له، فانهم منسوبون إلى دنيا اخرى ومدينة أخرى، لأن روح الله يكون له شركة[١٩] مع ارواحهم، ويدوسون[٢٠] العدو تحت اقدامهم، لأنه مكتوب[٢١] انه بطل الموت الاخير، لأن الذين يعبدون الله هم ارباب على الكل، واما المتراخون في الايمان والخاطئون الجسام فهم عبيد للكل، فالنار تحرقهم والحجر[٢٢] والسيف[٢٣] يقتلهم، واخيرا تتسلّط عليهم الشياطين.

سوال هل في القيامة تقوم الاعضآ كلها.

جواب ان على الله كل شي هيّن وكذلك وعد هو، ولكن ذلك يظهر لضعف الناس وفهمهم[٢٤] كانه شي عسير فانه كما ان الله أخذ من التراب[٢٥] والثري واقام جنس طبيعة اخرى غير مشبهة للأرض أبداً، وميزها بأنواع مختلفة كالشعر والعظام والعروق، وكما ان الابرة إذا طُرحت في النار يتغيَّر لونها بكليته وتنقلب ناراً، (والحال ان طبيعة الحديد لا تنزع منها بل تظل على جوهرها الأول)، كذلك في القيامة تقوم الاعضاء كاملة،

---

(١٩) اول يوحنا ص ١ عدد ٣
(٢٠) مزمور ٩١ عدد ١٣
(٢١) اول قورنثية ص ١٥ عدد ٢٦
(٢٢) قابل الجامعة ص ٦ عدد ٢١. بلوقا ص ٢٠ عدد ١٧ و١٨
(٢٣) عبرانيين ص ٤ عدد ١٢
(٢٤) ابركسيس ص ١٧ عدد ١٨
(٢٥) تكوين ص ٢ عدد ٧

ولا يفني الشعر كما هو مكتوب[٢٦] ويكون شكلها كلها نوراً وتجعل في النور والنار[٢٧] وتتغير حقاً تغيراً كافياً، ولكنها لا تتمزق على قول بعض وتصير ناراً خالصة ولا يفضل من طبيعتها شي، كلاَّ بل بطرس لا يزال بطرس بعينه، وبولس بولس، وفيلبس فيلبس كما كان بعينه قبلاً، وكل واحد يظل في طبيعته وشخصه مملواً بالروح.

واما ان قلت ان الطبيعة فنيت بكليتها، وليس لبطرس ولبولس وجود، وان الله هو الكل المالئ كل مكان، وان الذين ذهبوا إلى جهنم لا يحسون بعذابهم، ولا الذين دخلوا الملكوت يحسون بالخير، فنقول كما نفرض ان بستاناً فيه أشجار مثمرة من كل صنفٍ، وفيه كمثرى أو تفاح، وكرمة مثمرة مورقة، ويحدث للبستان انه يتغير بما فيه من الأشجار والأوراق، فتنقلب طبيعة أخرى، وان كانت في الأول مهما كانت فبعد ذلك يصير لها منظر نيّر، كذلك البشر يتغيرون في القيامة وتتقدس أعضاؤهم وتصير كل شكل النور.

فيجب إذاً على رجال الله أن يستعدوا للحرب والقتال، وكالبطل إذا تحمل النزاع وما يتراكم عليه من الضرب ثم يردّه ثانياً، كذلك يجب على المسيحيين ان يتحملوا الشدايد التي من خارج[٢٨] والحروب الباطنة[٢٩]، حتى إذا ضُربوا أي ضرب يفوزوا أخيراً بالغلبة بواسطة الصبر، فان هذا هو سبيل الدّين المسيحي، لأنه حيثما يكون الروح

---

(٢٦) قابل متى ص ١٠ عدد ٣٠ بلوقا ص ٢١ عدد ١٨

(٢٧) مرقص ص ٩ عدد ٤٩

(٢٨) ثاني قورنثية ص ٧ عدد ٥

(٢٩) قابل الجامعة ص ٢ عدد ١. يمتى ص ٣ عدد ١٧ وص ٤ عدد ١

القدس فهناك يلي الاضطهاد والقتال ظلاً له، فقد ترى الأنبياء كيف اضطهدتهم أقاربهم من الأول إلى الاخر، والحال ان الروح القدس كان فاعلاً فيهم، وانظر إلى الرب الذي كان هو الطريق والحق[٣٠] كيف اضطهد ليس من امَّة غريبة بل من امتهِ، اضطهدته وصلبته قبيلتهُ المخصوصة في اسرائيل (يهوذا)، وكذلك الرسل، لأنه منذ زمان الصليب نزل روح العزاء وحلّ على المسيحيين، وبعد ذلك لم يُضطَهد أحد من اليهود، ولم يكن سوى الشهدا من المسيحيين، ومن ثم لا يجب على المسيحيين أن يستغربوا ذلك[٣١]، لأن اضطهاد الحق لازم ولا بدّ منه.

سوال ذهب بعض إلى أن الخطية تدخل من خارج وان الإنسان إذا شاء يقدر ان يطردها عنه ولا يُدخلها.

جواب كما أن الحية التي خاطبت حوّا في الخارج دخلت إلى الباطن بسرعة التفاتها، كذلك تدخل الان الخطية في الإنسان عن رضيً منه ولو كانت غريبة عنه، لأن الخطية لها أمر وحرية تامَّة للدخول في القلب، لا بل الأفكار ليست من خارج بل من داخل القلب، لأن الرسول يقول[٣٢] انا أحب أن تصلي الرجال بلا غضب ولا جدال، ثم ان الأفكار تخرج من القلب[٣٣] على ما نصَّه الإنجيل، فعليك إذاً بالصلاة، وافحص قلبك وضميرك جيداً، واشتهِ ان تصعد صلاتك إلى الله نقية، واحذر كل الحذر من أن يكون فيها شيء مخلّ بها بل تكون نقية، ويكون عقلك ماثلاً إلى الرب تماماً، كما يميل عقل الفلاح

---

(٣٠) يوحنا ص ١٤ عدد ٦
(٣١) اول بطرس ص ٤ عدد ١٢
(٣٢) اول طيماتاوس ص ٢ عدد ٨
(٣٣) متى ص ١٥ عدد ١٩

إلى فلاحته[٣٤]، والبعل إلى زوجته، والتاجر إلى تجارته، وان لا يشتت[٣٥] افكارك اخرون إذا جثوت للصلاة.

بل قد أتى الرب وشجب الخطية بصليبه، فليست هي في الباطن بعدُ، الاّ انه كما يودع احد العساكر عربته في بيت احد ما، وله قوة إذا شاء أن يدخل ذلك البيت ويخرج، كذلك الخطية لها حرّية للمجادلة في قلبك، لأنه مكتوب[٣٦] ان الشيطان دخل قلب يهوذا، واما ان قلت ان بمجي المسيح شُجِبت الخطية، وان الشرير ليس له بعد المعمودية مرعىً في القلب يكفيه منازعة، فانا أسالك هلاَّ تعلم كم من اناس كثيرة تعمدت منذ اتى المسيح إلى هذا الان ومع ذلك فقد اقلقتهم أحياناً الأفكار الخبيثة، ام لم يَمل بعضهم إلى المجد الباطل والفسق والشره، وهل كل الناس الذين من داخل حدود الكنيسة هم ذوو قلب نقي لا عيب فيه، اَوَلاَ نجد خطايا كثيرة ترتكب بعد المعمودية، وان كثيرين يخطئون حقاً، بل اللصّ بعد المعموديَّة يتجاسر على النقب ويفعل ما يشاء، لأنه مكتوب[٣٧] احب الرب الهك من كل قلبك، وانت تقول انا احبه وفيَّ الروح القدس، فهل هو فيك داخل عقلك، وهل عندك محبة من جدّ وشوق حار إلى الرب، وهل يعصمك ذلك ليلاً ونهاراً، فانك ان كان عندك محبة كهذه فأنت إذاً نقيّ، وان لم تكن عندك فلا تقطع

---

(٣٤) لوقا ص ١٤ عدد ٨ إلى ٢٠ وص ١٦ عدد ٨

(٣٥) متى ص ١٣ عدد ١٩

(٣٦) لوقا ص ٢٢ عدد ٣

(٣٧) تثنية ص ٦ عدد ٥

التفحص كلما تعرَّض لك شيء من المواد الأرضية، أو الأفكار الدنيئة الخبيثة، وانظر ان كان هواك لا يميل إليها، بل تنجذب نفسك(٣٨) بالاغتصاب دائماً إلى محبة الله وارادته، لأن أفكار العالم تخفض العقل إلى الأشيآ الأرضية الفاسدة، ولا تدعه يحب الله أو يتذكر الرب، ثم انه قد يحدث ان امّياً يذهب إلى الصلاة ويحني ركبهُ، ويدخل عقله إلى الراحة وعلى قدر ما يحفر ويتعمق ينهدم سور الخطية المتصدّر له، فيدخل الرويا والحكمة حيث لا يقدر الاعزّآ(٣٩) والحكمآ والفحصآ ان يُدركوا(٤٠) أو يعرفوا حال عقله السامي بسبب انشغاله بالأسرار الالهية ثمة، وكذلك الذي لا معرفة له باللؤلؤ لا يعرف أن يثمنه لقلة اختباره له، والمسيحيون أيضاً ينفرون من الأمور الأرضية المزخرفة ويحسبونها كالزبل(٤١) بالنسبة إلى العظمة التي يحسون بتاثيرها في باطنهم.

سوال هل يسقط مَن له موهبة النعمة.

جواب إن تَتَبَّع الاهمال يسقط لا محالة، لأن اعداءه لا يتكاسلون(٤٣) في الحرب أبداً ولا يتوقفون، فكم بالحري يجب عليك إذاً ان لا تملّ أبدا من طلب الله، لأن الخسران الذي يحصل لك باهمالك هو عظيم للغاية، ولو انه ظهر انك ممدوح في سرّ النعمة.

سوال هل تبقى النعمة في الإنسان بعد سقوطه.

جواب الله يريد ان يردّ الإنسان إلى الحياة وينصحه بان يعود ثانياً

---

(٣٨) يوحنا ص ٦ عدد ١٤
(٣٩) اول قورنثية ص ١ عدد ٢٦
(٤٠) أول قورنثية ص ٢ عدد ١٤
(٤١) فيلبسيوس ص ٣ عدد ٣
(٤٢) اول بطرس ص ٥ عدد ٨

إلى البكآ والتوبة، وهي وان بقيت فانها انما تبقي لتصيرك فاعلاً محصَّناً بزيادة، بتوبتك من الاشياء التي ارتكبتها سابقاً.

سوال هل الكاملون عرضة لأن تحلّ بهم شدة أو حرب، أو هل هم خالون عن الهموم بالكلية.

جواب العدو لا يتهمل على أحد في الحرب، والشيطان عارٍ عن الرحمة بالكلية، ومبغض لجنس البشر كلَّ بغضة، فلذلك لا يتوقف في الحمل على الإنسان، ولكن الظاهر انه لا يهجم على الكل بمقدار واحد ودرجة واحدة، لأن الروساء والقواد يوفون الجزية المخصصة عليهم للملك، واما هو نفسه فانه يتكل على ما له وذهبه وفضته، فيجمع دراهم مما يفضل عنه للتصدّق بها، ولا يظن ذلك ضرراً، فانه كما ان المتصدّق لا يستخسر صدقته، كذلك الشيطان يعتدّ هذا كله انه فضل بعد كفاية، ولكنه قد يوجد مسكين خالٍ حتى من القوت اليومي، فيُضرَب هذا الإنسان ويُعَذَّب لكونه لا يجيب الأسئلة المطلوبة منه، واخر يُحصَر ويعذَّب بعنف ولكنه لا يموت، وآخر يؤمر بقطع راسه لاجل لفظة واحدة فيموت، وكذلك الأمر بين المسيحيين فان بعضهم يُحَارَبُون بشدة ويضيّق عليهم بالخطيئة، ومع ذلك يقوون للحرب ويصحبون ذوي حكمة بحيث يسترذلون القوة المعادية ولا يكونون في خطر على هذا الجانب، فانهم يحوزون السقوط ويطمئنون على خلاصهم، لكونهم تمرَّنوا مراراً على حرب الخطية، واكتسبوا خبرة عظيمة ومن حيث ان الله معهم أيضاً فهم تحت هدايته في راحة.

واخرون لم يتمرنوا قط، فان سقطوا ولو في شدة واحدة، وابتدات ضدهم حركة واحدة حربية، فانهم يقعون حالاً إلى الهلاك والوبال،

وكما أن الذين يسافرون إلى مدينة قاصدين افتقاد احبائهم ومعارفهم، إذا قابلوا بعضاً في محافل مختلفة لا يتوقفون لأجلهم، لأن غاية مقصودهم انما هي ملاقاة احبابهم، فإذا قرعوا الباب من خارج ونادوا فاحبابهم يفتحون لهم بفرح، واما ان قضّوا زمانهم في أماكن القصف والخلاعة وكُلّفوا او عُوّقوا بسبب الذين يقابلونهم، فيغلق الباب دونهم ولا يفتح لهم أحد، كذلك الذين يَوَدُّون أن ياتوا إلى ربنا المسيح الحبيب الحقيقي(٤٣) يجب عليهم أن يرذلوا الغير ويسهوا عنهم.

وكما يفعله الذين يدخلون على الملك في القصر سواء كانوا قواداً أو روساء يخافون خوفا ليس قليلا من جهة ما يجيبون به وكيف يتكلمون، حتى لا يكون في ردهم عن نفوسهم غلط ما خوفاً من اللَّوم والتعزير، واما الجهلة والعامَّة الذين لم ينظروا رئيسهم قط، فانهم يعيشون خلواً من كل هم، كذلك هو حال هذا العالم الأرضي، إذ جميعهم من صاحب التاج إلى أحقر الناس لا يعرفون مجد المسيح، وليس يهتمون الاَّ بامور هذه المعيشة، وليس بينهم اجمعين انسان واحد يتذكر يوم الدينونة.

واما الذين بتاملهم ياتون امام كرسي دينونة الله حيث يكون عرشه ولا يبرحون قدامه، فانهم دايما تحت الخوف والرعدة فلا يحيدون عن شيء من وصاياه المقدسة.

وكما ان اغنيا الأرض حين يحلبون إلى مخازيهم احمالاً من ثمارها يزدادون اشغالاً يوماً يوماً فيوماً بكيفية زيادة خزائنهم حتى لا يفتقروا غير انهم إذا اعتمدوا، على المال الذي في مخازنهم فقط، ولم يعتنوا بان يضيفوا

---

(٤٣) نشيد ص ٢ عدد ٩

إليه غيره بل عاشوا بما عندهم، فانهم يقعون لوقتهم في الفقر والحاجة، ومن ثم يتضح انه يجب عليهم أن يسعوا حق السعي في الحساب وخزن ما عندهم حتى لا ينكسروا، كذلك الأمر في شغل الدّين المسيحي يقتضي أن يذوق الإنسان نعمة الله، لأنه قال[٤٤] ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب.

فهذا الذوق هو فضيلة الروح المجري تأثيره بثقة الايمان التامَّة الفاعلة في القلب، لأن كل الذين هم بنوا النور ومن خدمة[٤٥] العهد الجديد بالروح القدس، لا يتعلَّمون شياً من البشر[٤٦] لأن تعليمهم من الله، لأن النعمة ذاتها تكتب في قلوبهم نواميس الروح، فلذلك لا يجب أن يتكلوا فقط على الكتب المسطرة بحبر، فان نعمة الله تكتب سُنن نواميس الروح والسرائر السموية على صحيفة القلب أيضاً، لأن القلب يتسلط ويملك سامياً على حركة الجسد، وإذا امتلكت النعمة مراعي القلب في ايديها اصبحت مُطلقة على جميع الأعضاء والأفكار، لأن هناك يكون العقل وكافة أفكار النفس واملها، ولذلك تنفذ النعمة من كافة أعضاء الجسد.

وكذلك جميع الذين هم بنوا الظلمة تتسلَّط الخطية على قلوبهم وتنفذ في الأعضاء كلها، (لان من القلب تخرج الأفكار الشريرة[٤٧])، فإذا انتشرت فيها تظلم الإنسان كله، واما الذين ينكرون نمو الخطية

---

(٤٤) مزمور ٣٤ عدد ٨

(٤٥) ثاني قورنثية ص ٣ عدد ٩

(٤٦) قابل اشعيا ص ٥٤ عدد ١٣ ارميا ص ٣١ عدد ٣٤ يوحنا ص ٦ عدد ٤٥

(٤٧) متى ص ١٥ عدد ١٩

وتزايدها مع نمو الإنسان فانهم لا يتزوَّدون للغد ولا تقلقهم الشهوة، لأن عنصر الشر ينقطع زمناً ما عن انشا الاضطراب في باطنهم باغراء الشهوة، حتى ان الإنسان يتجرّا على ان يُقسِم ان هذه الشهوة ليست ثائرة فيه، ولكنه بعد برهة وجيزة يحترق بالشهوة[٤٨]، حتى انه يجد نفسه حانثاً في هذا اليمين بلا ريب، فانه كما ان الماء يسيل داخل الميزاب، كذلك الخطية تجوز داخل القلوب والأفكار مطلقاً، ولكن كل الذين ينكرون هذا فهم مختلّون حقاً، ومُثقَّلون بتلك الخطية ذاتها التي تظفر بهم دون ارادة، لأن الشر الذي فينا يجتهد في ان يتخبَّا ويختفي بكليته في عقل الناس.

فلذلك ان كان أحد يُحبّ الله فالله أيضاً يصبّ محبتهُ فيه[٤٩]، وإذا اوتمن مرة عليها فهو يزيدُه[٥٠] من الايمان السموي، ويصير ذا انسانين معاً، وجميع ما تقدمه لله من أعضائك[٥١] يخلط هو بهِ شياً مثله من خاصته، لكي تُتِم كل شي بنقاوة وتحبه وتصلي إليه، لأن الإنسان له قيمة عظمى، تامّل ما أعظم السموات والأرض والشمس والقمر، ومع ذلك لم يشاء الله أن يستريح فيهنّ بل في الإنسان فقط[٥٢] ولذلك تفوق فضيلة الإنسان على سائر المخلوقات، ولعلي اتجاسر على أن اوكّد انه فوق الكل، ليس فوق الخليقة المنظورة فقط[٥٣]

---

(٤٨) اول قورنثية ص ٧ عدد ٩

(٤٩) رومية ص ٥ عدد ٥

(٥٠) رومية ص ١ عدد ١٧

(٥١) رومية ص ١٢ عدد ١

(٥٢) امثال ص ٨ عدد ٣١ أيوب ص ٢٨ عدد ٢٠ ــ ٢٢ الجامعة ص ٢٤ عدد ٣ ــ ٨

(٥٣) مزمور ٨ تكوين ص ١

بل فوق الغير المنظورة أيضاً[٥٤] يعني الأرواح ذاتها التي تخدم[٥٥] قدام الله، لأنه لم يقل عن ميخائيل أو جبرائيل رئيسي الملئكة لنصنعهما[٥٦] على شبهنا ومثالنا، وانما قال في حق جوهر الإنسان العقلي، يعني روحه الغير المايتة، لأنه أيضاً مكتوب ان معسكر الملئكة حول خائفيه[٥٧]، واما المخلوقات المنظورة فانها مربوطة بنوع طبيعة لا تتغيَّر، لأن السمآ عينت لكل الخير، وكذلك الشمس والقمر والأرض، ولكن الرب لم يرضَ بها، ولا هي يمكنها التغير عن خلقتها الأصلية، ولا لها إرادة لذلك، واما أنت (أيها الإنسان) فانك خُلِقت على شبه الله ومثاله، فانه كما ان الله له قوة التسلط في نفسه فيفعل ما يشاؤه، (فلو شاء هو لارسل الابرار إلى جهنم والخاطئين إلى ملكوت السماء)، ولكنهُ لا يرضي بذلك ولا يجوّزهُ لأن الرب قاضٍ عادل.

وكذلك أنت فانك مخيّر ان رُمت الهلاك فطبيعتك تقبل التغيّر، وان شئت ان تجدّف وتصنع سمّاً وتنزع به حياة غيرك فليس مَن يردك أو يمنعك، فالإنسان ان شاء فهو مختضع لله، ويسعى في سبيل البرّ، ويضبط شهواته، فان عقلهُ هو خصم يمكنه بشدة الفهم التام ان يغلب هجمات الخطية القوية وشهواتها الفاضحة.

لأنه إذا كانت في إحدى الديار أواني من ذهب وأواني من فضة، وأصناف من الملابس ذهباً كانت أو فضة، فالذكور والاناث من الناس الطالعون والنازلون هناك يقصرون عليها عقلهم، (مع ان

---

(٥٤) قولاسايس ص ١ عدد ١٦

(٥٥) لوقا ص ١ عدد ١٩

(٥٦) تكوين ص ١ عدد ٢٦

(٥٧) مزمور ٣٤ عدد ٧

الطبيعة تشتهي كل شي بسبب الخطية المقيمة بها)، ومن خوفهم كخوف العبيد من مواليهم يخمدون حرارات الشهوة، فكم بالحري حيث يكون خوف الله يجب أن يُحارَب ويُجدَّ في مقاومة الشرّ الحاضر معه[٥٨]، فان الله أمر بالأشياء الممكنة، فطبيعة المخلوقات التي لا فهم لها هي محصورة حقاً، كما أن طبيعة الحية مُرة مسمَّة، فجميع الحيَّات إذاً هي من هذا الجنس، والذئب لا يزال مفترساً من أصله، وجميع الذئاب لها هذه الطبيعة عينها، والخروف الذي يفترسه الذئب هو وديع، وجميع الخراف هي هكذا طبعا، والحمامة تخلو من الغدر والاذَى، وكذلك هي طبيعة كافة الحمام، واما الإنسان فليس هو هكذا، فواحد من أفراده ذئب مهلقم[٥٩]، واخر يصير فريسته كالخروف، وكلاهما يصدران من أصل الطبيعة البشرية، وواحد لا يستكفي بامراته فيصبح زانياً، وآخر لا يتحمل الشهوة أن تنشأ في قلبه، وآخر ينهب قريبه، وآخر يبذل مالهُ حباً لله، فانظر كيف تتغير هذه الطبيعة الانسانية، فانها تحيد إلى الشرّ وتميل أيضاً إلى الخير، وتستعد بين كليهما لفعل الواحد أو الاخر على ما تشاؤه، فالطبيعة هي إذاً قابلة للخير والشر، أما للنعمة الالهية أو للقوة المعادية، ولكنها لا تفعل ذلك اضطرارا، لأنه منذ البدء لما كان آدم في حال نقاوة ضبط أفكارهُ مطلقاً، ولكنه منذ تعدّى الوصية ثقلت على عقله جبال مصاعب لا يمكن احتمالها، واختلطت به أفكار الحقد فصارت كانها أصيلة فيه، ومع ذلك لم يكن واحد منها خالصاً لأجل الفساد بالخطية.

---

(٥٨) رومية ص ٧ عدد ٢١

(٥٩) متى ص ١٠ عدد ١٦

فسبيلك إذاً في مستقبل الزمان أن تطلب شمعة(٦٠) وتنيرها لتجد أفكارك النقية، لأن هذه التي خلقها الله هي طبيعية، فالذين وُلدوا في البحر تعلَّموا السباحة، وإذا ثارت العواصف وتلاطمت الأمواج فلا ينذهلون منها، واما الذين لم يتعوَّدوا على هذه الأشياء فان أتت عليهم زوبعَة ولو ضعيفة يغشاهم الخوف فيغرقون عاجلاً، كذلك هم المسيحيون، وكما أن الطفل الذي سنّه ثلاث سنين لا يقدر أن يتبع أو يدرك عقل فيلسوف كامل لعظم فرق السنين بينهما، كذلك المسيحيون كالأطفال لا يبالون بالعالم بل يرفعون عيونهم إلى مقدار النعمة المعطي لهم، لأنهم غرباء عن هذه الدنيا، ومدينتهم ومقام راحتهم هو غير هذا، لأن المسيحيين لهم عزاء الروح بدموع وكآبة وتنهد، ودموعهم هي لهم قوت لذيذ(٦١)، ولديهم خشية في وسط فرحهم وسرورهم، وهم من أجل العالم كاناس يحملون اَجَلَهم في أيديهم(٦٢)، ولا يثقون بنفوسهم بل هم محتقرون ومرذولون من باقي جنس البشر.

وكما نقدّر ان ملكاً يودع خزنتهُ عند أحد المساكين، فالمودع عنده لا يعتدَّ الوديعة مِلكَه أبداً، بل لا يبرح يقرّ بفقره ولا يتجاسر إلى أن يبذّر شياً من خزنة غيره لأنه ليس يتذكر فقط ان الخزنة هي لغيرة، بل يقول ان الذي أودعها عندي ملك ذو قوة متى شاء أخذها مني، كذلك يجب على أولئك الذين عندهم نعمة الله أن يفكّروا هكذا في نفوسهم، ويكونوا ذوي عقل خاشع ويقرّوا بفقرهم، وكما ان

---

(٦٠) قابل صفنيا ص ١ عدد ١٢. بلوقا ص ١٥ عدد ٨

(٦١) مزمور ٤٢ عدد ٣

(٦٢) قضاة ص ١٢ عدد ٣

المسكين الذي كان عنده الخزنة التي تركها الملك لديه في يديه، لو وثق بهذه الخزنة البرانية لتشامخ كانها انما هي ماله فيتكبر عقله توهمّا، ثم ان صاحبها الملك ياخذها ثانية منه فيرجع المستودع عنده إلى فقرة، كما كان قبل حدوث ذلك، كذلك الذين عندهم النعمة أن استكبروا وتشامخت قلوبهم عليها، ينزع الرب نعمته منهم فيرجعون إلى ما كانوا عليه قبل نوال نعمة الرب.

ولكن كثيرين تكون النعمة حاضرة معهم ومع ذلك تتطاول عليهم الخطية ولا يحسّون بها، وكما أن في أحد البيوت مثلا تسكن فتاة وفتى، فيحتال الفتى عليها حتى ترتضي بمقصوده فيفحش بها فتُطرد إلى خارج، كذلك تلك الحية المهولة حيّة الخطية لا تزال حاضرة مع النفس محتالة عليها ومغوية اياها، فان حصل اتفاق بينهما فالنفس الغير الجسدانية تشارك الخطية في الروح الذي من خارج الجسد[٦٣]، يعني أن الروح تشارك روحاً، والذي يرضي باغواء الخبيث ويرضي به يزني في قلبه، فقاعدة الجهاد إذاً هي ان لا ترتكب هذا الزناء في أفكارك، بل ان تميل عنه ضميرك، وتصيّر عليه حرباً وقتالاً باطناً، ولا تتاخر او تسلّم للخطية في أفكارك اقلّ تسليم، فاذا وجد فيك الرب هذا الطبع المستعدّ ياخذك بلا شك لنفسه في ملكوتهِ في اليوم الأخير.

ثم قد توجد أشياء يوزّعها الله لكي لا يبقي هو بلا شهادة من نعمته ودعوته الالهية، وبعض أشياء يتولاَّها هو بترخيصه لها، لكي يمتحن الإنسان ويتدرَّب فتظهر حريته، فان الذين هم في الشدائد والتجارب

---

(٦٣) أول قورنثية ص ٦ عدد ١٨

ان تجلَّدوا فلا يُحجزَوُن عن ملكوت السموات أبداً، ولذلك لا يقلق المسيحيون ولا يكتئبون في أحوال الضيق، ولا يجب عليهم أن يستغربوا كيفية امتحانهم بالفقر أو بالجفا، بل بالحري أن يفرحوا بهذا الفقر ويعدّونهُ غنيً(٦٤)، والصيام يعدّونه وليمة، والهوان وغيبة المجد يعدّونها المجد بذاته، وكذلك إذا وقعوا في أحوال مبهجة في هذه الحياة بحيث تحملهم على الانشراح الجسدي والغني والمجد واللذة، فلا يجب عليهم أن يبتهجوا بهذه بل أن يفرّوا منها كفرارهم من النار.

وفي العالم المنظور ان هاجت قبيلة كبرى لمحاربة ملك فهو لا يهتم بان يحارب هو بنفسه، بل انما يرسل عساكره وروساءَهم وهم يدبرون الحرب، واما ان كانت الامّة المغتاظة عظيمة قادرة على تخريب ممالكه، فيضطرّ الملك حينئذٍ أن يحارب هو بشخصه مع أرباب سلطنتهِ وأبطال جنوده تحريضا على القتال، فراع مرتبتك اَنّ الله مال مع حرَّاسه اعني الملئكة(٦٥) وروحه القدوس، فارسُل من أجلك ليفتديك من الموت، فحصّن نفسك إذاً وتامَّل ما اعظم العناية التي ظهرت من جراك.

ومن حيث اننا أوضحنا ذلك بمثل من العالم الذي نحن فيه عائشون فلنرده بمثل اخر ونقول كما ان ملكا يصادف مسكيناً فيه جروح فلا يانف منه(٦٦) بل يشفي جروحه(٦٧) بادوية مصححة، وينقله إلى

---

(٦٤) عبرانيين ص ١١ عدد ٦

(٦٥) قابل دانيال ص ٧ عدد ١٠. والروية ص ٥ عدد ١١ بالعبرانيين ص ١ عدد ٦

(٦٦) عبرانيين ص ٢ عدد ١١

(٦٧) لوقا ص ١٠ عدد ٣٣ و٣٤ متى ص ٨ عدد ١٧

قصره، ويلبسه حلة الارجوان[٦٨] والتاج، ويصيّره شريكاً في مائدته، كذلك المسيح الملك السموي لمَّا اتى إلى الإنسان المجروح شفاه[٦٩]، وصيّره شريكاً[٧٠] في المائدة الملوكية ليس باغتصاب إرادته، بل بطريق الاقتداء والالتماس يأيت به إلى هذه الكرامة الكبرى، لأنه مكتوب أيضاً في الإنجيل، ان الرب ارسل عبيده[٧١] ليدعو المريدين قائلاً قد اعددت عشاي واما المدعوون فبداوا يستعفون، فقال احدهم قد اشتريت خمسة أزواج بقر، وقال اخر قد تزوَّجت امراة الخ، فقد ترون ان الشخص الداعي كان مستعداً والمدعوون رفضوا دعوته فلا شك في انهم مذنبون بخطائهم، فقيمة المسيحيين هي إذاً هكذا عظيمة.

تامّل جيداً ان الرب هيّا لهم الملكوت[٧٢]، وانه يدعوهم ليدخلوا وهم لا يرضون نظراً للموهبة[٧٣] التي يأخذونها بالميراث، ولعل القائل ينصف إذا قال انه إذا كان كل أحد يحارب الشيطان ويتحمل الشدائد منذ خُلق آدم إلى منتهى العالم، ففعله هذا كله ليس أمراً عظيماً[٧٤] بالنسبة إلى المجد الذي يرثه، لأنه يملك[٧٥] مع المسيح سوية إلى

(٦٨) روية ص ١ عدد ٦

(٦٩) اول بطرس ص ١ عدد ٢٤

(٧٠) قابل افسس ص ٢ عدد ٦. روية ص ٣ عدد ٢١. وص ١٩ عدد ٩ ولوقا ص ٢٢ عدد ٣٠

(٧١) متى ص ٢٢ عدد ٨ و٩ لوقا ص ١٤ عدد ١٧

(٧٢) متى ص ٢٥ عدد ٣٤ يوحنا ص ١٤ عدد ٢ و٣

(٧٣) رومية ص ٦ عدد ٢٣

(٧٤) رومية ص ٨ عدد ١٨

(٧٥) رومية ص ٨ عدد ١٧ قابله برويا ص ٢٢ عدد ٥

دهور لا نهاية لها فالمجد له إذ أحب هذه النفس، لأنه اعطي نفسه ونعمته لها واستودعها اياهما فالمجد لعزّته.

اما نظراً للمظاهر الخارجية فنحن الاخوة جميعنا الجالسون هذا الان لنا شبه واحد ووجه واحد، وهو ما كان لآدم، ولكن هل في حالتنا الخفية وأحوالنا الباطنة أيضاً إرادة واحدة بيننا[٧٦] وقلب واحد[٧٧]، وهل نحن جميعاً واحد في الصلاح والتقوى، أو بعض منا لهم شركة[٧٨] مع المسيح وملئكته واخرون مع ابليس والشياطين، ومع ذلك فنحن نجلس سوية كاننا جميعنا واحد، لأن لنا وجه آدم عامة، أفلا تري الفرق العظيم بين الجوهر المدرك أي الإنسان الباطن وبين الظاهر، لأننا نظهر جميعنا كاننا واحد، والحال ان بعضنا هم حقاً مع المسيح وملئكته، واخرون مع ابليس والأرواح النجسة، فالقلب إذاً له قرار لا يمكن قيسه، وفيه مضايف ومراقد[٧٩] وأبواب ودهاليز وأصناف من الدواوين والمعابر، وفيهِ دولاب البر وضده، وفيه الموت والحياة، وفيه التجارة الحسنة[٨٠] وضدها.

وكما نقدّر ان أحد القصور البهية يصبح خراباً مملواً بجميع أصناف الروائح الرديئَة والرسم الكثيرة، كذلك قصر المسيح أي القلب هو مملو[٨١]

---

(٧٦) يوحنا ص ١٧ عدد ٢١

(٧٧) ابركسيس ص ٤ عدد ٣٢

(٧٨) أول قورنثية ص ١٠ عد ٢١

(٧٩) رويا ص ٣ عدد ٢٠ امثال ص ٨ عدد ٢ و٣

(٨٠) متى ص ٣ عدد ٤٥ ــ ٤٦ وص ٢٢ عدد ٥. يوحنا ص ٢ عدد ١٦

(٨١) متى ص ٢٣ عدد ٢٧

من جميع الرجس، وفيه جمع عظيم من الأرواح الخبيثة، فينبغي إذاً تصليحه واعادة بنائه وتنظيم المخازن والمراقد فيه، لأن الملك نفسه أي المسيح ياتي إلى هناك هو وملئكته والأرواح المقدسة ويستريحون[٨٢] ويسكنون ويتمشون بل ويثبّت فيه ملكوته.

واقدّر أيضاً وأقول كما انه إذا كان سفينة موسوقة وصقاً عظيماً، وفيها مدبّر يامر وينهي جميع الأشخاص ويدبّر كل شيء، فيودّب بعضاً ويرشد بعضا، كذلك القلب فيه العقل مدبّرا، والنية تؤنبنا، والأفكار تشكو وتعفو، لأن الرسول قال[٨٣] ان الضمائر تؤنب بعضاً وتحتج على البعض، فقد تري ان الضمير لا يخفي الأفكار المذعنة للخطية بل يوبخها حالاً، لأنه لا يهدأ، بل يشهد بما يجيب به الله يوم الدينونة كانه إنما يوبّخنا دايما.

وان قدَّرنا ان المركبة والاعنّة والخيل وما يتعلق بها هو تحت تخيير السائق، فالحاصل انه متى شاءَ تحمله المركبة بأسرع جري ومتى شاء اوقفها، واية طريق يريد الميل اليها تميل هي معه، فالمركبة كلها في قوة الماسك بالاعنة، كذلك القلب له من الطبيعة افكار متنوعة مرتبطة به، والعقل والضمير هما اللذان يؤنبان القلب ويقودانه، ويوقظان الأفكار الناشئة في القلب، لأن النفس لها أركان كثيرة ولو انها واحدة، لأنه منذ تعدَّى ادم الوصيَّة دخلت الحية وتولَّت البيت[٨٤] وصارت

---

(٨٢) يوحنا ص ١٤ عدد ٢٣ مزمور ص ٦٨ عدد ١٨

(٨٣) رومية ص ٢ عدد ١٥

(٨٤) قابل اشعيا ص ٢٦ عدد ١٣ متى ص ١٢ عد ٢٩ وافسس ص ٢ عدد ٣

نفساً للنفس، لأن الرب قال، مَن لا ينكر ذاته[٨٥] ويبغض نفسه فلا يكون لي تلميذاً ومَن أحب نفسه فانه يهلكها، لأنه لما دخلت الخطية على النفس صارت عضواً منها والتصقت التصاقاً محكما بالإنسان الجسداني، وقد تنشا في القلب أفكار شتى نجسة، فمن عمل إذاً بارادة نفسه فقد عمل بارادة قلبه، لأن القلب مخلوط وممزوج بها، ولذلك مَن اذلّ نفسه وغضب على ذاته وعلى الشهوات الحاضرة معه[٨٦] كان كمن ظفر بمدينة عدوة[٨٧] فيحسب أهلاً لإدراك درجات الروح الصالحة، وبواسطة القوة الإلهية يعود يحرز الإنسان النقي ويعظم على نفسه، لأن مثل هذا يُعظَّم أخيراً ويصير لله ابنا وينال الختم السموي على روحه، لأن أصفياه يمسحون بدهن النذر ويصيرون ذوي قيمة عظيمة بل ملوكاً.

لأن الإنسان من طبعه انه إذا كان في قرار الخبث وفي خدمة الخطية يتحول إلى الخير، والمربوط بالروح القدس والمشرَّب من الاشياء السموية في قدرته ان يعود إلى الشر، كما نفرض ان امرأة تلبس الرث من الثياب وتعاني الجوع وهي قذرة، وبكثرة التدافع تصل إلى المرتبة الملوكية، وتلبس الارجوان والتاج، وتصير عروساً لملك، لكنها لا تزال تتفكر في حال قذارتها الاولى، وتود لو تعودّ إلى طريقها السابقة، الاّ انها تخشى ما كانت فيه سابقاً من العار إذ يكون ذلك حماقة عظيمة، ولكن اوليك أيضاً الذين ذاقوا[٨٨] نعمة الله، وصاروا شركاء في الروح

---

(٨٥) لوقا ص ٩ عد ٢٣ و٢٤ يوحنا ص ١٢ عدد ٢٥

(٨٦) رومية ص ٧ عدد ٢١

(٨٧) أمثال ص ١٦ عدد ٣٢

(٨٨) عبرانيين ص ٦ عدد ٤

ان لم يصونوا نفوسهم صيانة بليغة، فانهم ينكسفون انكسافاً كاملاً، ويصبحون أشرّ[٨٩] مما كانوا عليه أولاً في حال دينونتهم، وليس ان الله يتحول[٩٠] أو يضعف أو ان الروح ينطفي، بل الأشخاص ذاتهم لا يوافقون النعمة فيُطرحون ويقعون في مصائب لا عدد لها لان الذين ذاقوا تلك النعمة يحضر معهم الفرح والعزآ والخوف والرعدة والبهجة والكآبة، لأنهم يتاسفون على نفوسهم وعلى آدم الكامل (لكون طبيعة الإنسان هي واحدة) ودموعهم هي خبزهم وكآبتهم هي حلاوة لهم ونزهة.

واما ان نظرتَ امرأً متشامخاً منفوخاً بالكبريا فعند اشتراكه في النعمة ولو كان يصنع العجائب ويقيم الموتى ان لم يجرّد نفسه عن القيمة والثمن[٩١] فيصير مسكيناً بالروح[٩٢] ويكره نفسه، فان الخطية تخدعهُ من حيث لا يدري، ولو انه يصنع الايات فمع ذلك لا يمكن تصديقه، لأن علامة الدّين المسيحي هي هذه أن الشخص يكون ممدوحا من الله، وان يجدّ في الاختفاء من الناس، وان كانت لديه جميع خزاين الملك في يديه فيخفيها ويقول، ان هذا ليس لي، بل غيري وضع هذه الخزنة في يدي، وأما انا فمسكين[٩٣] ومتى شاء صاحبها أخذها مني، ولكن ان قال أحد انا غني[٩٤] وحسبي ما عندي، واحوز املاكاً ولا احتاج إلى شيء، فمثل هذا الإنسان ليس بمسيحي،

---

(٨٩) ثاني بطرس ص ٢ عدد ٢٠

(٩٠) يعقوب ص ١ عدد ١٧

(٩١) مزمور ١٣١ عدد ٢

(٩٢) متى ص ٥ عدد ٣

(٩٣) روية ص ٢ عدد ٩

(٩٤) روية ص ٣ عدد ١٧ أول قورنثية ص ٤ عدد ٨

بل هو اناء للضلالة والشيطان، لأن التنعَّم بالله لا يُشبَع منه[٩٥]، وبقدر ما يذوق منه إنسان أو يأكل منه يزداد عطشاً إليه[٩٦]، فمثل هولاء فيهم حرارة ومحبة لله لا يمكن حصرها، وكلما اجتهدوا في التقدُّم وتعقُّب مسعاهم يزدادون في أن يحسبوا نفوسهم فقرآ في غاية الحاجة ولا شيء لهم، وهذا ما يقوله كلّ منهم، انا لست أهلاً لاشراق هذه الشمس عليَّ فهذه علامة الدّين المسيحي، وهذا هو التواضع، واما ان قال أحد انا اكتفيت وشبعت فهو خداع كاذب.

وكما تمجد جسد ربنا حين صعد إلى الجبل وتحوّل مجداً إلهياً[٩٧] ونوراً بهياً، كذلك أجساد القديسين يغشاها مجد وتلمع كالبرق، فانه كما أن مجد المسيح الذي كان في باطنه انكشف على جسده، واضاء ضياءً ساطعاً كذلك فضيلة المسيح[٩٨] التي في باطن القديسين تنسكب في ذلك اليوم على أجسادهم من خارج، لأن من هذه الدرجة يتناولون هم من جوهره[٩٩] وطبيعته في عقلهم، لأنه مكتوب[١٠٠] ان ذلك الذي قدَّسهم والذين قُدّسوا هم جميعاً من واحد، وانا قد اعطيتهم المجد الذي أعطيتني[١٠١] وكما ان من نار واحدة توقد شموع كثيرة، كذلك لا بد من أن أجساد القديسين من حيث كونها أعضاء المسيح تصير مثل المسيح نفسه.

---

(٩٥) الجامعة ص ٢٤ عدد ٣١

(٩٦) مزمور ص ٤٢ عدد ٣

(٩٧) متى ص ٧ عدد ٢

(٩٨) رومية ص ٨ عدد ١١

(٩٩) ثاني بطرس ص ١ عدد ٤

(١٠٠) عبرانيين ص ٢ عدد ١١

(١٠١) يوحنا ص ١٧ عدد ٢٢

سوال ما هي أفضلية المسيحيين على آدم الأول والحال انه كان عديم الموت وعديم الفساد نفساً وجسداً واما هولاءِ فيموتون ويرجعون إلى الفساد.

جواب ان الموت الحقيقي هو باطن في القلب مستتر، والإنسان الباطن هو الذي يموت[١٠٢] ولذلك إذا انتقل احد[١٠٣] من الموت إلى الحياة بالطريق الخفية، فهذا الشخص يحيي حقاً إلى الأبد ولا يموت، ولكن ولو ان أجساد مثل هولاء تنحل زمناً ما، الا انهم يقومون ثانياً بالمجد لأنهم مقدسون[١٠٤]، ولذلك ندعو موت المسيحيين رقاداً لهم[١٠٥] ونوماً، ولو كان الإنسان غير قابل للموت وغير مائل إلى الفساد نظراً لجسده، لكان أهل العالم كله عند ما يرون هذه الحادثة الفائقةَ كلَّ ظنٍ، أي ان أجساد المسيحيين غير مائلة إلى الفساد، ينجذبون إلى فعل ما هو خير بمجرَّد الضرورة لا باختيار منهم، ولكن المراد ان قاعدة الحرية التي منحها اللّه للإنسان منذ البدء تظهر جهراً وتظل ثابتة، ولهذا الداعي نُظِّمت الأمور بتدبير مخصوص وقرَّ انحلال الجسد لكي يميل الإنسان إلى الخير أو الشر بإرادة منه، لأن التام في الشر والمتعمق في الخطية الذي يصيّر نفسه اناءً للشيطان فيسلطه على الكل[١٠٦] ليس

---

(١٠٢) تكوين ص ٣ عدد ٣ و١٧ ــ ١٩
(١٠٣) يوحنا ص ٥ عدد ٢٤
(١٠٤) قابل رومية ص ١ عدد ١ مع ص ٨ عدد ١١
(١٠٥) يوحنا ص ١١ عدد ١١ ــ ١٤ ابركسيس ص ٧ عدد ٦. روية ص ١٤ عدد ١٣
(١٠٦) قابل اشعيا ص ٢٦ عدد ١٣ ابركسيس ص ١٩ عدد ١٦ افسس ص ٢ عدد ٨

مربوطاً في الشر بنوع ضرورة، بل له الحرية بان يصير اناء الانتخاب[١٠٧] والحياة، وكذلك المشرَّبون من اللاهوت[١٠٨] ولو يكونون مملوين ومربوطين في الروح القدس فليسوا مرتبطين بضرورة مّا، بل لهم قدرة تامَّة من تلقآ أنفسهم على أن يعودوا ويفعلوا كلما ارادوه في العالم الحاضر.

سوال هل الخطية تتناقص وتستاصل رويداً رويداً ويتقدم الإنسان في النعمة درجة فدرجة، أو هل تُستَاصل الخطية حالما يدرك الإنسان افتقاد الروح[١٠٩].

جواب كما أن الجنين الذي في الرحم لا يبلغ الرجولية في وقته، بل تبدا فيه الصورة والميلاد رويداً رويداً ولا يكون في ذلك الوقت رجلاً كاملاً، بل ينمو مدة سنين وفي الاخر يصير رجلاً، وكما أن حبوب القمح أو الشعير لا تتاصّل حالما تُبذر في الأرض، بل تعبر عليها أولاً الشتويات والرياح، ثم تنبت السنابل في أوانها، وكما أن الذي يزرع شجرة كثمري ليس يجني ثمارها في الوقت والساعة، كذلك الأمور الروحانية فيها حكمة ودقة عظيمة، فان الإنسان ينمو درجة فدرجة ويعلو إلى قامته التامة[١١٠] وبلوغ السنّ وليس يلبس (الانسانية) وينزع (الطفولية) كما يقول بعض.

ان الذي يريد التعلّم انما يبتدئ اولا بالحروف، فإذا أدرك اخرها

---

(١٠٧) رومية ص ٩ عد ٢١ ــ ٢٣

(١٠٨) افسس ص ٥ عدد ١٨

(١٠٩) مزمور ١٧ عدد ٣ مزمور ١٠٦ عدد ٤ لوقا ص ١ عدد ٧٨ ايوب ص ١٠ عدد ١٢

(١١٠) افسس ص ٤ عدد ١٣

ينتقل إلى المدرسة ويصير اخر الكل، فإذا فاق الكل في ذلك يذهب إلى مدرسة الشرع، وفي ذلك أيضا يصير دون الكل اعني تلميذاً، ثم إذا كمل في الفصاحة يصبح تلميذاً بين امراء محفل القضآ وآخراً بين الجميع، فإذا فاق وصار أول الكل يُصَيَّر قيّم المحفل، ومتى صار ذا سلطان يتخذ له معاوناً يساعده، فان كان في الاشيآ الظاهرة هذه المعالي كلها، فكم بالحري درجات السرائر السموية وكثرة ترقياتها، وأخيراً بعدما يعبر الإنسان من وسط امتحان عظيم وبلايا شتَّى يبدأ بالكمال، لأن المسيحيين الذين قد ذاقوا النعمة حقاً، وحمِلوا في ضميرهم وقلبهم إشارة الصليب(١١١) يعتدّون كل الاشيآ من المَلِك إلى الشحاذ كالزبل(١١٢) والدنس، وهم يقدرون ان يعرفوا ان العالم الأرضي كله، وخزائن صاحب التاج وغناه ومجده وعلوم الحكمة(١١٣) هي جميعها شكل خارجيّ فقط، إذ لا أساس له راكزاً بل هي زائلة لا محالة، وجميع ما كان تحت الشمس يحتقرونه بغير تكلّف.

وما ذلك إلاّ، لأن الاشيآ التي فوق السموات هي غريبة عن هذا المكان وتستحق المديح منهم إذ لا توجد في خزائن الملوك، ولا في حكمة الكلام(١١٤)، ولا في المجد الدنيوي، واما المراتب أو الأموال التي يمتلكها أولئك الذين يحملون الرب خالق الكل في الإنسان الباطن فهي أشيآ لا تزول بل تبقي أبداً، لأن المسيحيين يعلمون جيداً ان

---

(١١١) قبل حزقيال ص ٩ عد ٤ مع غلاطيا ص ٦ عدد ١٧

(١١٢) فيلبسيوس ص ٣ عدد ٨

(١١٣) ثالث ملوك ص ١٠ عدد ١٤

(١١٤) أول قورنثية ص ٤ عدد ٢٠

النفس تفوق المخلوقات كلها ثمناً، فان الإنسان وحده صُنع على شبه الله ومثاله، انظر إلى السمآ ما أعظم دائرتها، والأرض وما فيها من المخلوقات الثمينة والآنية العظيمة، الاّ ان الإنسان أعظم قدراً من تلك الأجسام الكبيرة، لأن عليه وحده رضى الرب، وكذا من حيتان البحر والجبال والوحوش العظيمة وان تكن في الظاهر أعظم من الإنسان.

فتامّل إذاً في مرتبتك وما كان قدرك حتى ان الله علاَّك على الملئكة حين أتى إلى الأرض بشخصه ورضاه رسولاً لك وفادياً، فالله نفسه وملئكته[١١٥] اتوا لخلاصك، لأن الملك ابن الملك[١١٦] شاور اباه[١١٧] فارسل الكلمة[١١٨] واتخذ عليه الجسد وبعد أن حجب طبيعته الالهية وضع حياته على الصليب[١١٩] ليخلص مثلاً بالمثل، فهذا هو مقدار محبة الله للإنسان، ومن جراك صُلب الذي لا يموت، فانظر إذاً إلى اية درجة احب الله العالم[١٢٠] حتى بذل ابنه الوحيد عنه فكيف لا يعطينا معه كل الأشيآ[١٢١]، وقال في مكانٍ اخر[١٢٢]، الحق أقول لكم انه يقيمه على جميع ماله، وفي محل اخر يبين جهراً، ان الملئكة ليسوا سوى خدام للقديسين لأنه لما كان ايليا على الجبل واتى عليه الغربا

---

(١١٥) يوحنا ص ١ عدد ١٤ و٥١

(١١٦) طالع وتامّل المزمور ٧٢ عدد ١ وتفسيره الكلداني

(١١٧) ثاني قورنثية ص ٥ عدد ١٩ ومزمور ٢ عدد ٧ وص ١١٠ عدد ١

(١١٨) يوحنا ص ٣ عدد ١٧

(١١٩) فيلبسيوس ص ٢ عدد ٧ و٨

(١٢٠) يوحنا ص ص ٣ عدد ١٦

(١٢١) رومية ص ٣ عدد ٣٢

(١٢٢) متى ص ٢٤ عدد ٤٧

قال له خادمه(١٢٣)، قد أتى علينا كثيرون ونحن وحدنا فاجابه ايليا قائلاً، الا ترى عساكر الملئكة وجموعهم محتاطين بنا، أو لا ترى الرب نفسه وجموع الملئكة حاضرين مع عبيده، فما أعظم النفس إذاً، وما أكرمها لدى الله، لأن الله نفسه وملئكته يطلبونها لأجل شركتهِ وملكوته، واما ابليس وجنوده فانهم يسعون في جذبها إلى ناحيتهم.

وكما انه في الأشيآ الظاهرة لا يكون الملك مخدوماً ممن يرعون البهائم، بل من اناس ذوي ادب ومنظر رضيّ، وتهذيب، كذلك في القصر السموي انما يخدُم الملكَ السمويَّ(١٢٤) أولئك الذين هم أحرار من العيب والمرضيّ عليهم النقيه قلوبهم، وكما أن في القصر عذارى جميلات مرافقات للملوك ليس فيهن من العيب شي وهن أجمل ما يُصَادَف(١٢٥)، كذلك في الروحانيّات فان النفوس المزينة بكل نوع من السيرة الحسنة هي التي تكون لها شركة مع الملك السموي.

وفي العالم الظاهر إذا ذهب الملك ليطيل مقامه واتفق انه كان بيتاً فيه نجاسة ما فانه ينظَّم ويُزيَّن بزينات متنوعة، ويبخَّر بروايح عطرة، فكم بالحري يحتاج بيت النفس الذي ياتي الرب ليستريح فيه إلى زينات كثيرة، لكي يدخله ويُقيم فيه ذلك الذي هو نفسه نقي من كل دنس وعيب، فهكذا هو القلب إذ فيه يحلَّ الله وكل الكنيسة السموية.

وفي الاشيآ الظاهرة ان كان اب له املاك وتيجان أيضاً وحجارة

---

(١٢٣) رابع ملوك ص ٦ عدد ١٥

(١٢٤) متى ص ٤ عدد ١١

(١٢٥) استير ص ١ عدد ١ وص ٢ عدد ٢

ثمينة، فانه يذخرها في خزنة خفية ويسلمها لابنه الحبيب ويهاديه بها، كذلك الله فانه ائتمن النفس على امتلاك نفسه وعُرُوضه الثمينة.

ومما نصادفه ظاهراً انه إذا ثارت حرب وجآ ملك بعسكره للقتال وكان مستضعف الجانب فحالاً يرسل رسولاً[١٢٦] يطلب شروط الصلح، واما إذا برزت امَّة عظيمة لامّة معادلة لها، وملك لملك نحو ملك الفرس لملك الرومانيين، فحينئذٍ يضطر الملكان اضطراراً مطلقاً على أن يبرز كل منهما بنفسه مع جيشه، فانظر إذاً ما اعظم قيمتك حتى ان الله خرج لمقاتلة العدو[١٢٧] مع جيوشه اعني الملئكة والأرواح ليفتديك من الموت، فالله والحالة هذه انما اتي من اجلك.

وكما أن ملكاً يصادف متسوّلا مملواً بالبرص في كل جهة من جسده فلا يانف منه، بل يصنع لجروحه ادوية مناسبة ويشفي قروحه، ثم ينقله إلى مائدته الملوكية، ثم يلبسه الارجوان[١٢٨] ويملكه، كذلك صنع الله بجنس البشر، فانه غسل قروحهم وشفاها واتى بهم إلى محلّه السموي، فما أعظم قيمة المسيحيين إذاً، فعظمتها ليس لها مثيل، ولكنها ان استكبرت وخدعتها الخطية ولو مرة فاني لست اشبهها الاَّ بمدينة لا سور لها[١٢٩]، فياتي إليها اللصوص من ايَّة زاوية ارادوا بدون أن يمنعهم شيء فيخربونها ويحرقونها، وهكذا أنت ما دمت خليّاً من الحذر[١٣٠]

---

(١٢٦) لوقا ص ١٤ عدد ٣٢

(١٢٧) اول بطرس ص ٥ عدد ٨ قولاسايس ص ٢ عدد ١٥

(١٢٨) لوقا ص ١٤ عدد ٢٢

(١٢٩) امثال ص ٢٥ عدد ٢٨

(١٣٠) امثال ص ٢٤ عدد ٣٠ و٣١

كل الخلوّ، وغير ناظر إلى نفسك فان ارواح الخبث تدخل عليك فتظلم عقلك وتخربه، وتشتت أفكارك على هذه الدنيا الحاضرة، فان كثيرين يسعون في الاشيآ الخارجية ويتقنون معرتفهم لها، ويعتنون بنظام معيشتهم، ويظنون ذلك كمالاً، من غير أن يتخاشعوا قط إلى ما هو دون، وينظروا في القلب حيث يرون الشرور المحيطة بالنفس، لأن في الأعضاء جذر من إدراك الخطية الباطن، فالسارق أعني به القوة المعادية هي داخلة، والقوة التي تقاوم هي مدركة، وان لم يقاتل الإنسان الخطية قتالاً حقيقياً فان الفساد الباطن ينتشر رويداً رويداً حتى يتسلط فيحرّض الإنسانَ على ظاهر الخطايا والاثام، لأن عنصر الشر هو كعين اليُنبوع دائماً يفور، فاجتهد إذاً في توقيف مسالك الخطية، لئلاَّ إذا وقعت في مصائب غير متناهية تصبح كالمذهول، وكما نفرض ان شخصاً ذا مقام وغني خليّا من الهمّ، تمسكه قاد الملك وضبَّاطهُ وياتون بهِ إلى مولاهم ويعلمون الممسوك قائلين، قد شُكِي عليك بذنوب وسيئَات جسيمة وانت في خطر قطع راسك، فعند ذلك يرعبه هذا القول فتغيب عنه أفكاره ويعتريه الانذهال.

فظنّ انت في نفسك ان هذا تفعله أرواح الخبث، لأن الدنيا المنظورة كلها من الملك إلى الشحاذ هم جميعاً في حيرة واضطراب وفتنة، وليس منهم مَن يعلم السبب، مع انه هو الشر المستعر الذي دخل بمعصية آدم، وهو لدغة الموت[١٣١]، لأن الخطية التي دخلت من حيث كونها قوة من الشيطان عاقلة وجوهراً زرعت جميع هذه الشرور

(١٣١) أول قورنثية ص ١٥ عدد ٥٦

من داخل، ومن ثم تفعل سرّاً في الإنسان الباطن وفي العقل وتحارب الأفكار[١٣٢]، ولكن جنس البشر لا يحسون بأن بفعل ذلك تسوقهم قوة غريبة سوقَ حيرةٍ، بل يزعمون ان كل ذلك هو طبيعي، وانهم يفعلونه باختيار منهم، واما الذين يتمتعون بسلام المسيح في عقلهم ونوره يعرفون جيداً من اين تصدر هذه الحركات، لأن العالم يتعب تحت فاعليات الخطية ولا يدري، وهي نار نجسة تضرم القلب وتنفذ في الأعضاء كلها، وتغوي جنس البشر على فعل شهوات وذنوب لا تُحصى، والذين ينشرحون ويبتهجون بها يكملون الخطية باطناً في القلب[١٣٣] وبتربية الشر هكذا يسقطون إلى الفسق البيّن، وظُنَّ ذلك أيضاً في حب المال والمجد الباطل والكبريا والحسد والغضب.

وكما نفرض ان انساناً يُدعي إلى وليمة وتُرصّ قدامهُ أشكال مختلفة فحينئذٍ تغريه الخطية بان يذوق من جميعها، فتوسق النفس باللذة، لان الاهواء الدنية هي كجبال ثقيلة لا تحتمل، وفي وسطها انهر تنانين[١٣٤] وحيوانات مسمَّة ودبابات مضرَّة.

وأيضا كما أن الحوت يهلقم انساناً في بطنه[١٣٥]، كذلك الخطية تهلقم ارواحنا، والاهواء المتقدم ذكرها هي لُهب نار مبيدة، وهي سهام العدو النارية لأن الرسول قال[١٣٦] لكي تتقووا على اطفاء سهام

---

(١٣٢) رومية ص ٧ عدد ٢٣

(١٣٣) متى ص ٥ عدد ٢٨ يعقوب ص ١ عدد ١٤ و١٥

(١٣٤) مزمور ١٠٤ عد ٢٥ و٢٦

(١٣٥) يونان ص ١ عدد ١٧

(١٣٦) افسس ص ٦ عدد ١٦ قابله بمزمور ٩١ عدد ٥

الخبيث المتوقدة، لأن الخطية تربت في النفس وثبت فيها اساسها.

وأما الحكماء فإذا هاجت فيهم الشهوة فلا يسلّمون لها البتة، بل يغضبون على الشهوات الشريرة، ويصيرون أعداءً لهذه النفوس الثانية، لأن الشيطان يشتهي كثيراً ان يحلّ في النفس وان يتسع معها، وقد يقلق ويتضايق إذا اَبَت النفس مقصودهُ، ولكن بعضاً هم بكليتهم تحت امر القوة الالهية، فإذا راوا يوماً فتيً مع امراة ولو انهم كانوا غير خالين من الفكر نظراً لذلك، الاَّ ان عقلهم لا يتنجس ولا يرتكب الخطية من داخل، ولكن مع ذلك لا يجب عليهم الظن(١٣٧)، واخرون يكون الأصل الشرير فيهم فانياً محترقاً ويابساً، ولكن هذه هي درجات العظماء حقاً.

وكما أن التجار يغوصون عريانين في غور البحر وفي قبر الماء ليجلبوا من هناك دُرَرَاً يزينون بها التاج والارجوان الملوكي، كذلك الذين ينذرون نفوسهم للمعيشة الوحيدة يخرجون من العالم عرايا وينزلون إلى قرار بحر الخطية وفي هاوية الظلام، فيخرجون من هذه الأعماق حجارة ثمينة(١٣٨) موافقة لتاج المسيح وللكنيسة السموية وللدنيا الجديدة ولمدينة النور، وللجماعة الملئكيَّة.

وكما أن الشبكة تجمع أصنافاً من السمك متنوعة، وأَردَأُها يُطَرح في البحر ثانياً(١٣٩)، كذلك شبكة النعمة تنتشر على الكل وتطلب الراحة، ولكن جنس البشر يأبّى ذلك، فلذلك يُلقون ثانياً إلى عمق الظلمة(١٤٠).

---

(١٣٧) فيلبسيوس ص ٣ عدد ١٢ ــ ١٤

(١٣٨) اشعيا ص ٤٥ عدد ٣

(١٣٩) متى ص ١٣ عدد ٤٧ و٤٨

(١٤٠) متى ص ٢٢ عدد ١٣ و١٤

لأنه كما ان الذهب يوجد بعد أن ينقي من رملٍ كثير، ويكون ذرّات صغيرة، كذلك كثيرون يُنتَخَب منهم قليل(١٤١)، لأن الذين ليس لهم عمل الملكوت هم ظاهرون(١٤٢)، والذين يزينون الكلمة منظورون(١٤٣)، وكذلك المملوحون بالملح السموي(١٤٤)، والمتكلمون من كنوز الروح(١٤٥) هم ظاهرون جهراً، والأواني التي يبتهج الله بها(١٤٦) ظاهرة أيضاً، وهو يعطيها نعمته، واخرون بكثرة الصبر ينالون القوة المقدسة بأنواع مختلفة كما يشاء الرب، فالمتكلم إذاً ان لم يكن تحت هداية النور والحكمة لا يقدر أن يقنع عقل كل واحد قناعة كافية بسبب اختلاف ميله تارة للحرب وتارة للراحة.

وكما أن مدينة تخرب ويريد واحد أن يبنيها من جديد، فأول الكل يهدم الخرابات القائمة قياما ركيكاً متساقطاً، ثم يأخذ في الحفر ويضع الاسُسُ في مكان حفرهِ، ثم يقيم عليها البُنيان ولكن في ذلك الوقت لا يكون قد تمَّ بيت واحد، كذلك مَن أراد أن ينشئ بستاناً في مكان قفر ردي، يشرع أولاً في التنظيف وعمل زريبة وتهيئَة القنا، ثم يغرس فتنبت الغروس جيداً، وبعد برهة يثمر البستان، كذلك

---

(١٤١) متى ص ٢ عدد ١٤

(١٤٢) يوحنا ص ٦ عدد ٢٩ قابله بمتى ص ٣ عدد ٢

(١٤٣) متى ص ٥ عدد ١٦

(١٤٤) مرقص ص ٩ عدد ٤٩ رومية ص ١٢ عدد ١

(١٤٥) مزمور ١١٦ عدد ١٠ ثاني قورنثية ص ٤ عدد ١٣

(١٤٦) ابركسيس ص ٩ عدد ١٥

نبات جنس البشر بعد السقطة صارت قفرة خربة مملوة حسكاً، لأن الله قال للإنسان(١٤٧) شوكاً وقرطباً تنبت لك الأرض.

فلا بد للإنسان إذاً من كثرة التعب والكدّ لكي يمكنه أن يطلب(١٤٨) الاساسات(١٤٩) ويضعها إلى أن تدخل النار(١٥٠) قلوب الناس وتأخذ في نزع الأشواك، وهكذا يبتدئون هم بالتقدس فيمجدون الاب والابن والروح القدس إلى الأبد امين.



العظة السَّادسَة عَشَر

ان الروحانيين قد تحلّ بهم تجارب وبلايا ناشئة عن الخطية الاولى

جميع الجواهر الدرّاكة أعني جواهر الملئكة والأرواح والشياطين خلقهم الخالق في الأول خالصة[1] في كامل السداجة، واما رجوع بعضهم إلى الشر فانهم فعلوا ذلك بارادتهم المطلقة، لأنهم بمطلق ارادتهم[2] حادوا عن العقل المستقيم، فان قلنا ان الخالق خلقهم هكذا، فاننا نجعل الله قاضياً ظالماً لقضائه على الشيطان بالنار، فان بعضاً يذهبون إلى أن

---

(١٤٧) تكوين ص ٣ عدد ١٨

(١٤٨) متى ص ٧ عدد ٧

(١٤٩) عبرانيين ص ٦ عدد ١

(١٥٠) متى ص ٣ عدد ١١ و١٣ لوقا ص ١٢ عدد ٤٩

(١) الجامعة ص عدد ٢٩ سفر الحكمة ص ١ عدد ١٤

(٢) الجامعة ص ٧ عدد ٢٩ سفر الحكمة ص ١ عدد ١٦

المادة أبدية، وان المادة هي أصل الأشيآ كلها، وان هذا الأصل هو قوة وهذه القوة كافية لذاتها، فاجب انت عن ذلك بجسارة قائلاً، اية قوة هي إذاً الغالبة، ولا شك انها قوة الله فالحاصل ان المغلوب ليس عديل الغالب قوّةً ولا زمناً، والذين يثبتون ان الشر له جوهر حقيقي ليسوا يعرفون شياً، لأن الشر ليس له في الله وجود البتة لكونه تعالى غير قابل للالم، وله قوة مطلقة في ذاته الاهية، واما نحن فانه أي الشرّ يفعل فينا حقا بقوة كاملة وحسّ ويحرك كافة الشهوات النجسة، ولكنه لا يمتزج بطبيعتنا كما يقول بعض امتزاج الخمر بالماء، بل كالأرض التي فيها القمح وحدهُ والزوان على حدته، والبيت فيه اللص في جهة، واب العيلة في اخرى وحده.

والبير من ذاتها تنبع ماءً رائقاً، ولكن في قرارها الطين فان حرك أحد الطين تتكدَّر البير كلها، كذلك النفس إذا اضطربت تتنجس بالخطية وتختلط بها، ويصير ابليس هو وتلك النفس شيا واحداً، وكلا الروحين يتحدان في طريق الفسق أو القتل، ولذلك مَن قارن زانية فقد صار معها جسداً واحداً(٣)، ولكن النفس أحياناً تستمرّ بمفردها تايبة عمَّا فعلته، وتنوح وتبكي وتتذكر الله، لأنه لو كانت النفس دائماً غاطسة في الخطية فكيف كان يمكنها أن تفعل شياً من هذا النوع، فان الشيطان لا يرضي أبداً برجوع الناس إلى التوبة، لأنه خالٍ من الرحمة للغاية.

وكذا المراة بعهدها مع بعلها تصير معه شياً واحداً ولكنهما احياناً

(٣) اول قورنثية ص ٦ عدد ١٦

يفترقان، إذ يتفق ان احد الزوجين يموت والاخر يعيش، والامر في شركة الروح القدس كذلك فانهما يصيران روحاً واحداً، لأن مَن اعتصم بالرب فانه يكون معه روحاً واحداً[٤]، وانما يحدث هذا إذا كان الإنسان مشمولا بالنعمة.

ولكن قد يوجد بعض ولو انهم يحصلون على ذوق الله[٥] يفعل فيهم العدو فيستغربون ذلك، بحيث لا يعلمون بالخبرة ان بعد افتقاد الله تميل افكارهم بكليتها إلى سرائر النصرانية، ولكن الذين يشيخون فيها لا ينذهلون أبداً.

وكما أن الفلاحين ذوي الخبرة إذا كانوا في سنة رخاء لا تزال أفكارهم في المستقبل ينتظرون زمن غلاً وقحط، فإذا حاق بهم الغلا والمصاعب لا يتضجرون، لأنهم يعلمون انه لا بد من تغير الحال في المستقبل، كذلك في الحال الروحاني، إذا وقعت النفس في تجارب مختلفة[٦] لا تتذهل كانها رأت شياً غريباً غير معهود، ولا تيئس لكونها تعلم انها (أي التجارب) تاتي باذنٍ لكي تُمتَحَن هي وتتهذب بالشر الذي يصادفها، وكذلك إذا غمرها المال والاطمئنان لا تخلو من الأفكار بل تنتظر تغير الحال[٧].

وكذلك الشمس التي هي جرم مخلوق إذا اضات على الأماكن الفاسدة حيث يكون الطين واصناف النجاسات لا تتضرّر أبداً ولا تتنجس، فكم بالحري الروح القدس النقي الحاضر مع النفس

---

(٤) أول قورنثية ص ٦ عدد ١٧
(٥) عبرانيين ص ٦ عدد ٤ و٥
(٦) يعقوب ص ١ عدد ٦
(٧) ايوب ص ٣ عدد ٢٥

ولو كانت هي تحت سطوة الخبيث فلا يسري منها مؤذٍ له، لأن النور يضي في الظلمة[٨] والظلمة[٨] والظلمة لا تدركهُ.

ولذلك ان كان أحد في القرار غنياً بالنعمة فلا تزال فيهِ فضلة من الفساد، ولكن عنده واحد يحشد له وبعينه، ومن ثم إذا كان أحد في الشدائد وثقلت عليه زوبعة الاهوآ الفاسدة[٩] فلا ينبغي له أن يترك أمله[١٠] والاَّ فالخطية تزداد فيه قساوة وتتملكه، واما إذا استمرّ امل الإنسان بالله بلا انقطاع فان الخطية تصير كانها متفتّة ذاوية، ولذلك كان بعض مفلوجين وبعض كتعا محترقين بالحمَّى، أو مُوهنين بالمرض، وكل ذلك صادر من الخطية، لأنها أصل شقاوتنا كلها، ومنها ينشا الميل إلى الشهوات التي في النفس كلها وأفكارنا الشريرة.

وكما إذا كانت بير جارية ليس حولها سوى أراض مستنقعة موحلة، إذا أتى عليها الحرّ تنشف هي والورطات التي حولها، كذلك هو حال عبيد الله الفائضة فيهم النعمة، فانها تنشف الشهوة سوآ كانت من الخبيث أو طبيعية، لأن رجال الله هم الان أعظم من آدم الأول.

وليس الله بمحدود في مكانٍ ما، ولا مُدَرك، بل هو ظاهر في كل مكان[١١] في الجبال وفي البحر، وتحت القاع، ولكن ليس بحركاتٍ متنقلة كالملئكة التي تهبط من السمآ إلى الأرض، لأنه في السماء[١٢] وها هنا معاً.

ولكنك تقول لي كيف يكون الله في جهنم، أو كيف يمكنه ان

---

(٨) يوحنا ص ١ عدد ٥
(٩) مزمور ٤٣ عدد ٧ ومزمور ٨٨ عدد ٧
(١٠) عبرانيين ص ٦ عدد ١٩
(١١) رومية ص ١ عدد ٢٠
(١٢) مزمور ١٣٩ عدد ٧ ــ ١٠

يكون في الظلمة، أو في الشيطان، أو في المحلات الفاسدة، فاجيبك انه لا يجوز إليه شي، وهو يشمل الاشيا كلها، ولا يُستطاع حصرهُ، واما الشيطان فانه محصور لكونه مخلوقاً، لكن الصلاح لا توثر فيه النجاسة أو الظلمة، وامَّا ان لم تسلّم بانه مشتمل على كل شيء حتى على جهنم والشيطان، فانك تجعله محدوداً كما تحدد المكان المقيم بهِ الخبيث، فينتج من ذلك انه يقتضي لنا أن نطلب واحداً أعلى منه، لأنه من مطلق الضرورة ان الاله يكون في كل مكان، ولكن اللاهوت هو ذو طبيعة منفردة متعالية، حتى ان الظلمة التي يشتملها هو في ذاته لا تدركه، ولا الشر يتناول من طهارته ولو كان فيه، فلذلك ليس يوجد في الله نوع ما من الشر فانه لا يوثر فيه ضرر البتة، واما نحن فالشر حاضر معنا بسبب اقامته في قلبنا، واعمال تاثيره فيه بحيث يحرّك صاحبه على الأفكار الخبيثة النجسة، ولا يدعنا أن نصلي بنقاوة، بل يجلب العقل إلى العبودية لهذا العالم الحاضر، وقد يشمل نفوسَ الناس كالرداء، ويتوصَّل إلى العظام والمخ بلمسة قوية.

فلذلك كما أن الشيطان هو في الهواء والله هناك أيضاً لكنه لا يتضرّر منه، كذلك الخطية في النفس ونعمة الله حاضرة معها بدون أن يحصل لها منها ضرر.

وكما أن الخادم الذي يكون بجانب معلّمه إذا أقام دائماً قريباً منه على قدر امكانه يكون تحت الخوف فلا يفعل شياً بدونه، كذلك يجب علينا أن نخصص أفكارنا ونكشفها للمسيح معلّمنا(١٣) فاحص القلوب،

---

(١٣) مزمور ١٢٣ عدد ٢ مرقص ص ١٣ عدد ٣٥ قولاسايس ص ٤ عدد ١

ونجعل أملنا فيه واتكالنا عليه بحيث يقول كل منا انه هو مجدي وهو ابي وهو غناي.

ثم يجب عليك في كل حين أن تحتفظ بنيتك وتخاف عليها، واما ان كان احد ليست نعمة الله مغروسة وثابتة فيه حتى تكون معلقة بنفسه ليلاً ونهاراً كانها طبيعة ثانية تهديه زمناً ما وتحثه وترشده إلى الأشيآ الصالحة، فبالاقل تلزمه بالمداومة على الاعتنآ والخوف والاجتهاد كانها طبيعية لا تتغير، وعلى تاسف القلب المربوطة هي به دائماً.

وكما أن النحلة تصنع قرص العسل في الخلايا سرّا، كذلك النعمة تفعل محبة ذاتها في القلب سرّا، وتنقلب من المرارة إلى الحلاوة ومن الوعر إلى السهل.

وكما أن الصايغ والنقاش عند قطعه صحيفة يخفي جزءاً من أصناف الصور التي ينقشها، فإذا فرغ يظهرها لامعة بالنور، كذلك الرب الصائغ الحقيقي ينقش منقوشاته على قلوبنا ويحددنا بسرّ إلى أن يحين آن تخرج فيه من الجسد، وحينئذ يظهر حسن النفس.

لأن الذين يشاون أن يصنعوا أواني ويصوّروا فيها حيوانات حيَّة، يرسمون ذلك أولاً على الشمع ثم يصبون المعدن على شبهه فتتم الصنعة على ذلك الشبه عينه، كذلك الخطية من حيث انها ليست ذات جسد فلها صورتها، وقد تنقلب إلى أشكال متنوعة، وكذلك الإنسان الباطن هو نوع مخلوق حيّ فيه صورته وشبهه، لأن الإنسان الباطن يشبه الخارج صورة سواءً، ولذلك هو اناءٌ عظيم ثمين، لكون الرب رضي به وحده من دون الخلائق كلها، وافكار النفس الصالحة

هي كالحجارة الثمينة والدرّ، واما الأفكار النجسة فهي مملوة عظاماً مائتة وكل أنواع نجاسة ودنس.

فالمسيحيون يختصون إذاً بدنيا اخرى، وهم بنوا آدم السموي ذرية جديدة، وأولاد الروح القدس، واخوة المسيح النجباء الاماجد، وهم يشبهون اباهم شبهاً بليغا، وهو آدم الروحاني الممجد، وهم من تلك المدينة عينهم وذلك الجنس ذاته، وذووا قوة واحدة، وليسوا من هذا العالم بل من اخر غيره، لانه هو ذاته قال لستم من العالم كما اني لست من العالم[١٤].

وكما انه إذا رجع تاجر إلى وطنه بعد غيبة طويلة وجلب معه مكسباً عظيماً على متجره، يرسل على أهل بيتهِ ليهيوا له منازل وبساتين والملابس اللازمة، فإذا أتى إلى املاكه يدخل فيها مالاً جزيلاً واهل بيته واقرباؤه يلاقونه بفرح عظيم، كذلك في الموادّ السموية فان اولئك الذين ينالون بالمتاجرة الغني السموي يبلغ خبرهم إلى أهل بلدهم أعني أرواح القديسين والملئكة، فمن فرحهم يقولون ان اخوتنا الذين على الأرض اتوا بمالٍ جزيل حقاً، فهولاء عند انحلال الجسد يكون الرب معهم، فياتون إلى الذين هم فوق بفرح عظيم، فتقبلهم عبيد الرب قبولا حسناً بعد أن يكونوا قبلاً هياوا لهم بيوتاً وبساتين وملابسَ كلها بهية ثمينة.

فلا بد إذاً من التيقّظ في الأمور كلها، حتى ان الخيرات الظاهرة عندنا لا تكون مضرة لنا، لأن الذين لهم بالطبع لطافة الأخلاق ان لم يحرسوا

---

(١٤) يوحنا ص ١٧ عدد ١٦

ذواتهم جيداً، فان سهولة طبعهم تقودهم إلى الضلال من حيث لا يدرون، كلاَّ بل ذووا الحكمة قد تخدعهم الحكمة ذاتها، فيجب على الإنسان من جميع الأوجه أن يجمع اللّين والقساوة معاً، والحكمة والتبصُّر، والقول والعمل، وان يتكل على الرب بكليته لا على نفسه، لأن الفضيلة هي محلاَّة بأشكال مختلفة، كما أن طعامنا الضروري متبّل باشياً لذيذة ليس بالعسل فقط بل بالفلفل أيضاً إذا اقتضي الامر لكي يصير مناسباً للأكل.

واما الذين يثبتون ان ليس في الإنسان خطية بحالهم كحال الذين تغمرهم مياه كثيرة فائضة، ولا يقرون بذلك بل يقولون قد سمعنا صوت المياه سماعا، كذلك الذين غطسوا في مياه الخطية العميقة لا يقرون أبداً بأن في عقلهم وأفكارهم خطية.

واخرون لهم الكلمة ويحسنون النطق بها ولكنهم بسبب انهم ليسوا مملحين بالملح السموي[١٥]، يتخاطبون عن المائدة الملوكية مخاطبة مفصَّلة، مع انهم لم يذوقوا منها شياً، ولا تمتعوا منها بشي، ولكن اخر يرى الملك وتنفتح له الخزاين الملوكية فيدخلها ويرث ما يراه وياكل ويشرب من الماكولات الثمينة.

وكما انه إذا كانت امّ لها ولد كامل الحُسن عاقل مزيَّن بأصناف المحاسن كلها، تجعل عليه كل اتكالها، ويتفق انه في الاخر يموت، فنتيجة هذه المصيبة قلق دائم لها وحزن[١٦] لا يوذن بعزاء كذلك يجب

(١٥) مرقص ص ٩ عدد ٥٠ قولاسايس ص ٤ عدد ٦

(١٦) متى ص ٢ عدد ١٨

على العقل بعد أن تموت النفس لله أن يولول بالدموع، ويكون تحت الكرب الدائم، ويكون منسحق القلب، ويسير بالخشية والحذر وان يجوع ويعطش دائماً إلى الشي الصالح، فمثل هذا تأخذه النعمة والرجاء الالهي تحت عنايتهما فلا يعود يحزن، بل يفرح كمَن قد وجد كنزاً، ولكنهُ يرتعد خوفاً من أن يضيّعه لأن اللصوص تهجم عليه.

وكما إذا وقع الإنسان في فخاخ عديدة واخطار من اللصوص ثم يفوز بعد صعوبة فيلاقي مخزناً عظيماً وخيرات شتى، فلا يبقى فيه رعب بسبب هذا المال الوافر، كذلك هو حال الروحانيين الذين يعبرون من وسط تجارب كثيرة واماكن مهولة، فبعد أن يمتلئوا بالنعمة ويصيروا فائضين في الخيرات، فلا يعودون يخافون ممن يعزمون على سرقتهم، بسبب ان مالهم صار جزيلاً، ولكن لا يزال فيهم خوف ليس كالحمقى الذين يفزعون من الأرواح الخبثة، بل هو خوف واعتناء كيف يتشا غلون بالمواهب التي ائتمنوا عليها، ولكن مثل هذا الإنسان يعدّ نفسه حينئذ ذليلاً أكثر من جميع الخاطئين، ويتاصل فيه هذا الفكر حتى يصير كانه متولّد في طبيعته، وكلما تقدم في معرفة المسيح يزداد في استصغار نفسه، ومع انه يتعلَّم كثيراً فلا يزال كمَن لا يعرف شياً، ولكن هذه الاشيا انما تتم في النفس بفعل الروح، كانها ناشئة عن الطبيعة نشواً خالصا، وهذا الحال كحال طفل على ذراع فتىً ينطلق به إلى حيث شاء كذلك النعمة تعمق فاعليتها، فتحمل العقل وترفعه إلى السماوات، وإلى العالم الكامل والراحة الابدية.

وفي هذه النعمة عينها درجات ومراتب كرامات، فان واحداً يكون رئيس عسكر يدخل إلى الملك متى شاء، واخر إنما يكون قائداً فقط

وكما أن البيت إذا امتلأ دخانا يفرّغه في الفضآ، كذلك الخطية في النفس إذا نضجت النضج الكامل تفرّغ ذاتها من خارج وتظهر ثمارها.

وكما أن الذين يتخذون مناصبهم سوآ كانت الوزارة، أو نظارة الخزينة العامرة، يحذرون في كل حينٍ من أن يغيظوا الملك، كذلك الموتمون على شغل الروح هم في دائم الاحتراز، بل يكونون في وسط الراحة كانهم لا يدرون ما هي الراحة، لأن ملكوت الظلمة التي أتت على المدينة يعني على الروح، والجيوش الغريبة الذين تملكوا مراعيها قد انهزموا، لأن المسيح الملك يرسل مَن ينتقم للمدينة، ويربط الظالمين المتعدّين بالسلاسل، ويعسكر الجنود السموية، وجيشه المولّف من الأرواح المقدسة كانهم في وطنهم، وبعد ذلك تضي الشمس في القلب، وتدخل اشعتها في الأعضاء كلها، ويستمر السلام من ذلك الوقت وصاعداً.

ووقتئذٍ يظهر جهاد الانسان ومصارعته وامتحانه وارادته الحسنة نحو الله وذلك حين تتاخر عنه النعمة فيظهر شجاعته ويصرخ إلى الله(١٧)، وأما أنتم إذا سمعتم ان هناك انهار تنانين(١٨)، وافواه اسود(١٩) وقوات مظلمة(٢٠) تحت السماء وناراً محرقة(٢١) وضجات في أعضائكم لم يحدث على الأرض مثلها، فلا تعلمون في تلك المدة كلها انكم لم تنالوا عربون الروح القدس، فهذه تقبض على نفسكم عند طلوعها من الجسد، ولا تدعك تصعد إلى السموات.

---

(١٧) أول الأيام ص ٥ عدد ٢٠

(١٨) مزمور ٧٤ عدد ١٣

(١٩) مزمور ٢٢ عدد ١٣ و٢١

(٢٠) افسس ص ٦ عدد ٢

(٢١) مزمور ٦ عدد ١ ومزمور ٢٢ عدد ١٤ و١٥

وكذلك إذا سمعت عن قيمة النفس العظيمة، وكيف ان الجوهر المدرك كثير الثمن، فلا تشك في أن الله قال عن الملئكة، لنصنع انساناً على شبهنا ومثالنا(٢٢) بل عن الطبيعة البشرية، وان السماء والأرض تزولان حقاً، واما أنت فمدعوّ إلى الخُلد لتكون ابن الملك(٢٣) واخاه(٢٤) وعروسه، لأن في الأشيآ الظاهرة جميع ما للعريس يصير للعروس، وجميع ما للرب مهما كان يودعك اياه، لأنه قد جاء إليك رسولاً قاصداً ان يدعوك، ولكنك أنت لست عالماً ولا دارياً بانتخابك فعدلاً يتاسف المورخ الملهم على سقطتك بقوله(٢٥)، الانسان إذ كان في كرامة ولم يفهم قيس بالبهائم التي لا عقل لها وُشبّه بها، فالمجد للاب والابن والروح القدس إلى أبد الدهور امين.

♱

العظة السَّابعة عشر

في مسحة المسيحيين الروحانية ومجدهم. وانه بدون المسيح لا يمكن الخلاص ولا الشركة في الحياة الأبدية

ان المسيحيين الكاملين الذين حُسبوا أهلاً لإدراك درجات الكمال وللتقرب من الملك، هم دائماً متعبّدون لصليب المسيح، لأنه كما

---

(٢٢) تكوين ص ١ عدد ٢٦

(٢٣) يوحنا ص ١ عدد ١٢ رومية ص ٨ عدد ١٦

(٢٤) عبرانيين ص ٢ عدد ١١ متى ص ٢٢ عدد ٥٠

(٢٥) مزمور ٤٩ عدد ٢٠

كانت المسحة في أيام الأنبياء أثمن من سائر الأشياء، بسبب انهم كانوا يُمسَحُون ملوكاً وأنبياء، كذلك الروحانيون الان الذين يُمسَحُون بالمسحة السموية[١] يصيرون مُسحاء[٢]، فيبتدئون أن يكونوا ملوكاً[٣] وأنبياء للسرائر السموية، فهولاء هم بنون وأرباب ماسورون غارقون مصلوبون متعبدون، لأنه ان كان دهن المسحة الذي يستخرج من غرس خارجي وعود منظور فيه فضيلة عظيمة المقدار حتى ان الممسوحين به يعلمون فوق كل وصف، (لأنها كانت قاعدة راسخة ان به تصير الملوك)، وأيضاً حين مُسِح به داود وقع في اضطهادات وبلايا متتابعة[٤] وبعد ذلك بسبع سنين صار ملكاً، فكم بالحري أولئك الذين يُمسحون في العقل والإنسان الباطن بدهن البهجة المقدس المفرح[٥] الدهن السماوي الروحاني، ينالون علامة تلك الملكوت الذي لا يفسد، والقوة الأبدية، وعربون الروح أي روح القداسة والعزآ، وقد سُمِّي معزياً بسبب العزاء والعون المفرح الذي يمنحه لمَن كانوا في الشدائد، فهولاء من حيث قد مُسِحوا من شجرة الحياة[٦] يُحَسبون أهلاً لإدراك درجات الكمال، اعني أولئك أهل

---

(١) أول يوحنا ص ٢ عدد ٢٧

(٢) مزمور ١٠٥ عدد ١٥ ومزمور ٧٠

(٣) روية ص ١ عدد ٦ سفر الحكمة ص ٧ عدد ٢٧

(٤) أول الملوك ص ١٦ عد ١٣ ثاني الملوك ص ٢ عدد ٤

(٥) مزمور ٤٥ عدد ٧

(٦) امثال ص ٣ عدد ١٨ وروية ص ٢ عدد ٧ وص ٢٢ عدد ٢

(٧) اشعيا ص ٥٣ عدد ٢ يوحنا ص ١٥ عدد ١

الملكوت والتبنّي، الذين اُدخلوا حقاً في المشورات السرية، مشورات الملك السموي، ويدخلون إلى القدير كلَّما شاوا، وإلى قصره حيث تكون الملئكة وأرواح القديسين[٨] ولو كانوا عايشين في هذا العالم الحاضر، لأنهم وان لم ينالوا الميراث المعدّ لهم في ذلك العالم، فلا يزالون مطمئنين بعربون الروح[٩] الذي نالوه الان كانهم قد توّجوا وامتلكوا الملكوت، ولن يستغربوا تملكهم مع المسيح[١٠] بحضور الفائض، ولِمَ ذلك، لأنهم وهم في الجسد التذوا لذة كاملة بحلاوته[١١] وبفاعلية قوته الموثرة[١٢].

فانه كما ان جليس الملك يصرف زمانه في السرايا ويقف على أسرار ديوانه، ويتعوَّد على نظر الارجوان فيه ويتفق انه بعد زمان ما يصير هو ملكاً ويتوَّج، فلا يستغرب ذلك ولا ينذهل منه لأنه قد تعوَّد على قوانين السرايا مدة فانه لا يتفق أبداً لراعي البهائم[١٣] أو للادنيآ أو للغربآ عن طرايق السرايا أن يدخلوها ويتحكموا في مرتبة الملكو، كلاًّ، بل ذلك لاناس ذوي خبرة مديدة يكونون مربين لهذه الغاية، كذلك المسيحيون الذين سيملكون في العالم الآتي لا يستغربون ذلك البتة، فانهم اطلعوا قبلاً على أسرار النعمة، لأنه منذ تعدَّى الإنسان الوصية رمى الشيطان على النفس حجاباً مظلماً[١٤] ولذلك جاءَت

---

(٨) عبرانيين ص ١٢ عدد ٢٣

(٩) افسس ص ١ عدد ١٣ و١٤

(١٠) رومية ص ٥ عدد ١٧ ثاني طيماتاوس ص ٢ عدد ١٢ روية ص ٢٠ عدد ٦

(١١) مزمور ١٩ عدد ١٠ ومزمور ١١٩ عدد ١٠٣

(١٢) افسس ص ٣ عدد ٧٥

(١٣) الجامعة ص ٣٨ عدد ٢٥ و٣٣

(١٤) ثاني قورنثية ص ٤ عدد ٤

النعمة فزال الحجاب[١٥] حتى إذا صارت النفس نقية فيما بعد واستردت طبيعتها الأصلية أي صارت نقية من الدنس أو العيب تنظر بعد ذلك بعين البيان مجدَ النور الحقيقي، وشمسَ البرّ الصحيحة ساطعةً على القلب بأشعتها البهيَّة.

لأنه كما أن في ختام السماء التي تزول[١٦] يعيش الأبرار بعد ذلك إلى الأبد في الملكوت والنور والمجد ولا يعاينون شيأً سوى كيفية جلوس المسيح دائماً عن يمين الاب في المجد، كذلك هولاء الذين يختطفون من هذه الدنيا[١٧] إلى أخرى ويهيمون بها، يعاينون جميع المحاسن والعجائب التي تُصنَع هناك، لأننا نحن الذين على الأرض لنا معاشرة في السماء[١٨] وجميع مصالحنا وسيرتنا في العشرة هنا هي في ذلك العالم نظراً لعقلنا والإنسان الباطن، فانه كما ان العين الخارجة إذا كانت رائقة تنظر الشمس جيداً، كذلك العقل المنقي جيداً يعاين مجد نور المسيح دائماً، ويحضر مع الرب ليلاً ونهاراً، كما أن جسد الرب المتحد باللاهوت يحضر أيضا دائماً مع الروح القدس، ولكن هذه معالي لا يحصّلها الناس حالاً، بدون كدٍّ وشدة وجهاد كثيرة، لأن بعضاً فيهم النعمة حاضرة مشغلة تأثيرها فيهم وحالَّة عليهم[١٩]، ولكن الشر هو أيضاً حاضر من داخل، وكلا الروحين المتنازعين أعني روحي النور والظلمة يفعلان في القلب سوية[٢٠].

---

(١٥) ثاني قورنثية ص ٣ عد ١٥

(١٦) روية ص ٢٠ عدد ١١

(١٧) اول تسالونيقية ص ٤ عدد ١٧

(١٨) فيلبسيوس ص ٣ عدد ٢٠

(١٩) أول بطرس ص ٤ عدد ١٤

(٢٠) رومية ص ٧ عدد ١٩ ــ ٢٧

ولكنك لا بد من أن تسالني قائلاً، أي اتفاق للنور مع الظلمة، أو كيف يكون الظلام والخلل حيث يكون النور، وكيف يتنجس الحرّ من النجاسة الكاملة الطهارة، لأنه قيل(٢١) النور يضي في الظلمة والظلمة لا تدركه.

فلا ينبغي لنا أن نفهم هذه المواد بدليل واحد أو من وجه واحد، لأن بعضاً يعتمدون على نعمة الله إلى درجة عظيمة، حتى انهم يتقوون على الخطية الحالَّة فيهم، ويشعرون في نفوسهم بالصلاة والابتهاج بالله، وفي حين آخر يتمرّنون على الأفكار الخبيثة ويقعون في شرك الخطية، ولكنّ ذوي الطيش والجهل كلما فعلت فيهم النعمة ولو بعض الفعل يتخيلون انه لم يبقَ فيهم شي من الخطية، والحال ان أهل الفطنة والبصيرة لا يتجاسرون قط إلى أن ينكروا أننا نحن الذين فينا نعمة الله لا تزال توذينا الأفكار الفاحشة النجسة، لأننا كثيراً ما صادفنا اَمْثلة بعض بين الأخوة الذين اختبروا من الفرح والنعمة درجة هذا مقدارها، حتى اثبتوا انه في مدة خمس سنين أو ست متتابعة ذوت فيهم الشهوة، وبعد ذلك لما زعموا انهم نظفوا منها بالكلية لم يدروا الاّ والفساد الذي كان كامناً في باطنهم تحرَّك ثانياً(٢٢) حتى احترقوا بالشهوة فتعجبوا من ذلك وصرخوا قائلين، من اية ناحية عسكرت علينا جنود الخطية هذه.

فلا يقل إذاً ذو العقل السليم من حيث ان النعمة حاضرة فيَّ فانا حرّ من الخطية على الإطلاق، والحال ان في ذلك الوقت يكون شخصان

---

(٢١) يوحنا ص ١ عدد ٥

(٢٢) رومية ص ٧ عدد ٩

مختلفان يجربان قوتهما[٢٣] على عقله لأن الذين لا خبرة لهم إذا فعلت فيهم النعمة أقل الفعل يزعمون حينئذٍ انهم فازوا بالظفر وصاروا مسيحيين كُمّلاً، واما من جهتي انا فاني اوكد ان المواد هي هكذا، وهو كما نفرض ان الشمس في السماء تشرق في الهواء الرائق، ثم تحيط بها الغيوم وتغطيها ويتكدَّر الجوّ، ولا تتضرر في نورها أو في جوهرها، كانّ هذه فيها، كذلك هو حال الذين لم تكمل طهارتهم، فان فيهم نعمة الله ولكن الخطية ماسكة بهم جيداً في العمق، ولذلك فيهم الحركات الطبيعية، وأفكارهم مائلة إلى الله بثبات ولكنها ليست متعلقة بالخير تماماً، وكذلك من الوجه الاخر اولئك الممسك بهم جزء الخير في العمق، أي النعمة لا يزالون عبيداً[٢٤] ووسائل للأفكار الشريرة وللخطية.

فيقتضي إذاً تبصُّر زائد حتى ان الإنسان يعرف بالخبرة ان الأمور هي هكذا، وانا أقول لكم أيضاً، ان الرسل انفسهم ولو كان فيهم المعزي فلم يكونوا خالين من الخوف مطلقا[٢٥]، لأن مع ذلك الفرح والبهجة فقد كان فيهم أيضاً خوف ورعدة[٢٦] ناشية من النعمة ذاتها لا من الطبيعة الفاسدة، ولكن تلك النعمة عينها كانت حارسة لهم لئلاًّ يزيغوا ولو قليلا.

لأنه كما إذا رمى أحد بحصوة على الحائط لا يضرّ الحائط ولا يحركها، أو كما إذا أُطلق سهم على رجل مدرَّع فلا ينضرّ الحديد ولا الجسد لأنه ينعكس ويرتدّ، كذلك كان في الرسل كلما تقرب إليهم جزء من الخطية.

---

(٢٣) رومية ص ٧ عدد ٢٣

(٢٤) رومية ص ٧ عدد ٢٣

(٢٥) اول قورنثية ص ٩ عدد ٢٧

(٢٦) فيلبسيوس ص ٢ عد ١٢ و١٣

لم يكن يضرهم لأنهم كانوا مكتسين بقوة المسيح الكاملة[٢٧]، ولما كانوا كمَّلاً في نفوسهم كانت لديهم حرية كاملة لفعل البرّ.

ومن حيث ان بعضاً يذهبون إلى أن النفس بعد النعمة تخلو من كل همّ، فالله يسمح لي أقول لكم انه لا بد لإرادة النفس ولو في الكُمّل من خدمة الروح لكي يتوافقا معاً، لأن الرسول قال لا تطفوا الروح[٢٨]، ولذلك كان بينهم بعض لا يحبون ان يثقلوا على غيرهم، واخرون كانوا يسيرون على حدتهم، واخرون كانوا ياخذون شياً من العايشين في العالم ويفرقونه على المساكين، وهذا هو الأفضل لأن بعضاً تكون فيهم النعمة فلا يفكرون الاَّ في نفوسهم، واخرون يسعون في تنفيع غيرهم من الأرواح وهو الأفضل من أولئك، واخرون فيهم النعمة فيسلّمون أجسادهم للمضارّ والالام من أجل الله، وهم أفضل ممن لا يفعلون ذلك، وبعض يحوزون النعمة فيميلون إلى التشامخ والمديح من الناس، ويظهرون انهم مسيحيون شركآ في الروح، واخرون يجتهدون في اخفاء نفوسهم بحيث لا يقابلون أحداً.

فقد ترون انه حتى في الكمال ذاته تكون الارادة الصالحة نحو الله التي تصدر من الارادة الطبيعية هي الأسمى والابرك.

وكما إذا كان إنسان له ملابس فقير يرى نفسه في المنام غنياً، فعند ما يستيقظ يجد نفسه فقيراً عرياناً كما كان، كذلك الذين يتحدثون الحديث الروحاني يظهرون كانهم ينطقون به بفصاحة تامَّة، ولكن من حيث ان ليس لديهم الشي عينه الذي هو موضوع هذه الأحاديث

(٢٧) افسس ص ٦ عدد ١٤ و١٦

(٢٨) اول تسالونيقية ص ٥ عدد ٩١

فعند ما يرتبطون في عقلهم بنوع ذوق وقوة وثقة ايمان تامَّة لا يبقى لهم سوى خيال ذلك فقط.

وكذا إذا كانت امراة لابسة الحرير ومزيّنة بالجواهر وتترامى في كلّ ماخور، كذلك هولاء الناس قلوبهم هي ماوى للأرواح النجسة، ومع ذلك يسرعون في الحديث عن البرّ بدون أن ينظروا الأعمال المختصة به.

وكما انه لا يمكن للسمك أن يعيش بلا ماء، ولا للدواب أن تمشي بلا أقدام، ولا نظر النور بلا عيون، ولا التكلم بلا لسان، ولا السمع بدون آذان، كذلك بغير الرب يسوع وفاعلية قوته الالهية الشديدة لا يمكن لأحد معرفة الأسرار وحكمة الله، أو ان يغني غِنىً حقاً ويصير مسيحياً، لأن أولئك المرشَدين والمضبوطين في انسانهم الباطن بالقوة الالهية هم أهل حكمة وتجلّد وجهادٍ وثبات وهم فلاسفة الله، لأن فلاسفة اليونانيين يتعلمون الكلام واما غيرهم وان لم يكونوا بلغآ لكنهم يبتهجون ويفرحون بنعمة الله لكونهم اناساً اتقياء.

فلننظرن إذاً أيهما أفضل، قال الرسول(٢٩) ملكوت الله ليست بالقول بل بالفعل والقوة، لأنه قد يسهل على أي من كان أن يقول هذا الخبز مصنوع من حنطة، ولكن ينبغي له أن يعلمنا بالخصوص كيف يتحضر ويُعجَن، وكذلك يسهل التكلم عن الخلاص من الاهواء الفاسدة وعن الكمال، ولكن خبرة التوصل إلى عمل الكمال ليست دارجة، لأن الانجيل يقول بالاختصار لا تغضب(٣٠) لا تشتهِ ومَن

---

(٢٩) اول قورنثية ص ٤ عدد ٢٠

(٣٠) متى ص ٥ عدد ٢٢ و٣٩ و٤٠

لطمك على خدك الايمن فحول له الاخر، ومَن أراد مداينتك واخذ ثوبك فدع له ردآك أيضاً، ولكن الرسول اتى بعد ذلك ففصَّل كيفية المواظبة على فعل الطهارة رويداً رويداً[٣١] بالصبر والتحمل وغذانا برضاع اللبن[٣٢] كالأطفال[٣٣]، ثم أتى بنا إلى النمو والكمال، لأن الانجيل قال (مثلا)، ان ملبوسنا مصنوع من صوفٍ[٣٤]، ولكن الرسول شرح كيفية صنعه شرحاً مدققاً فيه.

فالذين ينطقون بالحقائق الروحانية بدون أن يذوقوا ما ينطقون به، يشبهون انساناً يسافر في برية قفرة في وسط الحرّ الشديد، فإذا عطش يتخيل في عقله ينبوعاً مخرجاً ماءً يشرب منه، والحال ان تلك المدة كلها تنشف شفتاه ولسانه من العطش البالغ منه، أو هم كمَن يقول ان العسل حلو مع انه لم يذقه قط ولم يعرف قوة حلاوته، كذلك هم أولئك الذين يتكلمون من الاهوآ الفاسدة عن الكمال والبهجة الروحانية، أو عن الخلاص، والحال انه ليست فيهم الفاعلية والثقة التي تصدر من الايمان، وليست الأشياء كلها كما يصفونها.

لأنه إذا كان أحد من هذا النوع يُحسب أهلاً لأن يتم قوله بالفعل، فحينئذٍ يكشف ذلك في نفسه بحيث يقول من قلبه، حقاً اني لم أجد ذلك كما كنت أظن، لأني كنت أتكلم من جهة والروح يفعل من جهة أخرى.

---

(٣١) قابل رومية ص ٣ و٥ قولاسايس ص ١ عدد ٩ ــ ١٤ يعقوب ص ١ عدد ٤ ثاني بطرس ص ١ عدد ٤ و٨

(٣٢) أول قورنثية ص ٣ عدد ١

(٣٣) عبرانيين ص ٥ عدد ١٢

(٣٤) متى ص ٧ عدد ١٥

والحاصل ان الدّين المسيحي ليس أقلّ من الأكل والشرب وكلما أكل أحد منه[٣٥] ازداد العقل تولعاً بحلاوتهِ[٣٦] فلا يكفّ ولا يكتفي بل يطلب زيادة ولا يزال ياكل ولا يشبع[٣٧].

وكرجل ظمان يُعطَي شياً حلواً ليشربه فبعد أن يذوقه مرةً يزداد ظمأ إليه لكونه يزداد حرارة منه لحلاوته، بل ان ذوق الروح لا نهاية له، حتى انه ليس يوجد شيء لأن يُمثل به، وهذه ليست أقوال فارغة، لأن هذا هو فعل الروح في العقل بطريق خفي.

ولكن بعضاً يزعمون انهم قديسون بداعي امتناعهم من النساء ومن الأشياء المنظورة، والحال ليس الأمر هكذا، لأن الخطية لا تبرح في العقل وتعيش وتعلو في القلب، ولكن القديس هو مَن تمت طهارتهُ وقداسته في الإنسان الباطن[٣٨]، لأنه حيثما يكون الحق حالاً هناك يكون الضلال منازعاً وساعياً في أن يخفيه وبظلمه، ولما كان اليهود ممتلكين الكهنوت كان بعض أهل ملّتهم يُضطَهَدون[٣٩] ويتضايقون بسبب ثباتهم في الحق كالعازر والمقابيين، ولكن الان بداعي انه منذ عهد صليب المسيح وانشقاق الستر انتزع منهم الروح، كُشِف هنا الحق[٤٠]، وقد يفعل ذلك بيننا، ولذلك لا يزال بعض من هذه الأمة

---

(٣٥) يوحنا ص ٤ عدد ٣٤ وص ٦ عدد ٥٣ ــ ٥٧

(٣٦) مزمور ١٩ عدد ١٠ ومزمور ١١٩ عدد ١٠٣

(٣٧) الجامعة ص ٢٦ عد ٢١

(٣٨) متى ص ٣ عدد ١٢ ثاني قورنثية ص ٧ عدد ٧.

(٣٩) عبرانيين ص ١١ عدد ٣٧

(٤٠) ثاني قورنثية ص ٤ عد ٦ افسس ص ٣ عدد ٢٠ رومية ص ٩ عدد ٢٦ أمثال ص ٢٣ عدد ٢٣ روية ص ١٢ عدد ١١

عينها إلى الآن يضطهدون فاهل الامَّة الأولى كانوا يضطهدون ويتضايقون لأجل ان احباء الحق يستشهدون من أجله، لأنه كيف يظهر الحق ان لم يقابل اعداء كذبة يمارونه[٤١] وبين الأخوة أيضاً بعض يتحملون الالام والشدائد، ومع ذلك فلا بد لهم من كثرة الاحتراز[٤٢] لئلاَّ يسقطوا، لأن أحد الأخوة لما كان مرةً في الصلاة مع آخر جذب بالقوة الإلهية فاختُطف ورأى اورشليم[٤٣] المدينة العليا، وأشكالها البهية ونورها الساطع، وسمع صوتاً يقول، هذا مكان راحة الأبرار، وبعد قليل تشامخ وظن ان الرويا التي رآها نُسِبَت إليهِ، فهبط بعد ذلك في اقصى اعماق الخطية، وفي سيئات غير متناهية.

فان كان المجذوب في باطنه والمتقدّم كثيراً قد زلّ، فكيف يقدر أحد الناس العوام ان يقول، انا بصومي وتنسكي وبذلي كل خيراتي[٤٤] اصير قديساً، لأن مجرَّد الامتناع من الشر ليس كمالاً، ولكنك ان دخلت مرةً في عقلك المظلم وقتلت الحيَّة التي هي اوطى من عقلك، وأعمق من أفكارك، الواكنة في مخادع نفسك الخفية ومخازنها، ساعيةً في هلاكك، (لأن القلب هو هوة لا قياس لعمقها)، أقول ثانياً ان قتلتها واخرجت كل ما كان فيك من النجاسة فحينئذٍ يتغير الحال حقاً، لأن الفلاسفة وأهل الشرع والرسل ومجي مخلصنا اجمعوا كلهم على تعليم قاعدة الطهارة هذه العظمى، فان كافة الناس سوآ كانوا يهوداً أو امماً يحبون الطهارة، ولو انهم لا يقدرون أن يدركوها.

---

(٤١) أول قورنثية ص ١١ عد ١٩

(٤٢) اول قورنثية ص ١٣ عدد ٣

(٤٣) عبرانيين ص ١٢ عدد ٢٢ و٢٣

(٤٤) أول قورنثية ص ١٣ عدد ٣

فيجب علينا إذاً أن نفتش عن الكيفية والوسائل التي تحاز بها طهارة القلب، لعمري ليس من سبيل الاَّ بواسطة مَن صُلب[٤٥]، لأنه هو الطريق[٤٦] والحياة والحق والباب[٤٧]، والدرة[٤٨]، والخبز الحيّ السموي[٤٩]، وبدون ذلك الحق لا يمكن لأحد أن يعرف الحق[٥٠] أو ان يخلص.

وكما انه لأجل الإنسان الظاهر وكل الاشيا الظاهرة قد جحدتَ كلاً منها وفرقتً المال كله، كذلك من جهة الحكمة الدنيوية[٥١] ان كنت ذا فهم[٥٢] وبلاغة فارذلها جميعها[٥٣] واعتدها كلا شيء لكي تتهذب بجهالة البشري التي هي الحكمة الصحيحة[٥٤] بحيث لا تحوز زخارف الأقوال بل القوة التي تفعل بالصليب المقدس، فالمجد للثالوث المتحد في جوهر واحد امين.

---

(٤٥) طيطس ص ٢ عدد ١٤

(٤٦) يوحنا ص ١٤ عدد ٦

(٤٧) يوحنا ص ١٠ عدد ٩

(٤٨) متى ص ١٣ عدد ٤٦

(٤٩) يوحنا ص ٦ عدد ٥١

(٥٠) أول قورنثية ص ٢ عدد ١١ و١٤ متى ص ١١ عدد ٢٧ وص ١٨ عدد ١١

(٥١) أول قورنثية ص ٣ عد ١٨ وص ١ عدد ٢١

(٥٢) ابركسيس ص ١٩ عدد ١٩ و٢٠

(٥٣) فيلبسيوس ص ٣ عدد ٧ و٨

(٥٤) أول قورنثية ص ١ عدد ٢٤ و٢٥

العظة الثامنَة عشر

في كنز المسيحيين أعني به المسيح والروح القدس الذي يدرّبهم على الاتيان إلى الكمال بأنواع مختلفة

ان كان أحد في هذا العالم غنياً جداً ومجرزاً كنزاً خفياً، فبهذا الكنز وبما عنده من المال يبتاع كل ما مال إليه هواه، وكل الأملاك العزيزة التي يشتهيها في هذا العالم يقتنيها سهلاً باعتماده على كنزه لأن بمساعدة ذلك (الكنز) يهون عليه اقتنا الأملاك التي توافق رايه، كذلك الذين يطلبون من الله اولاً ثم يجدون وينالون كنز الروح السموي، يضي الله في قلوبهم فيكملون برّ الفضايل كله وغاية الصلاح الذي هو في وصايا الرب من الكنز الذي هو فيهم أعني المسيح، وبواسطته يجمعون خزائن عظيمة من المال السموي، لأن بوسيلة الكنز السموي يصنعون كل فضيلة في دائرة البرّ، وكل وصية من وصايا الرب بمساعدة غني النعمة الغير المنظور فيهم.

ولهذه الغاية قال الرسول[١] وهذه الذخيرة لنا في آنية خزفٍ، يعني لما كانوا في الجسد حُسبوا أهلاً لأن يمتلكوا في باطنهم قوة الله المقدسة[٢] وقال أيضاً[٣] هو الذي صار لنا حكمة من قبل الله وبراً وطهارةً وفداءً.

---

(١) ثاني قورنثية ص ٤ عدد ٧

(٢) افسس ص ٣ عدد ١٦

(٣) أول قورنثية ص ١ عدد ٣٠

فكل مَن وجد إذاً هذا الكنز السموي وامتلكهُ في باطنه وهو كنز الروح فانه يكمّل في روحه[٤] برَّ الوصايا كله وفِعْلَ الفضايل تماماً بنقاوة بدون عيبٍ، وبلا اغتصاب وصعوبة[٥]، فلنتوسل إلى الله إذاً ونطلب منه باجتهاد، ونصبّ امامه تضرعاتنا لكي يهبنا مجاناً كنز روحه ولكي نقدر بذلك أن نسير في جميع وصاياه[٦] بلا ملامة وبدون عيب، ونكمل برّ الروح كله بنقاوة وكمال بواسطة الكنز السموي وهو المسيح.

لأن المسكين العريان والفقير الهالك من الجوع لا يقدر أن يبتاع شياً في العالم، فان فقرة يمنعه، واما مَن كان حائزاً كنزاً فانه بسهولة وبلا تعب يتسلط على أي أملاك شاء كما قلنا آنفاً، كذلك النفس العريانة المحرومة من شركة الروح، التي هي في شدائد الخطية القاسية[٧] فانها وان اظهرت مهما اظهرته فلا تثمر ثمرة واحدة من ثمار روح البرّ بالحق والصحة، الاَّ ان حصلت أولاً على شركة هذا الروح ذاته.

ولكن يجب أيضاً على كل أحد أن يغصب نفسه على التوسل إلى الله لأجل أن يُحسَب أهلاً لنوال ووجود كنز الروح السموي لكي يقدر بلا تعب وصعوبة ان يتم وصايا الرب كلها بطهارة وبدون عيب، وان لم يمكنه أن يفعل ذلك قبلاً ولو بالاغتصاب، لأن النفس إذا كانت محرومة من شركة الروح كيف تقدر أن تحوز هذه الاملاك الروحانية من دون أن يكون لها كنز الروح وغناه فاما النفس التي تجد الرب الذي

---

(٤) يوحنا ص ٣ عدد ٢١
(٥) مزمور ١١٩ عدد ٣٢ يوحنا ص ٨ عدد ٣٦
(٦) لوقا ص ١ عدد ٦
(٧) لوقا ص ١٥ عدد ١٦ و١٧

هو الكنز الحقاني بطلب الروح والايمان ومداومة الصبر فانها تثمر ثمار الروح كما قلنا سابقاً، وتكمل برّ الرب ووصاياه كلها، التي امر الروح فيها وبها بنقاوة من دون تقصير أو عيب.

وهاك مثلا اخر، إنساناً غنياً يريد أن يصنع وليمة فاخرة، فانه يأخذ من ذلك المال والكنز الذي لهُ، ولا يخال أبداً أنه يحتاج إلى شيء لما عنده من المال الوافر، ويهادي الضيف الذي دعاهُ بالعز والفخر، ولا يزال يضع قدامه أصنافاً من المأكولات، واما الفقير الذي ليس له هذا السعد ان كان يميل عقله إلى أن يُضيف أصدقاه، فانه يستعير كل شيء من الأواني والمائدة والفُوَط، وغير ذلك من اللوازم، وبعد كل شيء إذا انتهت الضيوف يرجع إلى بيت كل إنسانٍ ما اقترضه منه من الفضة والفوط، وغير ذلك من الأثاث كما هي عادة كل فقير في ذلك، فإذا ردَّ كل شيء إلى صاحبه عاد فقيراً عرياناً كما كان، إذ ليس عنده مال ينشرح بهِ، وكذلك الأغنياء بالروح القدس الذين عندهم الغني السموي حقاً، وشركة الروح مع نفوسهم، ان كلموا أحداً بكلمة الحق، أو حدثوهُ بالأقوال الروحانية ليفرّحوا بها نفسه، فان ذلك يصدر من مخزنهم ومن ذخيرتهم التي حصلوا عليها، فمنها يتكلمون ومنها يفرّحون نفوس الذين يسمعون خطابهم الروحاني، ولا يخافون الضلال لأنهم حايزون الكنز السموي حقاً كنز الصلاح الذي يأخذون منه ويحيون ضيوفهم بالروح، أما المسكين الذي لا يملك غِنَى المسيح، وليس في نفسه الكنز الروحاني، الذي ينبع صلاحاً عاماً على الأقوال والأفعال والأفكار الروحانية والأسرار التي لا توصف، فانه وان شاء ان ينطق بالحق ويعزّي سامعيه، فمن حيث انه لم ينل كلمة الله بالقوة

والحق في باطنه، بل يتذكر ويقتبس فقط جُملاً من كل جزء من الكتاب المقدس، أو مما سمعه من الروحانيين فيقصّها ويعلّم بها، فيظهر كانه إنما يفرح غيره حقاً وهم يستنفعون مما ينطق به، ولكنه حين ينتهي من تكرير كل كلمة، فالكلام يعود إلى مصدره الأصلي الذي أخذ منه، ويرجع الإنسان ذاته إلى ما كان عليه قبلاً من العُري والفقر[٨]، لأن ليس له كنز الروح ليدعوه متاعه فياخذ منه وينفع ويحيي، إذ لم يكن هو قد حيى من قبل ولا ابتهج بالروح.

ولهذا الموجب ينبغي لنا أولاً أن نطلب من الله باجتهاد قلب[٩] وايمان، ليهب لنا أن نجد في قلوبنا هذا الغنى، وهو كنز المسيح الصحيح بقوة الروح وفاعليته، فإذا وجدنا فائدته فينا أولاً وهي الخلاص والحياة الأبدية والرب نفسه، فحينئذٍ نفيد غيرنا أيضاً[١٠] لاقتدارنا على التداخل فيهم، فنخرج من كنز المسيح الذي فينا[١١] كل صلاحٍ بالمخاطبات الروحانية، ونعلن الأسرار السموية، لأن إرادة الاب الصالحة ارتضت بأن يحلّ هو مع كل مَن يؤمن به ويرومه، لأن المسيح قال[١٢] الذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه وأظهر له نفسي، وإليه نأتي ونصنع عنده منزلاً[١٣]، هذا ما شاءَهُ احسان الرب الغير المتناهي، وهذا ما ارتضت به محبة المسيح التي لا توصف، وهذا ما وعد به صلاح الروح الفائق كل منطوق، فالمجد لِمَا للثالوث المقدس من المراحم

---

(٨) الجامعة ص ٣٧ عدد ١٩
(٩) لوقا ص ٢٢ عدد ٤٤
(١٠) لوقا ص ٢٢ عدد ٣٢
(١١) متى ص ١٢ عدد ٣٥
(١٢) يوحنا ص ١٤ عدد ٢١
(١٣) يوحنا ص ١٤ عدد ٢٣

التي تعلو على كل وصفٍ، لأن الذين حُسبوا أهلاً لأن يصيروا بني الله[١٤] ولأن يولدوا من الروح من فوق[١٥] والمسيح فيهم منوراً[١٦] ومريحاً[١٧] اياهم، يقودهم الروح بهدايات مختلفة متعددة، وتفعل النعمة في قلوبهم سراً، وتكون لهم مع ذلك راحة روحية.

فلنُبد الأوصاف المنظورة في العالم من جهة المسرّات والتنعمات لكي نوضح طرائق الروح في النفس بأمثال خصوصية، فهي تارة تعلو كما في وليمة الملوك[١٨] وتفرح فرحاً وسروراً لا يوصف، وتارةً تكون كالعروس التي بموالفة عريسها تتنعَّم باللذات الالهية وتارة تكون كالملئكة[١٩] الغير المحجوزين بهذه المظلة الأرضية، لكثرة تساميهم وخفتهم جسداً وغيره، وتارة تكون كالغالب عليهم السُكر فتسكر بالروح وبالسرائر الإلهية الروحانية.

وأحياناً تكون جميعها في همّ وتاسف على كل جنس البشر[٢٠]، وتتشفع في ذرّية آدم كلها، وتولول وتنوح عليها بحيث تضطرم وتلتهب فيها محبة الروح للطبيعة البشرية، وأحياناً يتقد فيها فرح الروح ومحبته بهذا المقدار، حتى انه لو أمكنها لخطفت كل إنسان إلى أحشائها بدون أن تفرّق بين الردي والجيد.

وأحياناً تتضع جداً تحت كل شخص بحقارة الروح حتى تحسب

---

(١٤) يوحنا ص ١ عدد ١٢
(١٥) يوحنا ص ٣ عدد ٣ و٥
(١٦) ثاني قورنثية ص ٤ عدد ٦
(١٧) متى ص ١٠ عدد ٢٨
(١٨) لوقا ص ١٥ عدد ٢٥ و٣٢
(١٩) أول يوحنا ص ١ عدد ٣
(٢٠) مزمور ١١٩ عدد ١٣٦

ذاتها أدنى وأقلّ الكل، وأحياناً يشغلها الروح بفرح لا يوصف، وأحياناً يكونون كبطل يلبس الدرع الملوكي[٢١] ويهجم على أعدائه في الحرب، ويقاتلهم بجراءَة ويظفر بهم، لأن الروحاني أيضا يأخذ أسلحة الروح السموية[٢٢]، وينزل على أعدائه ويقاتلهم ويدوسهم تحت رجليه[٢٣]، وأحياناً تستريح النفس في هدو عظيم وسكوت وصمت، لكونها تنهمك في اللذة الروحانية وفي راحة لا توصف وفي أمان، وأحياناً تعلّمها النعمة[٢٤] في فهم وحكمة لا توصف، وفي معرفة الروح[٢٥] الفائقة الوصف، وفي أشياء لا يقدر أن ينطق بها لسان أو فم[٢٦]، وأحياناً تصير كاحد العوام، فهكذا تختلف طريق النعمة فيهم، ويوجد اختلاف أيضاً في المنوال الذي به تقود النفس وتحييها بحسب إرادة الله ورضاهُ، وبهذا الاختلاف تمرن لتعود بذلك إلى أبينا السموي تامةً بلا دنس نقية.

ولكن أفعال الروح هذه المتقدم ذكرها تختص بالمعالي القريبة من الكمال، لأن تنعمات النعمة الذي سبق الكلام عليها هي مختلفة الوصف، ولكن ليس لفاعليتها انقطاع، بل فاعلية تلي أخرى، لأنه حين تصل النفس إلى كمال الروح، ويتم تطهيرها من أهوائها الفاسدة، وتتحد مع الروح المعزي بالفة لا توصف، وتختلط بالروح تماماً، وتُحسب

---

(٢١) افسس ص ٦ عدد ١١ لوقا ص ١١ عدد ٢٢

(٢٢) ثاني قورنثية ص ١٠ عد ٤

(٢٣) يوحنا ص ٥ عدد ٤

(٢٤) سفر الحكمة ص ٩ عدد ١٧ و١٨ مزمور ٥١ عدد ٦

(٢٥) افسس ص ٣ عدد ١٩

(٢٦) ثاني قورنثية ص ١٢ عدد ٤

اهلاً لأن تصير روحاً في ذاتها بهذا الاختلاط* وحينئذٍ تصير كلها نوراً وكلها عيناً وكلها روحاً وكلها فرحاً وكلها راحة، وكلها بهجة، وكلها محبة وكلها أحشاء، وكلها صلاحاً وحلماً، فانه كما أن الحجر الذي يكون في وسط البحر يحيط به المآ من كل ناحية، كذلك هولاء هم مغمورون بالروح القدس ويشبهون المسيح نفسه، ويحتوي باطنهم على فضائل قوة الروح† بلا تغيير، لكونهم بلا عيب من داخل ومن خارج، ولا دنس فيهم بل هم أتقياء، فانهم إذا أتى بهم الروح إلى الكمال الواجب كيف يمكنهم أن يخرجوا ثمار الخطية من خارج، بل في كل الأزمنة وفي كل حال تضي ثمار الروح(٢٧) خارجاً في سيرتهم كلها ضياءً لامعاً.

فلنتوسل إذاً إلى الله ونومن بالمحبة والرجاء الوافر، لكي يمنحنا النعمة السموية نعمة موهبة الروح، حتى يتولانا هذا الروح نفسه ويقودنا إلى إرادة الله كلها، ويمتعنا بأنواع الراحة المعهودة التي يمنحها هو، لكي بواسطة هذه الفاعلية وتأثير النعمة, والتهذب الروحاني، نُحسَب اهلاً

* هذا الاختلاط المذكور هنا ليس شياً فاحشاً أو جسدياً. بل هو عين الاختلاط الذي يذكره الله بين كلمة الله والايمان في السامع. عبرانيين ص ٤ عدد ٤

† الذي افهمه بقوله الفضائل الخ انها فضيلة الروح القدس أو قوتها ذات الأضعاف السبعة التي تعمد بها مخلصنا المبارك من حيث هو إنسان. قابل متى ص ٣ عدد ١٦ اشعيا ص ١١ عدد ٢. قولاسايس ٢ عدد ٩. وتعمدت بها الكنيسة بواسطته قابل يوحنا ص ١ عدد ١٨. أول يوحنا ص ٢ عدد ٢٧ قولاسايس ص ١ عدد ٩

(٢٧) قابل غلاطية ص ٥ عدد ٢٢ و٢٣ متى ص ٥ عدد ١٦

لادراك كمال ملء المسيح، كما نصّ على ذلك الرسول قائلاً[٢٨] لتملوا بكل ملء الله، وقال أيضاً[٢٩] حتى نلاقي جميعنا لرجل كامل على قدر عمر ملء المسيح، وقد وعد الرب كل الذين يومنون بهِ ويسالون منه بالحق[٣٠]، بانه يعطيهم أسرار شركة الروح الفائقة الوصف، فبعد ان ننذر نفوسنا بكليتها للرب، يجب علينا أن نجدّ على قدر طاقتنا في المبادرة إلى إدراك الصالحات التي تقدمنا فذكرناها، بحيث نتعبد نفساً وجسداً ونتسمَّر في صليب المسيح لعلنا نصير أهلاً للملكوت السموية، فنمجد الاب والابن والروح القدس مدى الدهور امين.



العظة التاسعَة عشر

في أن المسيحيين الذين يريدون الترقي والتقدم يجب عليهم ان يغصبوا نفوسهم إلى كل شي صالح لكي ينجوا من الخطية الحالة فيهم ويمتلئوا بالروح القدس.

مَن شاء ان يجي إلى الرب، وان يُحسَب اهلاً للحياة الأبدية، ويكون مسكناً للمسيح[١] ويمتلئ بالروح القدس، ويكمل وصايا الرب

---

(٢٨) افسس ص ٣ عدد ١٩

(٢٩) افسس ص ٤ عدد ١٣

(٣٠) يوحنا ص ٤ عدد ٢٤

(١) قابل الخروج ص ٤٠ عد ٣٤ أول قورنثية ص ٣ عد ١٦ يوحنا ص ١٤ عدد ٢٣ روية ص ٣ عدد ٢٠

بالطهارة وبلا عيب، يجب عليه أن يبتدي أولاً بالايمان بالرب[٢]، وان يسلم نفسه بكليتها لهدايات وصاياه، ويودّع من العالم وداعاً عاماً، لكيلا يغلظ عقله بشي من الاشيآ الظاهرة[٣].

ويجب عليه أيضاً أن يواظب على الصلاة[٤] في ايمان الرب وانتظاره بحيث ينتظر افتقاره[٥] وعونه في كل حين، ويميل عقله دائماً إليه بثبات، ثم يجب عليه أن يغصب نفسه إلى كل فعل صالح وإلى وصايا الرب كلها بسبب الخطية الحالة فيه[٦] مثلاً ليغصبْ نفسه أن يكون ذا عقل متواضع قدام جميع الناس، وبعد نفسه[٧] ادناهم وارداهم جميعاً، فلا يطلب كرامة الناس[٨]، أو مديحهم أو فخرهم من أحد على ما كُتب في الإنجيل، بل ينصب الرب[٩] ووصاياه قدام عينيهِ دائماً، كما نص على ذلك الرب عينه قائلاً[١٠] تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم.

وليعوّد نفسه أيضاً على أن يكون رحيماً محسناً رقيق القلب، صالحاً على قدر ما يمكنه، كما شرح ذلك ربنا قائلاً[١١] كونوا رحماء ومحسنيين كما أن أباكم رحيم، وقال أيضاً[١٢] ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي،

---

(٢) يوحنا ص ١٤ عدد ١

(٣) ثاني قورنثية ص ٤ عدد ١٨

(٤) رومية ص ١٢ عدد ١٢ أول تسالونيقية ص ٥ عد ٧ لوقا ص ١٨ عدد ١

(٥) مزمور ٤٠ عدد ١ ومزمور ١٠٦ عدد ٤

(٦) رومية ص ٧ عدد ٢٠ و٢١

(٧) فيلبسيوس ص ٢ عدد ٣

(٨) يوحنا ص ٥ عدد ٤٤ وص ١١ عدد ٤٣

(٩) مزمور ١٦ عدد ٨ ابركسيس ص ٢ عدد ٢٥ مزمور ١١٩ عدد ٢٤

(١٠) متى ص ١١ عدد ٢٩

(١١) لوقا ص ٦ عد ٣٥ و٣٦

(١٢) يوحنا ص ١٤ عدد ١٥

وقال أيضاً، اغصبوا فان الغاصبين[١٣] يغتصبون ملكوت السموات، واجتهدوا[١٤] في الدخول من الباب الضيق.

وقبل كل شيء فليحفظ في باله تواضع ربنا ولا يتعدّاه وكيفية معيشته وحلمه وسيرته، كان هذا هو قانون لا يسهي عنه أبداً، وليدمن على الصلاة[١٥] بلا فتور، ويؤمن لعل الرب يحل فيه عند مجيئه[١٦]، وبصيرة كاملاً[١٧]، ويقويه[١٨] في جميع وصاياه، ولعل الرب يصير مسكناً لنفسه[١٩]، والأشيآ التي يفعلها الآن باغتصابٍ وبنفور قلب سيفعلها بعد زمانٍ عن إرادة منه بتعوّدِه دائماً على ما كان صالحاً، وتفكره في الرب كل حينٍ[٢٠] وانتظاره إياه[٢١] بكثرة المحبة[٢٢]، فاذا لحظ الرب شدة تشوقه واجتهاده الحسن، وكيف أنه يغصب نفسه إلى اذكار الرب، وإلى ما كان صالحاً، وإلى تواضع العقل، والوداعة والمحبة، ويدفع قلبه إلى ذلك بخلاف إرادته، ويامره على قدر طاقته بقوة الاغتصاب، فحينئذ يظهر الرب له الرحمة وينقذه من أعدائه[٢٣] ومن الخطية المقيمة فيه[٢٤]

---

(١٣) متى ص ١١ عدد ١٢

(١٤) لوقا ص ١٣ عدد ٢٤

(١٥) رومية ص ١٢ عدد ١٢

(١٦) روية ص ١٢ عدد ١٢ ثاني قورنثية ص ٦ عدد ١٨

(١٧) اول بطرس ص ٥ عدد ١٢

(١٨) فيلبسيوس ص ٤ عد ١٣ افسس ص ٦ عدد ١٠

(١٩) مزمور ٩١ عد ١ و٢ امثال ص ١٨ عدد ١٠

(٢٠) مزمور ١١٩ عد ٨١ و٨٢

(٢١) لوقا ص ٧ عدد ٤٧

(٢٢) مزمور ١٣٠ عدد ٦

(٢٣) لوقا ص ١ عدد ٧٤

(٢٤) رومية ص ٧ عد ٢٤

ثم يملاه بالروح[٢٥] وفيما بعد يفعل أوامر الرب بالحق[٢٦] بلا اغتصاب أو صعوبة، وانما هو الرب نفسه[٢٧] الذي يفعل وصايا فيه، وحينئذ يخرج ثمار الروح بطهارة[٢٨].

ولكن الذي يأتي إلى الرب يجب عليه أولاً أن يغصب نفسه هكذا إلى ما كان صالحاً ولو كان قلبه مخالفاً لذلك، وأن ينتظر رحمته دائماً بايمان لا يتزعزع، ويغصب نفسه إلى المحبة ان كان خالياً من هذه النعمة، ويغصب نفسه إلى الحلم ان كان ناقص الحلم، ويغصب نفسه إلى الشفقة والى امتلاك قلب حنون، ويغصب نفسه إلى تحمل الذلّ والهوان بصبر جميل، وان رُذل وفُضح فلا يتحرك بالغيظ على ذلك كما هو مكتوب[٢٩] ويا أحبتي لا تنتقموا لنفوسكم، ويغصب نفسه إلى الصلاة ان لم تكن فيه الصلاة الروحانية، فإذا رآه الله في هذه المجاهدات معذباً نفسه بالاغتصاب مع نفور القلب يهب له صلاة الروح الحقيقية[٣٠]، وينعم عليه بالمحبة الصحيحة وبوداعة الحق واحشاء المراحم[٣١] والحلم الحقاني وبالاختصار يملأهُ بثمار الروح.

واما ان كان أحد عارياً عن الصلاة بحيث يغصب نفسه إليها لأجل الحصول على صلاة النعمة فقط ولا يسعى في طلب الوداعة والتواضع والمحبة ووصايا الرب الأخرى ولا يعتني ولا يتعب ولا يجتهد لأجل نظامها

---

(٢٥) افسس ص ٥ عد ١٨ وص ٣ عدد ٩١

(٢٦) افسس ص ٥ عدد ٩

(٢٧) اشعيا ص ٢٦ عد ١٢ يوحنا ص ٣ عدد ٢١ فيلبسيوس ص ٢ عدد ١٣

(٢٨) يوحنا ص ١٥ عد ٢ و٥

(٢٩) رومية ص ١٢ عد ١٩

(٣٠) رومية ص ٨ عد ٢٦

(٣١) قولاسايس ص ٣ عد ١٢

الواجب فموجب اختياره ورضاهُ تُعطي له أحياناً صلاة النعمة، ولكنها تبقي منفردة على حدتها كحسب طلبته، الاَّ انهُ يظل كما كان أولاً من حيث سلوكه وسيرته، فيبقي بلا وداعة لأنه لم يطلبها ولم يحضّر نفسه لها، وبلا تواضع لأنه لم يسال عنه[٣٢] ولم يسعَ في تحصيله، ولا عنده محبة لكل الناس لكونه لم يبال أو يتنهد[٣٣] في صلاته من أجلها، وليس لهُ ايمان ولا ثقته بالله في تكميل ما عليه من الأفعال، لأنه لم يعرف نفسه، ولذلك لم يعلم ان ذلك يعوزه، ولم يتعب بشدة حين طلب من الرب نوال اتكال ثابت صحيح عليه.

لأنه جدير بكل أحدٍ انه كما يغصب نفسه ويندفع إلى الصلاة بنفور قلب كذلك يغتصب إلى الثقة بالله وإلى التواضع، وإلى الوداعة والصدق والسداجة، وإلى كل الصبر[٣٤] والاناة بفرح كما كتب، فهكذا يجب عليه باغتصاب العادة أن يعدّ نفسه كلا شي، ويتحمل صيت مسكنتهِ، وانه اخر الناس كلهم[٣٥]، ويقتضي انه يهتم بتجنب الكلام الفارغ، ويتأمَّل أمور الله كل حين ويعلنها بفمهِ وقلبه، وكذلك يسعى في هذا السبيل، ان لا يتقد بالغضب، ولا يكون ذا تشويش وضجة (كما قيل[٣٦] وكل مرارة وسخط وغضب وصراخة وفرية فلينزع منكم مع كل الخبث)، وان يشتمل على سيرة ربنا كلها، وعمل الفضيلة تماماً، وطريق عيشة صالحة مشهورة، وسيرة حسنة على العموم، وكل تواضع الوداعة، فلا يتشامخ ولا يتكبر ولا ينتفخ ولا يتكلم في حق انسان.

---

(٣٢) يعقوب ص ٤ عد ٢
(٣٣) لوقا ص ٢٢ عدد ٤٤
(٣٤) يعقوب ص ١ عدد ٢ الى ٤
(٣٥) مرقص ص ١ عد ٣٥
(٣٦) افسس ص ٤ عدد ٣١

فمَن كان مريدا إذاً أن يكون مقبولا لدى المسيح ومرضيا عنه فعليه بسياق نفسه إلى هذه الأشياء كلها بكلية الاغتصاب، حتى إذا رأى الرب تقدمه وتمام عزمه في اغتصاب نفسه هكذا على كل الصلاح والسداجة والاحسان والتواضع والحب والصلاة، وكيف انه يسوق ذاته إليها بشدة يُدخل فيه نفسه كلها، فان الرب نفسه يفعل فيه هذه الأشياء كلها بالحق بنقاوة بلا تعب واغتصاب، مع انه لم يكن يقدر ان يفعلها من قبل بالاغتصاب والاندفاع بسبب الخطية الحالة فيه، وتصير أفعال الفضيلة هذه كلها كانها طبيعة فيه، لأن الرب حين يأتي فيما بعد ويصير فيهِ وهو في الرب يكمّل فيه أوامرهُ بلا تعب مالئاً اياه بثمار الروح.

واما ان غصب أحد نفسه إلى الصلاة فقط حتى ينال موهبتها من الله، ولا يغصب نفسه أيضاً إلى احراز اللوازم المتقدّم ذكرها، ولا يجدّ فيها، ولا يعوّد نفسه عليها، فلا يقدر أن يحوز فعلها بالنقاوة بلا عيب أبداً، بل يجب عليه هكذا أن يُميل نفسه إلى الصلاح بقدر طاقته، لأن النعمة الالهية تحلّ عليهِ في ساعة الصلاة والتضرعات عينها(٣٧)، لأن الله صالح(٣٨) ومحسن، والذين يسالونه يمنحهم طلباتهم، واما مَن كان خالياً من الخواص السالف ذكرها، ولم يعوّد نفسه عليها، ولم يمل إليها، فانهُ وان نال النعمة يعدمها لا محالة ويسقط بالكبريآ، او انه لا يتقدَّم ولا يترقّى في النعمة الموهوبة له، لأنه لا يسلّم نفسه لوصايا الله

---

(٣٧) دانيال ص ٩ عدد ٢١ ابركسيس ص ١٠ عدد ٣٠

(٣٨) مزمور ٥٠ عدد ٤ لوقا ص ٦ عدد ٣٥ أول بطرس ص ٢ عدد ٣

برضاه[٣٩]، لأن مسكن الروح ومقامه هو التواضع[٤٠] والمحبة والوداعة وبقية وصايا الرب.

فكل مَن شاء إذاً أن يرضى الله بالحق وينال منه النعمة السموية نعمة الروح، وأن ينمو[٤١] ويكمل[٤٢] في الروح القدس، فهو جدير بأن يغصب نفسه إلى وصايا الله كلها، ويخضع لها قلبه النافر كما هو مكتوب[٤٣]، لأجل هذا بازاء كل وصاياك تقومت وكل طريق ظلم ابغضت، فانه كما أن الإنسان يسير بالغصب والحصر لأجل الثبات في الصلاة إلى أن يتعوَّد عليهِ، كذلك في جميع أحوال فعل الفضيلة ان كان ذا عقل مطيع فانه يغتصب ويجتهد مع نفسه، ويعوّد نفسه العادات الحميدة ومع مداومة الطلب والصلاة إلى الله كل حين ولو بعد أن ينال مرغوبه ويذوق الله[٤٤] ويصير شريكاً في الروح القدس، يجدّ جداً صحيحاً في تربية الموهبة المعطاة له[٤٥]، وفي أن يجعلها زاهية بحيث يثق بتواضعه وبالمحبة والوداعة.

والروح ذاته يمنحه هذه ويعلّمه الصلاة الحقانية والمحبة الصحيحة

---

(٣٩) مزمور ١١٩ عد ١٧٣
(٤٠) اشعيا ص ٥٧ عدد ١٥ يوحنا ص ١٤ عدد ٢٣ أول يوحنا ص ٤ عدد ١٦
(٤١) ثاني بطرس ص ٣ عدد ١٨
(٤٢) يوحنا ص ١٧ عدد ٢٣ قولاسايس ص ٢ عدد ١٠
(٤٣) مزمور ١١٩ عد ١٠٤ و١٢٨
(٤٤) أول بطرس ص ٢ عد ٣ مزمور ٣٤ عدد ٨ عبرانيين ص ٦ عدد ٤
(٤٥) متى ص ٢٥ عدد ١٦

والوداعة الحقيقية التي كان قبلاً يغصب نفسه إليها ويطلبها ويشتهيها، وكانت أفكاره كلها معلقة بها، وأخيراً اعطيت له فإذا نما هكذا[٤٦] وكمل في الله يُحسَب اهلاً لأن يصير وارث الملكوت، لأن المتواضع لا يسقط أبداً وإلى اين يسقط إذا كان هو أسفل الكل، وأما التشامخ فهو سقوط عظيم والتواضع هو تشامخ عظيم وكرامة وعز.

فلنجذب إذاً نفوسنا بالجزم والغصب إلى شكل التواضع العقلي ولو لم تكن للقلب إرادة، وإلى الوداعة والمحبة، إذ نتوسل إلى الله ونلتمس منه بالايمان والرجآ والمحبة بلا انقطاع، وبانتظار وامل أن يرسل روحه إلى قلوبنا، حتى نصلي إلى الله ونسجد له بالروح والحق، والروح ذاته يصلي فينا[٤٧] لعل الروح عينه يعلمنا الصلاةً الحقانية التي لا نقدر على تحصيلها الان بالاغتصاب، وتواضعَ العقل الصحيح الذي لا نقدر نعوّد نفوسنا عليه بالاغتصاب، واحشا المراحم والاحسان وبقية وصايا الرب، ويعلمنا أن نفعلها بالحق بدون مانع ناشئ عن عدم الرضا الباطن أو مانع خارجي كما يعلم الروح كيفية ذلك حين يملانا بثماره.

فإذا كملنا وصايا الله بواسطة روحه الذي وحده يعلم[٤٨] إرادة الرب وإذا أكملنا ذلك الروح في ذاته[٤٩] وكمل هو فينا[٥٠] وتطهرنا من نجاسة الخطية وعيبها، فحينئذٍ يأتي بأرواحنا إلى المسيح كعرائس

---

(٤٦) افسس ص ٢ عدد ٢١ وص ٤ عد ١٥ قولاسايس ص ٢ عدد ١٩

(٤٧) رومية ص ٨ عدد ٢٦ و٢٧

(٤٨) اول قورنثية ص ٢ عد ١١

(٤٩) ثاني قورنثية ص ١٢ عدد ٩

(٥٠) أول قورنثية ص ١٣ عد ١٠ أول يوحنا ص ٤ عدد ١٢

جميلات طاهرات بلا دنس، فنسند نفوسنا على الله في ملكوته من جهة والله يقيم فينا من جهةٍ أخرى على أبد الدهور، فالمجد لمراحمه ورافته ومحبته على أنه رضى بادخال ذرية جنس البشر إلى كرامة ومجد هذا مقداره، وحسبهم أهلاً لأن يكونوا بنين لابيه السموي[٥١]، وأعلن لهم أنهم أخوته فله المجد إلى الأبد امين.

✠

العظة العشرُونَ

في أن المسيح الذي هو الطبيب الحقاني للإنسان الباطن هو وحده قادر على أن يشفي النفس ويزينها بحلة النعمة

ان كان أحد عرياناً[١] لقلة الملابس الالهية السموية التي هي قوة الروح كما قيل، وان كان أحد ليس فيه روح المسيح[٢] فليس هو من خاصته، فلبيكِ ويتوسل إلى الرب حتى ينال اللبس الروحاني الذي من السماء، ويأخذ غطاءً لنفسه العارية عن القوة الالهية، لأن غيره مكسوّ بكساء الروح وهو مكسوّ بالعيب العظيم عيب الاهواء الدنية[٣].

لأنه كما في الأشيآ المنظورة إذا كان أحد عرياناً يحلّ به خزي وفضيحة

---

(٥١) متى ص ١٢ عدد ٢٥

(١) قابل ثاني قورنثية ص ٥ عد ٣ روية ص ٣ عدد ١٧ و١٨ وص ١٦ عدد ١٥ وص ١٩ عدد ٨ تكوين ص ٣ عدد ٧ و١٠ و١١ خروج ص ٣٢ عدد ٢٥

(٢) رومية ص ٨ عدد ٩

(٣) رومية ص ١ عدد ٢٦

عظيمة، بل الأصدقاَ ينصرفون عن أصدقائهم العرايا، والأقارب عن أهاليهم، كلاًّ بل ان من البنين من راوا اباهم عرياناً وصرفوا عنه وجوههم(٤) لكيلا يعاينوا جسد ابيهم العريان، وانما رجعوا على اعقابهم وستروه، ولذلك ارتفعت عنه عيونهم، كذلك ينصرف الله من النفوس الغير المكسوة بلباس الروح في ملء ثقة الايمان لكونها لم تلبس الرب يسوع(٥) بالقوة والحق.

ثم ان الإنسان الأول لما رأى نفسه عرياناً خجل(٦) فما أعظم فضيحة العري، فغذا كان من قبيل الجسد يعرضنا وهو عريان فضيحة كُبرَى، فكم بالحري النفس العارية عن القوة الالهية، التي لا تكتسي ولا تلبس اللباس الأبدي الروحاني الغير الموصوف وهو الرب يسوع المسيح نفسه بالحق، هي مغطاة بالخجل والاهواء الفاضحة، وكذلك كل مَن كان غير مكتس بذلك المجد الالهي يجب عليه أن يستحي ويقرّ بفضيحته، كما استحى آدم من عري جسده ومع انه ستر نفسه بورق التين فلم يزل خجلهُ مصاحبا له لعلمه بفقره وعريه جداً، فلتطلب النفس هذه من المسيح المعطي الذي يكسوها بالمجد في النور الذي لا يوصف، بدون أن تعمل لذاتها غطاء من الأفكار الباطلة، أو تنخدع بزعمها انها بارّة، وان عليها لباس الخلاص(٧).

فانه ان استند أحد على برّه وما راعى برّ الله(٨) أعني الرب الذي

---

(٤) تكوين ص ٩ عدد ٢٣

(٥) رومية ص ١٣ عدد ١٤

(٦) تكوين ص ٣ عدد ٧

(٧) اشعيا ص ٥٦ عدد ١٠

(٨) رومية ص ١٠ عدد ٣ و٤

جعل لنا برّاً وفداء على ما قاله الرسول(٩) فان تعبه يصبح باطلاً لا ثمرة به، لأن كل زعمه ببّره يصير في يوم الأخير بمنزلة خرقة نجسة كما قال النبي(١٠) كخرقة الخائض كل برآتنا.

فلنطلب إذاً من الله ونتوسل إليه لكي نلبس لباس الخلاص، وهو الرب يسوع المسيح النور الفائق الوصف الذي إذا لبسته النفوس لا تنزعه قط، بل تتمجد أجسادهم أيضاً في القيامة بمجد ذلك النور الذي تلبسه النفوس الأمينة الفاضلة في هذا الان على قول الرسول(١١) ان ذلك الذي أقام المسيح من بين الأموات سيحيي أجسادكم المايتة أيضاً من أجل روحه الحالّ فيكم، فالمجد لمراحمه المتعطفة ولرافته التي تفوق كل وصف ومنطوق.

وأيضاً كما ان المراة التي كانت معتله بنزف الدم لما صارت مومنة بالحق(١٢) ولمست طرف لباس ربنا شُفيت حالاً ونشف جاري دمها النجس(١٣) كذلك كل نفس فيها جرح الخطية الذي لا دواء له، وينبوع الأفكار الخبيثة النجسة، ان اتت إلى المسيح وصلَّت إليه بايمان صحيح، فانها تعود إلى الصحة وتخلص من ينبوع الاهواء الفاسدة الذي كان لا علاج لهُ، والينبوع الذي يُخرج أفكاراً نجسة لا ينقطع وينشف الاّ بقوة المسيح فقط، وليس لأحد غيره قدرة على شفاء هذه البلية، لأن العدوّ كان فطناً للغاية في معصية آدم، حتى انه جرح الإنسان الباطن واظلمه،

---

(٩) أول قورنثية ص ١ عدد ٣٠

(١٠) اشعيا ص ٦٤ عدد ٦

(١١) رومية ص ٨ عدد ١١

(١٢) متى ص ٩ عدد ٢٢

(١٣) مرقص ص ٥ عدد ٢٩

وهو الجزء المرشد فيه وهو العقل الذي كان يتطلع إلى الله، فمالت عيناه بعد ذلك إلى الخطية والفساد لكونه حُرم من خيرات السماء.

فهذه كانت شدة جرحه حتى انه لم يمكن لأحد أن يشفيه منه غير الله، وعليه وحده سهل ذلك، لأنه عند مجيئه رفع خطية العالم[١٤]، يعني نشف الينبوع النجس ينبوع أفكار النفس، لأنه كما أن تلك المراة التي كانت معتلة بنزف الدم كانت قد صرفت كل ما كان لها على الذين وعدوها بالشفآ ولم يشفها أحد إلى أن أتت إلى الرب بايمان صادق ولمست طرفه، فحسّت حينئذٍ انها شُفيت ووقف نزف دمها، كذلك هو حال النفس التي جُرحت منذ البدء بجرح أهواء الخطية الذي لا دواء له، فلم يقدر ان يعالجه أحد من الأبرار كلاًّ ولا الاباء عامّة ولا الأنبياء ولا البطاركة خاصة.

ولقد أتى موسى ولكنه لم يقدر ان يعطي صحة كاملة، والكهنة والعطايا والعشور والسبوت[١٥] والاهلَّة والنظافات والذبايح والمحرقات التامة[١٦] وسائر متفرعات البر كانت تحفظ جميعها بالدقة تحت السنّة، ومع ذلك فلم يكن بها شفاء النفس[١٧] وتطهيرها من الينبوع النجس، أي ينبوع أفكار الخطية، ولم ينفع برّها كله لشفائه إلى أن أتى المخلص نفسه الطبيب الحقاني[١٨] الذي يشفي مجاناً[١٩] فبذل نفسه فداء

(١٤) يوحنا ص ١ عدد ٢٩

(١٥) اشعيا ص ١ عدد ١٣

(١٦) مزمور ٤٠ عدد ٦

(١٧) عبرانيين ص ١٠ عدد ٤

(١٨) لوقا ص ٤ عدد ٢٣ ملاخيا ص ٤ عدد ٢

(١٩) متى ص ١٠ عدد ٨

لجنس البشر[٢٠] فهو وحده[٢١] صنع فداء النفس وعلاجها العظيم المنقذ، وهو ذاته الذي حرَّرها[٢٢] من حال العبودية، واخرجها من الظلمة[٢٣] بعد أن مجَّدها بنوره[٢٤]، فهو حقاً انضب ينبوع الأفكار النجسة، لأن الكتاب المقدس يقول، ها هوذا حمل الله الذي يرفع خطايا العالم.

لأن أدويتها التي كانت من الأرض[٢٥] يعني أفعالها البارَّة وحدها لم تقدر أن تعالجها وتشفيها من هذه الضربة العظيمة الغير المنظورة بل بالطبيعة السموية الالهية، وبموهبة الروح القدس، وبفضيلة هذا الدواء عاد الإنسان إلى الصحة والحياة بحيث تطهر في قلبه بالروح القدس، ولكن كما أن المراة المذكورة في المثل السالف، ولو انها لم تكن قد شُفيت وظل فيها وجعها، جاء بها قَدَمَاها إلى الرب وعند مجيها صحت، وكما أن الأعمى أيضاً الذي لم يقدر أن يمشي لياتي إلى الرب صرخ إليه صرخة أشدّ مما لو جاء بها رُسْل، لأنه قال ارحمني يا ابن داود[٢٦] وبايمانه[٢٧] نال علاجا، لكون الرب اتاه بنفسه وجعله يبصر، كذلك النفس ولو انها جُرحت بجروح الاهواء الفاسدة[٢٨]

---

(٢٠) متى ص ٢٠ عدد ٢٨
(٢١) مزمور ٥٩ عدد ١٦
(٢٢) يوحنا ص ٨ عدد ٣٦
(٢٣) لوقا ص ١ عدد ٧٩ قولاسايس ص ١ عدد ١٣ متى ص ٤ عدد ١٦
(٢٤) لوقا ص ٢ عدد ٣٢
(٢٥) سفر الحكمة ص ٣٨ عدد ٤
(٢٦) مرقص ص ١٠ عدد ٤٦ ـــ ٥٠
(٢٧) مرقص ص ١٠ عدد ٥٢
(٢٨) اشعيا ص ١ عدد ٦

وعميت بظلمة الخطية، فمع ذلك لا تزال فيها إرادتها حتى تصرح إلى يسوع وتناديه لياتي هو ويصنع لها فداء أبدياً.

لأنه كما أن الأعمى لو لم يصرخ إلى الرب، والمراة التي كان بها النزف الدموي لو لم تاتِ إليه، ما كان أحد منهما شفي، كذلك الان ان لم ياتِ أحد إلى الرب بإرادة وميل منه، ويطلب منه بثقة الايمان التامة فلا يشفي أبداً، فلماذا شُفِي ذانك الاثنان للوقت بايمانها، ونحن لم يعد إلينا بصرنا بالحقيقة ولم نُشفَ من فساداتنا الخفية[٢٩] لكن الرب لا يزال اعتناوه بالنفس الأبدية أكثر من الجسد، لأنها ان استردت بصرها بموجب هذه الكلمات افتح عينيّ[٣٠] فلا تعدمه أبداً فيما بعد، وان صحَّت فلا تعود تتجرح أبداً، فانه ان كان الرب عند مجيئه على الأرض أعتني بالأجساد الفاسدة، فكم بالحري يعتني بالنفس الغير المائتة المصنوعة على شبهه، ولكن بسبب قلة ايماننا وعدم الاتفاق بيننا وقلة حبّنا له وقلة ايماننا به يقيناً إلى الان غير شركاء في سلامته[٣١] وخلاصه.

فلنومن به إذاً[٣٢] وناتي إليه بالحق لكي يتم فينا حالاً صنعه الشافي الحقيقي، لأنه وعد بانه يعطي الذين يسالونه روحه القدوس[٣٣]، ويفتح للذين يقرعون، وبان الذين يطلبونه، يجدونه فالذي وعد لا يكذب[٣٤] له المجد والقدرة إلى الأبد امين.

---

(٢٩) مزمور ١٩ عدد ١٢

(٣٠) مزمور ١١٩ عدد ١٨

(٣١) مزمور ٦٧ عدد ٢

(٣٢) عبرانيين ص ١١ عدد ٦ يوحنا ص ١٤ عدد ١

(٣٣) متى ص ٧ عدد ٧ لوقا ص ١١ عدد ١٣

(٣٤) عبرانيين ص ٦ عدد ١٨ طيطوس ص ١ عدد ٢

العظة الحادية والعشرون

في أن المسيحي قدامه حربان باطن وظاهر، أحدهما في ابتعاده من الحماقة العالمية، والثاني في القلب ضدّ أوامر الأرواح الخبيثة

مَن شاء ان يرضي الله حقاً وكان عدواً صحيحاً للعدو أي للخطية ينشبك في قتالين وعراكين، الأول مع الاشيآ المنظورة المتعلقة بهذه الحياة الحاضرة بحيث يتجنب الحماقة الدنيوية، وحب العلائق العالمية والأهواء الخبيثة، والثاني مع الأشياء المستترة[١] بحيث يقاوم روح الخبث الذي قال عنه الرسول[٢]، ان محاربتنا ليست مع لحم ودم بل مع الروساء والسلاطين ومع ولاة العالم الذين لهذه الظلمة، ومع الأرواح الخبيثة في السمويات.

لأن الإنسان لما تعدَّى الوصية وطُرد من الفردوس رُبط من جهتين وبسلسلتين في هذه الحياة الحاضرة وهمومها، وفي حب العالم يعني اللذات الجسدية والشهوات الدنية، والغني، والجاه، والمال، والزوجة، والبنين، والأقارب، والبلاد، والأماكن، والملابس، وبالاختصار في كل الأشياء المنظورة، فكلمة الله تامره بأن ينحلّ من جميع هذه باختياره، لكون كل واحد يرتبط بالأشياء الظاهرة عن رضىً منه، فإذا حلّ نفسه وخلص

---

(١) أول قورنثية ص ٤ عدد ٥ ثاني قورنثية ص ٤ عدد ٢

(٢) افسس ص ٦ عدد ١٢

من جميع هذه يتمسك بالوصية تماماً، ثم ان الأشياء المستترة عن الأعين الظاهرة محبوسة فيها النفس من كل جهة داخل حصون وزرائب وأسوار، ومربوطة في سلاسل الظلمة بالأرواح الخبيثة، بحيث لا يمكنها أن تحب الله مطلقاً، أو ان تؤمن به وتصلي له كما تشآ، لأنه منذ معصية الإنسان الأول اندهشنا من كل ناحية بمضادّة ثابتة في الأشيآ المنظورة والمستورة.

فان كان أحد إذاً عند سماعه كلمة الله يتجاسر على المحاربة، ويتخلّى عن أمور هذه الحياة، ويقطع عنه علائق الدنيا مطلقاً ولذات الجسد كلها، فانه حين ينتهي من هذه ويلتصق بالرب وينتظر ارادته يعرف ان في قلبه مصارعة اخرى ومقاومة أخرى مستترة، وحرباً اخر في أفكاره من الأرواح الخبيثة، ونزاعاً اخر منصوباً قدامه، وبدعائه الربَّ وعبادته له بايمان ثابت وصبر طويل ينال منه عوناً فينساب من داخل المرابط والحصون والزرائب وظلمة الأرواح الخبيثة التي ليست هي الاَّ قيام اهوائنا الفاسدة المستترة.

ولكن هذا الحرب ينتهي بنعمة الله وقوته، لأن الإنسان لا يستطيع من تلقاء نفسه أبدا أن يخلص من الخلاف والضلال الكائن في أفكاره، ومن خلل أهوائه الخفية وحيل الخبيث، فاما إذا انشغل أحد بامور هذه الدنيا الظاهرة، وارتبك باصناف السلاسل الأرضية، وطارت به اهواء الاثم، فلا يخطر بباله أبداً ان في باطنه مصارعة، أو عراكاً شديدا وحرباً ثايرة، لأنه ربما يتفق ان الإنسان بعد ان يدخل المعركة يتنحى ويخلص نفسه من رُبُط العالم الظاهرة ومن الأثقال المادّية ولذات الجسد، وياخذ في الالتصاق بالرب، إذ يفرغ نفسه من هذا العالم، وحينئذٍ يرى

في باطنه عركاً ثابتاً من داخل وأفكاراً خبيثة لأنه كما قلنا آنفاً انه ان لم يقاتل الدنيا وينكرها، ويتجنب الشهوات الأرضية من كل قلبه، ويشتهي بهوى نفسه كله أن يلتصق بالرب بثبات[٣] فلا يطلع أبداً على خداع أرواح الخبث الخفية[٤] وغوايات الخطية المستترة، بل يكون غريباً لنفسه بحيث لا يعلم بشي من جراحه، ولا يدري بالاهواء الخفية الكامنة فيه، وما عدا ذلك يرتبط في الأشياء الظاهرة وينكبّ على أمور الدنيا.

واما الذي يجحد العالم حقاً، ويقاتل ويطرح عنه حمل الأرض، ويخلص نفسه من الشهوات الباطلة، ولذات الجسد، والفخر، والولاية، واهواء الناس ويتنحي عنها من كل قلبه، (لأن في هذا القتال الظاهر يساعده الرب سراً على قدر جحده إرادة العالم[٥]) ويثبت في عبادة الرب، ويلتصق به بالكلية، جسداً وروحاً، فانه يلاقي مقاومة واهواء كامنة، وفخاخاً مخفية، وحرباً لم يرَها من قبل ومصارعة وقتالا خفيّين، فإذا توسل إلى الرب ونال من السماء أسلحة الروح[٦] التي عدّها الرسول المبارك في قوله[٧] درع البرّ، وبيضة الخلاص، وترس الايمان، وسيف الروح، وأقول ثانياً انه إذا تسلَّح بهذه فانه يقدر ان يقاوم حيل الشيطان الخفية في وسط سائر الاثم الذي يتهدده[٨]، ومتى نال هذا السلاح بكافة أنواع الصلاة والمداومة والابتهال والصوم، وكل ذلك بالايمان

---

(٣) مزمور ٧٣ عدد ٢٧

(٤) مزمور ٩١ عدد ٦

(٥) افسس ص ٢ عدد ٢

(٦) ثاني قورنثية ص ٤ عدد ١٠

(٧) افسس ص ٦ عدد ١٤

(٨) أول يوحنا ص ٥ عدد ١٩

يقدر أن يبرز لمحاربة الروساء والسلاطين والولاة فإذا غلبت (الاسلحة) القوات المعادية بمساعدة نعمة الروح وسعيه هو وراء الفضيلة، يُحسب أهلاً للحياة الأبدية، فيمجد الاب والابن والروح القدس لهم المجد والسلطان إلى الأبد امين.

✠

العظة الثانية والعشرون

في حالتي الذين يخرجون من هذه الحياة

انه حين تخرج النفس من الجسد يحدث سرّ عظيم، لأنه ان وُجد عليها اثم الخطية تاتيها جماعات الشياطين وقوات الظلمة ويقبضون عليها وياخذونها إلى نصيبهم[١]، فلا يُستعجب أحد من ذلك، فانه حيث كان خاضعاً ومطيعاً وعبداً لهم[٢] مدة حياته واقامته في العالم فالاحرى انهم يمسكونه عند خروجه منه ويحفظونه في ملكهم.

واما من جهة ان الأمور هي هكذا فافهم ذلك حسناً من وجه السعادة والخير، لأن عبيد الله الاطهار عليهم ملئكة حارسة لهم[٣] من هذه الساعة، وأرواح مقدسة محيطة بهم[٤] وحافظة لهم، فإذا خرجوا من الجسد تاخذ جماعة الملئكة أرواحهم[٥] إلى ناحيتهم[٦] في الخلد النقي وهكذا يحضرونه إلى الرب له المجد والملك إلى الأبد امين

---

(١) متى ص ٢٥ عدد ٤١
(٢) رومية ص ٦ عدد ١٦
(٣) متى ص ١٨ عدد ١٠
(٤) مزمور ٣٤ عدد ٧
(٥) لوقا ص ١٦ عدد ٢٢
(٦) عبرانيين ص ١٢ عدد ٢٢

العظة الثالثة والعشرُونَ

كما أن الدرة الملوكية الثمينة لا يقدر أحد أن يحصل عليها الاَّ المولودين من نسل الملوك، كذلك لا يوذن لأحد في الحصور على الدرة السموية الاَّ بني الله

ان الدرة الكبيرة الثمينة الملوكية المختصة بتاج الملوك انما هي لائقة بالملك وحده، وهو وحده يقدر أن يتقلّد بها وليس لأحد غيره أن يتقلد مثلها، كذلك الإنسان ان لم يولد الا من الروح الملوكي الالهي، ويصير من الذرية السموية الملوكية(١) وابناً لله كما هو مكتوب، ان الذين قبلوه اعطاهم سلطاناً ان يكونوا بني الله، فلا يقدر ان يتقلّد الدرة السموية المثمنة(٢) ابداً أي صورة النور(٣) ذلك النور الذي لا يوصف وهو الرب، لأنه ليس ابناً للملك، لأن الذين عندهم الدرَّة ويلبسونها يحيون مع المسيح ويملكون معه سوية إلى الأبد، لأنه هكذا قال الرسول، كما لبسنا صورة الأرضي فلنلبس أيضاً صورة السموي(٤).

وكما أن الفرس ما دام يرعى مع البهائم الوحشية في البراري لا ينقاد لجنس البشر، وبعد أن يُمسَك للترويض يضعون فيه لجاماً ثقيلاً إلى

---

(١) روية ص ١ عدد ٦
(٢) متى ص ١٣ عدد ٤٦
(٣) سفر الحكمة ص ٧ عد ٢٦ عبرانيين ص ١ عدد ٣
(٤) أول قورنثية ص ١٥ عدد ٤٩

ان يتعلَّم حسن المشي ونظامه، وحينئذٍ يركبه راكب ماهر ليصيرهُ نافعاً في وقت الحرب، وأخيراً يؤَهبونهُ للميدان بدرع وباقي اللوازم، ثم يرفعون اللجام الأول ويهزونه قدام عينيهِ ليعوّدوه على ذلك، وليمنعوه من الرماحة، فبعد أن يتعلَّم من راكبه يعرف أن يحارب العدوّ، لأنه بدون راكب ودرع لا يمكن للفرس أن يظهر في القتال، ولكنه بعد ان يتعلّم ويتعوَّد لا يشمّ ويسمع ضجة الحرب الاَّ ويجري على العدوّ هائجاً[٥] وبصهلة منه واحدة يلقي رعباً في العسكر.

كذلك النفس منذ زمن العصية صارت وحشية غير قابلة للتطبيع، ولها توالف الوحوش البرّية في خلاّ العالم، أي أرواح الخبث، وانهماك في خدمة الخطية، ولكنها متى سمعت كلمة الله وأصبحت مومنة إذ تُلجَّم بالروح، تترك سيرها الوحشي والحكمة الجسدية لكون المسيح راكبها يضبطها، وحينئذٍ تتروّض وتتطبع وتصير في شدائد لكي تُمتَحن إلى المنتهى، حتى تصل رويداً رويداً إلى طبع موافق بواسطة الروح، إذ تتناقص الخطية منها قليلاً قليلاً إلى أن تضمحل بالكلية، فعند ما تلبس درع البرّ وبيضه الخلاص وترس الايمان[٦] وسيف الروح تتعلَّم الحرب مع اعدائها[٧]، وعند تسلحها هكذا بروح الرب[٨] تقاتل الأرواح الخبيثة، وتطفي سهام الخبيث المتوقدة[٩]، لأن بدون سلاح الروح لا تبرز في صف القتال وانما إذا توشحت باسلحة الرب فكلما

---

(٥) ايوب ص ٣٩ عدد ٢١ إلى ٢٥

(٦) افسس ص ٦ عد ١٤ ــ ١٧

(٧) مزمور ١٨ عدد ٣٤

(٨) اشعيا ص ١١ عدد ٢ و٣

(٩) افسس ص ٦ عدد ١٤

سمعت أو شمَّت حروباً شديدة تندفع رامحة ومهللة كما قيل في ايوب، عند صوت صراخها يقعون على الأرض مبطوشاً بهم، فإذا تحملت حدَّة القتال ونالت الغلبة بواسطة الروح تحمل تيجان الظفر ببهجة عظيمة، وبعد ذلك كله تقيم في سلامة مع الملك السموي، له المجد والملكوت إلى الأبد امين.

☩

العظة الرابعة والعشرونَ

في أن حال المسيحيين يشبه التجارة والخمير. وكما أن التجار يجمعون مكاسبهم الأرضية. كذلك هولا يجمعون أفكارهم المشتتة في العالم. وكما أن الخميرة تخمر العجين كله. كذلك خمير الخطية يسري في نسل آدم كله. ولكن المسيح يضع خمير الخير الروحاني في النفوس المومنة

ان المسيحيين يشبهون التجار الذين يتاجرون للمكاسب العظيمة، فكما انهم يجمعون مكاسبهم الأرضية من الأرض، كذلك أولئك أي المسيحيون بمساعدة الفضايل جميعها وبقوة الروح يجمعون من الأرض كلها سائر أفكار قلوبهم المشتتة في جميع نواحي هذا العالم الحاضر، وهذه هي التجارة العظمى الحقيقية، لأن هذا العالم السفلي يسير بعكس العالم العلوي، وهذا الدهر الحاضر مخالف للدهر الغائب كل الخلاف، فيجدر بالمسيحي إذاً بعد أن يجحد العالم على حسب قول الكتب المقدسة، أن ينتقل وينطلق من هذا العالم في عقله، (فانه منذ عصي ادم لم يزل العقل متعرضاً فيه للفخاخ)، إلى العالم الاخر، وبذهنه يسكن في

العالم الالهي في العلا كما هو مكتوب، انما معاشرتنا هي في السموات[١].

ولكن هذا لا يتم أبداً بنجاح الاَّ ان جحَدَتِ النفسُ هذا العالَم اوّلا ثم آمنت بالرب من كل قلبها وقوة الروح الالهي تقدر ان تلمّ القلب المبدّد في الأرض كلها إلى محبة الرب، وتنقل الذهن إلى الدنيا الأبدية، لأنه منذ عصي آدم تشتتت أفكار النفس عن محبة الله إلى جميع جهات هذا العالم واختلطت بالتخيلات المادية الأرضية.

ولكن كما أن آدم بعد معصيته قبل في ذاته خمير أهواء الاثم، وبالشركة أخذ المولودون منه جميعاً أي نسل ادم كل نصيباً من ذلك الخمير، ومن بعد ذلك ازداد وانتشر، ونمت أهواء الاثم في البشر إلى درجة هذا مقدارها حتى وصلوا إلى غاية الفسق[٢] والنجاسة والاصنامية والقتل وغير ذلك من الفواحش إلى أن تخمرت الطبيعة البشرية بالخطية، كلاّ بل قد نبعت في البشر نبعاً عظيماً، حتى ظنوا ان ليس آله موجوداً[٣] فعبدوا الحجارة العديمة الحسّ، ولم يجوّزوا وجود اله حتى ولا في فكرهم[٤]، فإلى هذا المقدار[٥] تخمر نسل آدم القديم كله بخمير الاهواء الفاسدة.

وعلى نحو ذلك ارتضى الرب عند مجيئه أن يتالَّم من جرى الكل ويشتريهم بدمه[٦] ويضع خمير الصلاح الروحاني[٧] في النفوس المومنة

---

(١) فيلبوس ص ٣ عدد ٢٠

(٢) يعقوب ص ١ عدد ١٥ رومية ص ١ عدد ٢

(٣) مزمور ٥٣ عدد ١

(٤) مزمور ١٠ عدد ٤ رومية ص ١ عدد ٢٨

(٥) رومية ص ٧ عدد ١٣

(٦) رويا ص ٥ عدد ٩

(٧) متى ص ١٣ عدد ٣٣

المغلوبة بالخطية[٨]، وبعد ذلك بمقدار نشوه وتقدمه فيها يكمل كل برّ الوصايا وكل الفضايل إلى أن تتخمر وتصير كلها واحداً بذلك الصلاح، وتكون مع الرب روحاً واحدة[٩] كما قال مار بولس، حتى ان الخطية والخبث لا يعود يصل إلى الافكار التي في النفس المخمرة كلها بالروح الالهي، كما قيل ان المحبة لا تفكر بالسوء إلى آخره، فاما من دون الخمير السموي الذي هو قوة الروح الالهي، فلا يمكن للنفس ان تختمر بصلاح الرب وتنال الحياة، كما أن نسل آدم لم يمكنهم أن يتحولوا إلى هذه الدرجة الكبرى من الخطية والخبث الاَّ بعد أن دخلهم خمير الشر[١٠] وهو قوة ابليس العاقلة المدركة[١١].

وإذا فرضنا ان انساناً يعجن دقيقاً ولا يضع فيه خميراً، فكلما تعب في تقليبه وفي عجنه فان بلغ أحسن غاياته لا يزال عجيناً غير مخمر وغير مناسب للاكل، ولكن بعد أن يُطرح فيه الخمير يجمع العجين كله إلى ذاته ويخمره كله تخميراً كاملاً كما شبَّه الرب ملكوته في المثل قائلاً، تشبه ملكوت السموات خميراً اخذته امراة وخباته في ثلثة اكيال دقيق حتى اختمر الجميع[١٢].

أو فرضنا ان انساناً عنده لحوم كثيرة لكنه، غفل عن تمليحها بالملح الذي يهلك الدود ويزيل العفونة، معما حرص عليها واحتفظ بها فلا بدّ من أن تلك اللحوم تنتن ولا تنفع صاحبها، وكذلك

---

(٨) رومية ص ٧ عدد ٢٣

(٩) اول قورنثية ص ٦ عدد ١٧

(١٠) اول قورنثية ص ٥ عد ٨

(١١) ابركسيس ص ٥ عدد ٣ لوقا ص ٢٢ عدد ٣

(١٢) متى ص ١٢ عدد ٣٣ لوقا ص ١١ عدد ٢١

قدّر ان الطبيعة البشرية هي لحم أو عجين غير مخمَّر، وان الملح والخمير من عالم اخر، أي الطبيعة الالهية التي للروح القدس فلذلك ان لم يحصل الخلط ويُلقي خمير الروح السموي وملح اللاهوت الصالح المقدس من تلك الدنيا والبلد في الطبيعة البشرية المزينة بالتواضع، فلا يمكن للنفس أن تخلو من عفونة الخطية، ولا تخفّ من ذلك الثقل أو تخلو عن الخمير الذي هو للخبث.

فانه كلما بان للنفس انها تصنعه من تلقاءِ ذاتها وتعتني به وتتعب بسببه مستندة على مسند قوتها فقط، ومتخيلة انها قادرة على تكميله من ذاتها بدون مساعدة الروح، فانها تضلّ ضلالاً عظيماً، لأن تلك النفس ليست أهلاً للأماكن السموية أبداً[١٣]، ولا للملكوت إذا زعمت انها تقدر من تلقآ ذاتها[١٤] على أن تطهر حالها بكمال ونجاح، لأن المرء المعذَّب بالاهواء المشوشة ان لم ياتِ إلى الله بعد ان يجحد العالم ويومن مع الرجآ والصبر بانه ينال شياً صالحاً ليس مَن خواص طبيعته[١٥]، بل من قدرة الروح القدس، وبان الله يمطر[١٦] الحياة الالهية[١٧] على نفسه من العلا، فان هذا الانسان لا يحسّ بالحياة الحقيقية، ولا يفيق من سكرة الهيوليات ولا يضي نور الروح في النفس

---

(١٣) يوحنا ص ١٤ عدد ٢ افسس ص ٢ عدد ٦

(١٤) ايوب ص ١٥ عدد ١٤ إلى ١٦ وص ٢٥ عدد ٤ إلى ٦

(١٥) مرقص ص ١٠ عدد ١٨

(١٦) هوشع ص ١٠ عدد ١٢ قابله بمزمور ٧٢ عدد ٦ ارميا ص ٢٣ عدد ٦ رومية ص ٨ عدد ١٠

(١٧) حوبنا ص ١ عدد ٤ افسس ص ٤ عدد ١٨ قولاسايس ص ٣ عدد ٣ و٤

المظلمة سنه، أو يشعل اليومَ المقدسَ[١٨] في باطنها، ولا تستيقظ من سبات جهلها[١٩] لكي تعترف بالله يقيناً بقوة الله وفاعلية نعمته[٢٠].

فانه ان لم يُحسَب الإنسان بالايمان أهلاً لنوال النعمة فلا نفع به، ولا جدارة له بالملكوت[٢١] واما الذي ينال نعمة الروح ولا يحول عنها البتة، ولا يسيء إلى تلك النعمة بالتغافل أو شر الفعال، وإذا قاتل زمناً فزمناً لا يحزن الروح، فانه أهل للشركة في الحياة الأبدية، فانه كما يحسّ الإنسان بتأثير الأهواء الفاسدة أعني الغضب والشهوة والحسد والكسل وسوء الظن، وغير ذلك من الطباع الفاحشة كذلك يجب عليه أن يحسّ بنعمة الله وقوته في الفضايل، اعني في المحبة والاحسان والصلاح والفرح والانشراح، والبهجة الالهية، لكي يُجعَل على شبه الطبيعة الصالحة الالهية ويُخلط بها بفاعلية النعمة الموثرّة المقدسة، واما العزم الذي جُرِّب بتقدمها ونفعها عند ما كان لها زمن وفرصة، فان كان متحداً بالنعمة كل حين ومقبولاً فانها بقدر ترقيها تصير روحانية بكليتها، والذي يبقى متأخراً يصيره الروح مقدساً نقياً، ثم يُجعَل اهلاً للملكوت، فالمجد والسجود لاب الطهارة وللابن وللروح القدس، امين.

---

(١٨) اول تسالونيقية ص ٥ عد ٧

(١٩) رومية ص ١٣ عدد ١١

(٢٠) افسس ص ٣ عدد ٢٠ وص ٤ عدد ١٦

(٢١) لوقا ص ٩ عدد ٦٢

العظة الخامسَة والعشرُونَ

هذه العظة تعلم انه ان لم يكن الإنسان متايّدا بالمسيح فلا يخلص من عثرات ابليس. وتعلمنا ما يجب فعله على الذين يوثرون المجد الالهي. وان بمعصية ادم دخلنا في عبودية الاهواء الجسدانية وخلصنا منها بسرّ الصليب. ثم تعلمنا ان نتيجة الدموع والنار الالهية عظيمة.

ان الذين ليست السنَّة الالهية(١) مكتوبة فيهم بحبر وحروف، بل هي منقوشة في قلوب لحميَّة، فلأجل ان عيون عقلهم مستنيرة وهم دائماً مشتهون الرجاء ليس المنظور(٢) بل العقلي الغير المنظور(٣) يقدرون ان يخلصوا من عثرات الخبيث(٤) ولكن ليس من تلقآ ذواتهم بل من قوة لا تُغلَب(٥) واما الذين هم غير مكرّمين(٦) بكلمة الله، وغير مهذّبين في السنَّة الالهية، فمن تشامخهم الباطل يزعمون انهم بمطلق ارادتهم يقدرون ان يقطعوا أسباب الخطية التي شجبها سرّ الصليب وحده، لأن حرية الارادة التي في قدرة الإنسان محصورة في مقاومة

---

(١) قابل ارميا ص ٣١ عدد ٣٢ حزقيا ص ١١ عدد ١٩ و٢٠ ثاني قورنثية ص ٣ عدد ٣ يعقوب ص ١ عدد ٢١ و٢٤

(٢) رومية ص ٨ عدد ٢٤ ثاني قورنثية ص ٥ عدد ٧

(٣) يوحنا ص ٢٠ عدد ٢٩

(٤) قابل روية ص ٢ عدد ١٤ بالمزمور ٩١ عدد ٣

(٥) اول يوحنا ص ٤ عدد ٤

(٦) قابل أمثال ص ١ عدد ٩ بروية ص ٣ عدد ٢

الشيطان لا في قدرة التولي على أهوائه مطلقاً لأن صاحب المزامير قال، ان لم يبنِ الرب البيت وان لم يحفظ المدينة، فباطلاً يسهر الحارس، وباطلاً يتعب بانيهِ(٧).

لأنه لا يمكن لأحد أن يمشي على الحيّة والافعى ويدوس الأسد والتنين، الاَّ ان طهَّر أولاً نفسه على قدر امكانه(٨)، ثم تقوي من لدن ذلك الذي قال للرسل هانذا اعطيكم سلطاناً ان تدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدوّ، لأنه لو كانت الطبيعة البشرية قادرة أن تقاوم مخاتل الشيطان بدون سلاح الروح القدس التام ما كان لنا الرسول، ان الله وليّ الصلح يسحق الشيطان تحت أقدامنا عاجلاً، وأيضاً يقتله الرب بروح فمه(٩)، ولهذا الداعي أُمرنا سابقاً أن نطلب من الله قايلين، لا تدخلنا التجارب لكن نجنا من الشرير(١٠)، فانه ان لم يكن لنا عون اخر عالٍ نخلص به من سهام الخبيث المتوقدة، ونُحسب اهلاً للبنوة، فكل سيرتنا لا تجدي شياً لابتعادنا من قدرة الله جداً.

فمَن رام إذاً ان يصير شريكاً في المجد الإلهي وينظر شكل المسيح في قوة نفسه المستولية كما في مرآة، يجب عليه أن يطلب العون من الله بشدة قوته، وبحبٍّ لا يخمد، وبرغبة لا تنتهي بكل قلبه وطاقته

---

(٧) مزمور ١٢٧ عدد ١
(٨) ثاني طيماثاوس ص ٢ عدد ٢١ لوقا ص ١٠ عدد ١٩
(٩) رومية ص ٦ عدد ٢٠ قابل ثاني تسالونيقية ص ٢ عدد ٨ بالرويا ص ١ عدد ١٦
(١٠) متى ص ٦ عدد ١٣

ليلاً ونهاراً ولا يمكنه نوال ذلك الاَّ ان حرم نفسه من لذة العالم وشهوات القوة المعادية[١١] كما قلت آنفاً، فانها مخالفة للنور وهي همة الخبث، ولا يمكنها أن تكون ذات تأثير صالح بل هي غريبة من ذلك تماماً.

فمن ثم ان شئت ان تعرف لماذا نحن الذين خُلقنا للكرامة ووُضعنا في الفردوس، قسنا بعد ذلك بالبهائم التي لا فهم لها وشبّهنا بها[١٢] إذ سقطنا من المجد الذي لا عيب به، فاعلم اننا من حيث تعبَّدنا للاهواء الجسدانية بالمعصية، قد أقمنا خارجاً عن مكان الاحيآ الطوباني، ولسبب كوننا في العبودية فالى الان لا نزال جالسين على انهر بابل[١٣]، ومن حيث اننا لا نبرح محبوسين بمصر† فالمتضح اننا إلى الان لم نرث أرض الميعاد التي تفيض لبناً وعسلاً، وإلى الآن لم تختلط بخمير الصداقة، بل أقمنا على خمير الخبث القديم، وحتى الآن لم يُرش دم

† الذي يظهر لي أن قول المصنف أولاً اننا جالسون اسارى في بابل. ثم يقول فيما يلي ذلك اننا محبوسون بمصر لا يخلو من غرابة. الاّ ان صاحب الذوق السليم يلحظ ان قول المصنف ليس معناه بظاهر منطوقه. وان اتخذنا هتين العبوديتين اللفظيتين المصرية والبابلية رمزاً إلى العبودية السابقة التي صارت تحتها الخليقة كلها ولا سيما الإنسان وهي المشهورة المنسوبة إلى الجسد والعقل. وجدنا تالّفا في الكلام يدفع ما ظهر من التباين والتغاير فيه.

(١١) قابل اول بطرس ص ٢ عدد ١١ ويوحنا ص ٨ عدد ٤٤

(١٢) عبرانيين ص ٢ عدد ٧ مزمور ٨ عدد ٥ تكوين ص ٢ عدد ٨ مزمور ٤٩ عدد ٢٠

(١٣) مزمور ١٣٧ عدد ١

الله[١٤] على قلوبنا[١٥]، فانه لم يبرح فخ جهنم وصنارة الخطية منصوبة فيه، وحتى الان لم نقبل بهجة خلاص المسيح[١٦]، لأن شوكة الموت[١٧] لم تبرح نافذة فينا، وحتى الان لم نلبس الإنسان الجديد[١٨] المخلوق حسب الله بالبر لكوننا لم ننزع عنا الإنسان العتيق الذي يفسد بشهوات الضلالة[١٩]، وحتى الان لم نلبس صورة الإنسان السموي[٢٠] ولم نطابق مجده[٢١]، وحتى الان لم نسجد لله بالروح والحق[٢٢]، لكون الخطية متملكة في أجسادنا المايتة[٢٣]، وحتى الان لم نعاين المجد الذي لا يفسد، لأننا لم نزل تحت سطوة الليل الحالك[٢٤]، وحتى الان لم نتقلد بسلاح النور[٢٥] لأننا إلى الان لم نلق عنا سلاح الظلمة وسهامها وافعالها وحتى الان لم نتغير بتجديد عقولنا، لأننا لم نزل مطابقين لهذا العالم[٢٦] بأباطيل عقولنا، وحتى الان لم نتمجد مع المسيح[٢٧] لأننا لم نتالم معه، وحتى الان لم نحمل اشارته

---

(١٤) قابل عبرانيين ص ١٢ عدد ٢٤ باول بطرس ص ١ عدد ٢

(١٥) ابركسيس ص ٢٠ عدد ٢٨

(١٦) قابل مزمور ١٠٦ بروية ص ١٤ عدد ٣ وص ١٥ عدد ٣

(١٧) اول قورنثية ص ١٥ عدد ٥٦

(١٨) افسس ص ٤ عدد ٢٤

(١٩) افسس ص ٤ عدد ٢٢

(٢٠) اول قورنثية ص ١٥ عدد ٤٩

(٢١) رومية ص ٨ عدد ٢٩

(٢٢) اول يوحنا ص ٤ عد ٢٤

(٢٣) رومية ص ٦ عدد ١٢

(٢٤) قابل اشعيا ص ٥٩ عدد ٩ و١٠ وص ٣٠ عدد ٢٦ ومزمور ٧٢ عدد ٧

(٢٥) رومية ص ١٣ عدد ١٢

(٢٦) رومية ص ١٢ عدد ٢

(٢٧) رومية ص ٨ عدد ١٧

في أجسادنا[٢٨] مع اننا كنا في سرّ صليب المسيح، وذلك لأننا لم نزل عايشين في الشهوات واللذات الجسدانية، وحتى الان لم نُجعل وُرثآ وشركآ مع المسيح[٢٩]، لأن إلى الان فينا روح العبودية لا روح البنوّة، وحتى الان لم نصر هيكلاً لله ولا مسكناً للروح القدس، لأننا لم نزل هيكل الأصنام[٣٠]، وماوى للارواح الشريرة[٣١] بسبب شدة ميلنا إلى الاهواء الفاسدة.

لأننا يقيناً إلى الان لم نحصل على سداجة السيرة وطهارة النية، وإلى الان لم نُحسب أهلاً للَّبن الخالص العقلي وللتربية الذهنية[٣٢]، والى الان لم يطلع النهار ولم تطلع نجمة الصبح في قلوبنا[٣٣]، وحتى الان لم نشبه الرب[٣٥]، ولم ننل شبهاً من الطبيعة الالهية[٣٦]، وحتى الان لم نصر ذلك الارجوان الحرّ الملوكي، ولا صرنا صورة الله الشريفة، وحتى الان ما انجرحنا بالحب الالهي[٣٧]، ولا ابتلينا بمحبة العريس

---

(٢٨) غلاطية ص ٦ عدد ١٧
(٢٩) رومية ص ٨ عدد ١٧
(٣٠) حزقيال ص ١٤ عدد ٣
(٣١) روية ص ١٨ عدد ٢ متى ص ١٣ عدد ٤ و١٩
(٣٢) اول قورنثية ص ١٣ عدد ١١
(٣٣) ثاني بطرس ص ١ عد ١٩
(٣٤) متى ص ٥ عدد ١٦ ملاخيا ص ٤ عدد ٢ روية ٢ ص ١٢ عدد ١
(٣٥) يعقوب ص ٣ عدد ٩ قولاسايس ص ٣ عدد ١٠
(٣٦) ثاني بطرس ص ١ عدد ٤
(٣٧) قابل نشيد الانشاد ص ٥ عدد ٨ بمزمور ٤٥ عدد ٢ و٥ واشعيا ص ٤٩ عدد ٦

الروحانية، وحتى الان لم نعرف[٣٨] الشركة التي تفوق كل وصف[٣٩] ولا اطلعنا على القوة والسلام الذي لا ينفصل من القداسة، وبالاختصار لسنا حتى الان جيلاً مختاراً وكهنوناً ملوكياً وامة مقدسة وشعباً مخصوصاً[٤٠]، لأننا لم نزل إلى الان حيَّات وذرية افاعي[٤١].

وكيف لا نكون حيات والحال اننا لم نوجد في طاعة الله بل في المعصية التي أدخلتها تلك الحيَّة[٤٢] فعلى هذا الحال لست أعرف كيف انوح على شقاوتنا النوح الواجب، ولا علم لي باي صراخ وباية دموع[٤٣] اخاطب ذلك الذي هو قادر أن ينزع الضلال الذي فيَّ، فكيف ارتل نشيد الرب في أرض غريبة[٤٤]، وكيف انوح على أورشليم[٤٥]، وكيف انجو من عبودية فرعون القاسية، وكيف أعمل حتى اخرج مما انا فيه من الجوار النجس[٤٦]، وكيف اترك الظلم المرّ الذي أنا تحته، وباية طريق اخرج من أرض مصر، وكيف اسير في وسط البرية الكبرى، وكيف انجو من الهلاك[٤٧] إذا لَدغَتني الحيَّات، وكيف أغلب الغرباء، وكيف ابيد الامم التي في باطني قاطبة[†] وكيف اقبل اقوال السنَّة

---

(٣٨) افسس ص ٣ عدد ١٩

(٣٩) اول يوحنا ص ١ عد ٣

(٤٠) اول بطرس ص ٢ عد ٩

(٤١) متى ص ٣ عدد ٧

(٤٢) قابل تكوين ص ٣ عد ١٣ بسفر الحكمة ص ٢ عدد ٢٤ وروية ص ١٢ عدد ٩

(٤٣) عبرانيين ص ١٢ عد ١٧ وص ٥ عدد ٧

(٤٤) مزمور ١٣٧ عدد ٤

(٤٥) مراثي ص ١ عدد ١٢ و١٦ و٢٠

(٤٦) ثاني بطرس ص ٢ عدد ٧ و٨ ومزمور ١٢٠ عدد ٥

(٤٧) يوحنا ص ٣ عدد ١٤ و١٥ قابله بسفر العدد ص ٢١ عد ٩

† ان الكنعانيين المشار إليهم هنا كانوا في الظاهر رمزاً إلى الاهواء الفاسدة

الالهية على موائدي[٤٨]، وكيف اعاين عمود النور الحقيقي[٤٩] والسحاب الناشي من الروح القدس[٥٠] وكيف انتعم بمنّ اللذات الأبدية[٥١]، وكيف اشرب ماءً من الصخرة المحيية[٥٢]، وكيف اعبر الأردن وادخل أرض الميعاد، وكيف أعاين ريس الرب الذي حين راه يشوع خرّ له ساجداً، لأني ان لم استاصل الامم التي فيَّ بمعرفة هذه جميعها، فلا يمكنني أبداً ان ادخل أو أقيم في مُقدَّس الله ولا ان اصير شريكاً في ملكوت المجد.

فلذلك اسعَ بكل جهدك في أن تصير ابناً لله بلا عيب[٥٣]، وتدخل إلى تلك الراحة حيث دخل المسيح الرسول[٥٤] من أجلنا[٥٥]، واجتهد بكل طاقتك على أن يكتب اسمك في الكنيسة التي في السمآ في الابكار[٥٦]، وتكون عن يمين العزة في العلا[٥٧]، وتعلم

الكائنة في الطبيعة البشرية. ان يقتضي استيصالها بالمعنى الروحاني كاستيصال اوليك بالمعنى اللفظي. قابل تثنية ص ٧ عدد ٢ إلى ٥. باول يوحنا ص ٢ عدد ١٥ و١٦. وقد يُذكر الإنسان هنا كأنه دنيا صغرى الخ.

(٤٨) ثاني قورنثية ص ٣ عد ٣

(٤٩) روية ص ١٠ عدد ١

(٥٠) الجامعة ص ٢٤ عدد ٣ و٤

(٥١) روية ص ٢ عدد ١٧

(٥٢) اول قورنثية ص ١٠ عد ٤ يوحنا ص ٧ عد ٣٧ إلى ٣٩

(٥٣) افسس ص ١ عدد ٤

(٥٤) عبرانيين ص ٦ عدد ٢٠

(٥٥) يوحنا ص ١٤ عد ٢ و٣

(٥٦) لوقا ص ١٠ عدد ٢٠ عبرانيين ص ١٢ عدد ٢٣

(٥٧) قابل عبرانيين ص ١ عدد ٣ بروية ص ٣ عدد ٢١ ومتى ص ٢٠ عدد ٢٣

الدخول إلى المدينة المقدسة[٥٨] اورشليم ذات السلام، في أعلى فخرها[٥٩] حيث يوجد الفردوس[٦٠]، لأن هذه الأحوال الغريبة السعيدة[٦١] لا تُحسب اهلاً لها الاَّ ان سكبت الدموع نهاراً وليلاً على حسب نصّ من قال، احم في كل ليلة سريري وبدموعي ابلّ فراشي[٦٢]، ثم اعلم ان الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالفرح[٦٣]، ولذلك قال النبي باعتقادٍ، لا تغفل عن دموعي[٦٤] ثم قال، فاجعل دموعي امامك كما في موعدك[٦٥]، وقال في محلّ اخر، صارت لي دموعي خبزاً النهار والليل[٦٦]، وفي مزمور اخر، مزجت شرابي بدموعي[٦٧]، لأن الدمعة التي تسكب حقاً من شدة الغم وضيقة القلب[٦٨] للاقرار بالحق ويصحبها احتراق الاحشا[٦٩] هي قوت النفس المصطنع من الخبز السموي الذي أكلت منه مريم بمنوال ذي شان لمَّا جلست عند قدمي ربنا وبكت بحسب ما شهد به ربنا نفسه، لأنه قال ان مريم اختارت النصيب الصالح الذي لا ينزع منها، فيالتلك الدُرَر الثمينة التي تتساقط مع انسكاب الدموع السعيدة، ويا لذلك الاعتنآ

---

(٥٨) روية ص ٢١ عد ٧ و١٠ وص ٢٢ عدد ١٤ و١٥

(٥٩) غلاطية ص ٤ عدد ٢٦

(٦٠) روية ص ٢ عدد ٧

(٦١) عبرانيين ص ٨ عدد ٥

(٦٢) مزمور ٦ عدد ٦

(٦٣) مزمور ١٢٦ عدد ٥

(٦٤) مزمور ٣٩ عدد ١٣

(٦٥) مزمور ٥٦ عدد ٨

(٦٦) مزمور ٤٢ عدد ٣

(٦٧) مزمور ١٠٢ عدد ٩

(٦٨) ثاني قورنثية ص ٢ عدد ٤

(٦٩) ثاني قورنثية ص ١١ عدد ٢٩

المستقيم الناشي عن الطاعة، وبالشجاعة ذلك العقل[٧٠] وحكمته[٧١] ولحدة[٧٢] روح رب المحبة المتحركة إلى جهة العريس الطاهر، وبالشوكة الاشتياق الذي في النفس إلى الله الكلمة، وبالشدة الفة العروس بالعريس السموي[٧٣].

فاقتدي بهذا يا نفسي كابنٍ، الا اقتدي بهِ ولا تراعي سوى ذاك الذي قال، انا جئت لارسل ناراً على الأرض وما أريد الاَّ اضرامها[٧٤]، لأن اتقاد الروح هذا هو الذي يضرم حياة جديدة في القلب، ولهذا الداعي كانت منفعة هذه النار الالهية الغير الهيولانية ان تنير النفوس وتمتحنهنّ امتحان الذهب النقي في الاتون، وتحرق الخطية كالاشواك والقش، لأن الهنا نار آكلة ويجعل النقمة بلهيب النار من اوليك الذين لم يعرفوا الله، ولم يطيعوا انجيله[٧٥]، وهذه النار عينها فعلت في الرسل عند تكلمهم بالسنة نارية[٧٦]، وهذه النار عينها لمَّا نشرت شعاعها حول مار بولس نوَّرت عقله بصوتٍ واظلمت بصره الخارج[٧٧]، لأنه لم يحسّ بقوة هذا النور بدون الجسد، وهذه النار عينها راها موسى في العليقة[٧٨]، وهذه النار عينها اختطفت ايليا من الأرض بصورة

---

(٧٠) اشعيا ص ٤٦ عدد ٨

(٧١) تثنية ص ٣٢ عدد ٢٩

(٧٢) مزمور ٤٩ عد ٢

(٧٣) مزمور ٦٢

(٧٤) لوقا ص ١٢ عدد ٤٩

(٧٥) تثنية عدد ٤ عدد ٢٤ عبرانيين ص ١٢ عدد ٢٩ ثاني تسالونيقية ص ١ عدد ٨

(٧٦) ابركسيس ص ٢ عدد ٣ و٤

(٧٧) ابركسيس ص ٩ عدد ٣ و٤ و٥ و٨ و٩

(٧٨) خروج ص ٣ عدد ٢ ابركسيس ص ٨ عدد ٣٠

عربة[٧٩]، وفي طلب فاعلية هذه النار قال داود المبارك، اُبلني يا رب وجربني احم كليتي وقلبي[٨٠]، وهذه النار عينها احرقت قلب اكلاويا[٨١] واصحابه لما كان مخلصنا يكلمهم عن القيامة، ومن ثم تنال الملئكة والأرواح الخادمة من ضيآ هذه النار بحسب ما قيل في الكتاب المقدس، الصانع ملئكته أرواحاً وخدامه ناراً تلتهب[٨٢] وهذه النار بعينها تحرق الخشبة التي في العين الباطنة[٨٣]، وتردّ العقل إلى نقاوته، فإذا عادت إليه قوة النظر الأصلية فلا ينقطع عن معاينة عجايب الله كقول مَن قال افتح عيني لارى عجايب ناموسك[٨٤]، وتلك النار عينها هي التي تهزم الشياطين وتنزع الخطية، وهي القوة العظمى لاقامة الموتى إلى الحياة، وهي قوة الابد ونور الأنفس المقدسة، وسند القوات العاقلة، فلنطلب من هذه النار[٨٥] أن تأتي الينا أيضاً حتى إذا سعينا كل حين في النور[٨٦] لا تعثر أرجلنا بحجر أبداً ولا دقيقة واحدة[٨٧] بل نبث كلمة

(٧٩) رابع الملوك ص ٢ عدد ١١

(٨٠) مزمور ٢٦ عدد ٢

(٨١) لوقا ص ٢٤ عدد ٣٢

(٨٢) مزمور ١٠٤ عدد ٤ عبرانيين ص ١ عدد ١

(٨٣) متى ص ٧ عدد ٣

(٨٤) مزمور ١١٩ عدد ١٨

(٨٥) قابل النشيد الذي في تقليد القسوس في الصلاة العامة الذي أوله. يا أيها الروح المقدس للورى

(٨٦) أول يوحنا ص ١ عدد ٧

(٨٧) مزمور ٩١ عدد ١١ متى ص ٤ عدد ٦

الحياة الأبدية[٨٨] كانوار مضيئة في العالم حتى إذا تنعمنا بخيرات الله[٨٩] نقيم مع الرب في الحياة بحيث نمجد الاب والابن والروح القدس له المجد دائماً أبدياً امين.



العظة السَّادَسة والعشرون

في حق النفس المخلدة وفضلها وقابليتها وفاعليتها وكيف يجربها ابليس ثم تخلص من التجارب وفيها بعض سوالات فيها تهذيب كثير

أيها الأخ الحبيب لا تستحقنّ بطبيعة النفس المدركة فان النفس المخلدة هي اناء ذو ثمن عظيم، انظر وتامل ما أكبر السماء والأرض، ومع ذلك لم يرتضِ الله بهما أعظم رضىً[١]، بل ارتضى بك فقط فانظر قيمتك وكريم أصلك، حتى ان الرب اتاك رسولاً ليس بالملئكة[٢] بل بنفسه[٣] وذلك لغاية أن يردّك ثانياً بعد ان كنت ضالاً[٤] ومجروحاً[٥] ويعيدك إلى شكل آدم الأصلي[٦] في طهارته، لأن الإنسان كان رباً على الكل من السماء فوق إلى الأعماق أسفل، ومميزاً الاهواء

---

(٨٨) فيلسيوس ص ٢ عدد ١٥ و١٦

(٨٩) مزمور ٨٤ عدد ١١

(١) الجامعة ص ٤٢ عدد ٥ ــ ٨

(٢) عبرانيين ص ٢ عدد ٥

(٣) عبرانيين ص ١ عدد ٢

(٤) لوقا ص ١٥ عدد ٢٤

(٥) لوقا ص ١٠ عدد ٣٠

(٦) ثاني قورنثية ص ٥ عدد ١٧ روية ص ٢١ عدد ٥ يوحنا ص ٣ عدد ٣

نافراً من الشيطان وطاهراً من الخطيئة وعلى شبه الله ومثاله[٧] ولكنه سقط بالمعصية وانجرح ومات، لأن ابليس نشر على عقله ضبابة، فهو هكذا من وجه، ومن وجه آخر هو حيّ ذو تمييز وارادة.

سوال اليست الشهوة الطبيعية تُستاصل مع الخطية بمجي الروح القدس.

جواب قد قلتُ ان الخطية تستاصل وان الإنسان يحصل على شكل ادم الأصلي في طهارته، وهكذا يقيناً بواسطة قوة الروح والتجديد الروحاني يُدرك درجات آدم الأول ويصير أعظم منه[٨] لأنه تصير له طبيعة آلهية.

سوال هل الشيطان مطلق إلى حدّ معلوم ويحارب كلَّما شاء.

جواب ان هجمته ليست تدهم النصارى فقط بل الوثنيين أيضاً، كلاًّ بل العالم باجمعه، ولكن لو أُذن له أن يحارب كلما شاء لاهلك الجميع، وكيف ذلك، لأن هذه هي مشغلته وهذه هي شهوته، ولكن إذا كان الفاخوري يضع أوعيته في النار ويحمي الموقد رويداً رويداً ولا يزيد، ليلا ينشق ما يحميه فيه إذا اضطرم إلى غاية الحدّ ولا ينقص لئلاّ إذا كان قليل الحرارة لا ينفع، وإذا كان كلٌّ من الصائغ والجواهريّ يضع ناراً بالقانون، لأنه إذا زاد على الكفاية يسيح الذهب والفضة كالماء ويتلف، وإذا كان الإنسان من عقله له مهارة كافية في أن يقيس

---

(٧) تكوين ص ١ عدد ٢٦

(٨) قابل أول قورنثية ص ١٥ عدد ٤٧ بثاني بطرس ص ١ عدد ٤ ويوحنا ص ١ عدد ١٢ و١٣

احماله على دابته، سواء كان جَمَلاً أو غيره بحسب قدرته على الحمل، فكم بالحري الله العالم بقوات الناس يطلق اعنة القوة المعادية بدرجات متنوعة[٩].

وكما أن الأرض وان كانت واحدة إلا ان ناحية منها وعرة واخرى ثَرَى سهل، ومنها بقعة مناسبة لغرس الكرمة، واخرى لزرع القمح والشعير، كذلك يوجد اختلاف في قلوب الناس ومشيتئاتهم، وهكذا المواهب[١٠] التي تأتي من فوق تتوزع بالقوانين، فواحد يُعطى خدمة الكلمة[١١]، ولاخر تمييز الأرواح[١٢]، ولاخر مواهب الشفا، لأن الله يعلم جيداً اهلية كل واحد بحكم تفريقه، وبموجبها يهب مواهبه المتعددة، وكذلك ما يختص بالحروب فبموجب قدرة المرء على المبارزة تطلق عليه القوة المعادية.

سوال هل الذي ينال القوة الالهية ويتغير بها نوعاً ما يظلّ في الطبيعة التي كانت له قبلاً.

جواب ان الارادة ولو بعد نوال النعمة قد تمتحن نظراً للطريق التي تشاؤها والطريق التي ترضى بها، واما الطبيعة فتبقى على اصلها، والذي كان قاسياً يبقى على قساوته، والخفيف على خفته، ولكن قد يتفق أحياناً ان الجاهل يتجدد بالروح، ويصير انساناً ذا حكمة، وتُكشَف

---

(٩) أول قورنثية ص ١٠ عدد ١٣

(١٠) اول قورنثية ص ١٢ عدد ٤ إلى ٧ و ١١

(١١) اول قورنثية ص ١٢ عدد ٨

(١٢) أول قورنثية ص ١٢ عدد ١٠

(١٣) اول قورنثية ص ١٢ عدد ٩

له الأسرار الخفية، ومع ذلك يكون في طبيعته جافيا بالكلية، ثم ان القاسي الطبيعة قد يسلّم نفسه لخدمة الله فيقبله الله، ولكن طبيعته تبقى على قساوتها الاولى، والله يرضى بان يسرّ به، واخر يكون ذا سيرة حسنة وصدق وصلاح، ويسلّم نفسه لله أيضاً، ويقبله الرب لا محالة، ولكنه لقلة مداومته على فعل الصلاح لا يسرّ به، لأن طبيعة ادم كلها هي حقاً مائلة إلى الخير والشرّ، ولا ريب في ميلها للشرّ، ولكن ذلك ان شآته بدون أن تتم شياً أو تقضيه.

وكالرقّ تكتب عليه كل ما شئت ثم تمحوه، لأن الرقّ يقبل أصناف الكتابة كلها كذلك هو الإنسان ذو الطبع القاسي فانه يسلّم ارادته لله، ويميل إلى الخير، ويُقْبَل لدى الله، لأن الله يقبل جميع أصناف الارادات بلا فرق ليظهر شفقة احشائه، ثم ان الرسل كانوا كلما دخلوا مدينة أقاموا بها برهةً[١٤] يشفون فيها بعض المرضى وبعضاً لا يشفونه، مع ان الرسل كانوا يشآون أن يقيموا جميع موتاهم إلى الحياة، ويردوا الصحة إلى المرضى، ولكنهم لم يكن لهم ما أرادوه كله، لانهم لم يُوذنوا بفعل كل ما شآوهُ، وكذلك بولس لمَّا امسكهُ والِي الوثنيين ودَّ لو تاذن له نعمة الله أن يعبر من وسط حرَّاس الوالي ومن الحائط، لأنه كان إنساناً ذا روح متايّدة مع انه دُلَي في زنبيل[١٥] ولكن ماذا صار من القوة الالهية التي كانت حاضرة فيه حينئذ لكن اعلم ان هذه الاشيآ جرت بتدبير مخصوص، قضي بانهم في بعض احوال كانوا

(١٤) متى ص ١٠ عدد ١١ ابركسيس ص ١٨ عدد ٣
(١٥) ابركسيس ص ٩ عدد ٢٥

يصنعون الايات والعجائب، وفي اخرى لا يقدرون على ذلك، لكي في الأحوال كلها يظهر الايمان عياناً في المومنين وفي غيرهم، وان تمتحن به ارادتهم المطلقة لكي يظهر هل كان بعض يستهينون بضعفهم أو لا لأنه لو كانت الرسل فعلت كل ما شآته لكانوا بيد رفيعة يسوقون الناس إلى عبادة الله بالايات العجيبة وبارادتهم، وحينئذٍ ما كان يوجد ايمان ولا كفر، لأن الدّين المسيحي(١٦) هو حجر عثرة وصخرة شك.

ولكن ما كتب عن أيوب من أن الشيطان طلبه ليس هو بلا دليل، لأنه بدون إذن مخصوص ما كان يقدر أن يفعل شياً من ذاته، الا ترى ما قال الشيطان للرب، سلمه في يدي وهو في وجهك يشتمك(١٧)، وإلى الان ايوب على حاله، والله على حاله، والشيطان أيضاً على حاله، وساعة ما ينال ايوب العون الالهي ويستعد بعقله ويحتمي بالنعمة يطلبه الشيطان ويقول للرب، انما هو يخدمك لكونك تساعده وتعينه، ولكن اسكت وسلّمه لي وهو في وجهك يشتمك(١٨)، فلا يبقى الاّ ان النعمة التي تتعزى بها النفس تتمنع فتسلّم النفس إلى التجارب، فياتي الشيطان ويجلب عليها شروراً لا نهاية لها نحو اليائس والكفر والأفكار الخبيثة ويعذب النفس لكي ينقلها إليه ويضلها عن الرجاء بالله.

واما النفس الحكيمة فانها تكون في وسط المصائب والشدائد، ولا تيأس أبداً(١٩) بل تثبت فيما هي متعلقة به، وكلّما تحملت ما حلّ

---

(١٦) قابل رومية ص ٩ عدد ٣٢ و٣٣ بمتى ص ١٣ عدد ٢١

(١٧) ايوب ص ٢ عدد ٥

(١٨) ايوب ص ١ عدد ٩ ــ ١١

(١٩) ايوب ص ٢٧ عد ٥ و٦

به في التجارب التي لا تُحصى[٢٠]، فلا نزال تقول ولو مت فلا أطلقه، وان صبر الإنسان إلى المنتهى فحينئذٍ يناظر الرب الشيطان في هذه المادة ويقول له، انظر ما أعظم الشرور والبلايا التي جلبتها عليه، فلم ينصت لك بل عبدني وخافني[٢١]، فحينئذٍ يغطّى الخجلُ الشيطانَ ولا يعود يردّ جواباً، لأنه لو علم قبلاً أن أيوب إذا سقط في التجارب يتحمَّلها ولا ينخدع، لمَا كان يلحّ في طلبه أبداً وذلك ليمنع الفضيحة عن نفسه، وهكذا الان يخزي الشيطان ممن يحتملون البلايا والتجارب، ويندم لرجوعه خائبا، ويأخذ الرب في تبكيته قائلاً، هانذا قد أسلمته لك، وأذنت لك أن تمنحه، فهل قدرت ان تفعل شياً، وهل سمع لك شيا.

سوال هل يعلم الشيطان أفكار الإنسان ومقاصده كلها.

جواب ان كان رجل يرافق اخر مدة ويطلع على أموره كلها، وأنت الذي سنك عشرون سنة عالم بأحوال جارك، فهل الشيطان لا يعلم اختراعات عقلك، والحال انه معك دائماً منذ ساعة ميلادك، لأن عمره إلى الان ستة الاف سنة، ولا نقول انه يعلم ما يفعله الإنسان قبل أن يجربه، فالمجرب يبتدي بالتجربة الاَّ انه لم يعلم يقيناً ان كان الإنسان يراعيه أو لا، الاَّ ان سلَّمت النفس ارادتها ظرفاً له، ولا نقول أيضاً ان الإنسان يعلم سائر أفكار القلب وشهواته، لأنه كما نفرض ان للشجرة غصونا متنوعة وفروعا يمكن للإنسان أن يمسك بغصنين منها أو بثلاثة كذلك النفس لها أغصان وفروع شتى، فبعض من أغصان

(٢٠) ايوب ص ١٣ عدد ١٥

(٢١) أيوب ص ٢ عد ٣

أفكارها يمكن إدراكه فيمسك به الشيطان، ولكنَّ هناك أفكاراً وغايات اخر لا يمسكها الشيطان أبداً، لأنه وان يكن في بعض الأحوال يقوي الجزء الخاطي في نشو أفكارنا، إلا انه في غيرها يسمو عقل الإنسان سمواً عظيماً، إذ ينال من الله عوناً وفداء ويمقت الخطية، وفي بعض الاشيا يكون مَسُوداً، وفي غيرها يكون هو سيد ارادته، لأنه أحياناً يأتي إلى الله بحرارة، والشيطان يعلم بذلك، ويرى انه فاعل ضده وليس يمكنه حجزه من ذلك، وما ذلك الا لأنه له إرادة أن يصرخ إلى الله وفيه ثمار تلك الارادة أيضاً، وهي أن يحب الله ويومن به، ويطلبه وياتي إليه، لأن في الأشيآ التي يقع عليها النظر نرى أن الفلاح يفلح الأرض، ولكنه لا يزال محتاجاً إلى الأمطار والشآبيب من فوق، فانه ان لم ينزل المطر من فوق فعتب الفلاح كله لا يجدي شياً، وكذلك في الفلاحة الروحانية لا يقع الشعور بشي الاَّ باثنين، فيجب إذاً على الإنسان أن يفلح أرض قلبه من مطلق حركته، ويتعب في ذلك تعباً صحيحاً، لأن الله يطلب منه الكدّ والتعب والشغل، ولكن ان لم تظهر الغيوم السموية وشآبيب النعمة على الراس فكل ما صنعه الفلاح بكده لا يثمر شياً.

ولكن علامة الدّين المسيحي الحقيقية هي هذه، ان الإنسان إذا تعب تعباً لم يتعب قط مثله، وفعل أفعال برّ لم يفعل مثلها فيما مضى فالواجب عليه أن يطهر من نفسه كانه لم يفعل شياً البتة، ان صام فليقل ما صمت[†] وإذا صلى يقول لم أصلِّ أبداً، وان طوّل في الصلاة برهة

---

† يجب فهم هذه الجملة بحبة ملح فيه نظر فان المصنف يشير هنا إلى قاعدة ربنا المبارك. متى ص ٦ عد ٣. ان لا نعلم شمالنا بما صنعت يميننا.

فيقول ما طوّلت فيها، واني حتى الان مبتدئ بالتمرن والمجاهدة مع ذاتي، وان كان باراً عند الله فليقل لست باراً ولا انا مجدّ، بل اني كل يوم اجرب وابتدي، ثم يجب عليه ان يكون لديه الرجآ والفرح وانتظار الملكوت والفدآ المستقبل، ويقول ان ما صادفت فداي اليوم فلعلّي أُفدَي غداً، لانه كما ان غارس الكرمة قبل أن يبتدي بالتعب يُسِرُّ في نفسه سروراً ورجآ، ويصوّر اولاً الكرمة في عقلهِ، ويحسب مكسبه قبل ان يكون الخمر، ثم يبتدئ بالتعب لأن الرجآ والانتظار يجعلانه متنشّطاً له، ويظل مدة طويلة يصرف مبالغ من دراهمه، وكذلك الباني والفلاح أيضاً يصرفون أموالاً كثيرة طمعا في الربح النامي، كذلك الحال الذي هو امامنا الان اعني ان لم يكن الإنسان منتظراً هذا الفرح والرجآ قايلاً انا موقن بالفداء والحياة المستقبلة، فلا يقدر على احتمال الشدائد، ولا على حمل من الاحمال[٢٢]، ولا على الطريق الضيقة، لأن الرجآ والفرح إذا كانا حاضرين معه يحثانه على التعب وتحمل الشدائد، والتجاسر على الحمل والطريق الضيق.

لكن كما انه لا يسهل خروج المِيْسم من النار بسهولة، كذلك لا يسهل للنفس ان تخرج من نار الموت بدون تعب وافر، ولكن اجمال القول ان الشيطان يوسوس للنفس في معرض الافكار الحسنة[٢٣] قائلاً، بهذا

بخلاف ما للفريسيين ذوي المجد الباطل من الافتخار الكِبْرىّ. لوقا ص ١٨ عد ١١ و١٢. والى النصح بضرورة التواضع.

(٢٢) متى ص ١١ عدد ٣٠ غلاطية ص ٦ عدد ٢

(٢٣) ثاني قورنثية ص ١١ عدد ١٤

ترضين الله، فيميلها بالحيلة إلى المواد الباطلة والمقاصد المموّهة، فإذا انخدعت هكذا من حيث لا تدري، لا تعود كيف تكشف الخديعة فتسقط في فخ الشيطان وهلاكه، ولكن انفع أسلحة المجاهد المسيحي[٢٤] هي هذه، ان ينفذ إلى باطن قلبه ويحارب الشيطان هناك ويبغض نفسه[٢٥] وينكر روحهُ ويغضب معها[٢٦] ويونبها ويقاوم شهواته الطبيعية ويصارع أفكاره ويقاتل نفسه.

واما ان صنت نفسك من الفساد والفسق في الظاهر فقط، وارتكبت الزنا والفسق من باطن في أفكارك فانك قدام الله زانٍ، ولا تنفعك بتولية جسدك ولنفرض مثلاً ان امراة متزوجة يتبعها رجل حتى يفسدها بالحيلة والمكر، فبعد ذلك لا تزال مكروهة عند زوجها لأنها صارت زانية، كذلك النفس وان كانت غير جسدية فبتآلفها للحية الكامنة في باطنها وهي الروح الخبيث تنطلق زانية عن الله[٢٧] كما هو مكتوب[٢٨] كل مَن نظر إلى امراة واشتهاها فقد زنا بها بقلبه، لأنه قد يكون زنا بالجسد، وزنا آخر بالنفس بموالفة ابليس، لأن النفس اما أن تكون اليفة واختا للشياطين أو لله وللملئكة فان زنت بعد ذلك مع الشيطان فلا تعود تليق بالعريس السموي.

سوال هل يهدأ الشيطان قط، وهل يخلص الإنسان من الحرب، أو هل الحرب على يديه ما دام في قيد الحياة.

---

(٢٤) ثاني قورنثية ص ١٠

(٢٥) متى ص ١٦ عدد ٢٤

(٢٦) ثاني قورنثية ص ٧ عدد ١١

(٢٧) هوشع ص ٤ عدد ١٢

(٢٨) متى ص ٥ عدد ٢٨

جواب أن الشيطان لا يبطل الحرب أبداً(٢٩) وما دام الإنسان في قيد الحياة في هذه الدنيا يجد الحرب عنفاً، واما إذا انطفأت سهام الخبيث المتوقدة(٣٠) فحينئذٍ لا يوذي الإنسان مؤذ، وان أراد ابليس المحاسبة(٣١) فهناك صاحب للملك يقدم حساباً ضد العدوّ، وحيث ان الملك صديق له وصاحب وعون صادق العون، فلا يحلّ به شي من الضرّ، فان الإنسان بعد أن يعدي كل المراتب والدرجات ويصير جليس الملك هل يحلّ به اذى من بعد من احد.

ونثبت ذلك من المنظورات ونقول، ان من المدن ما ينال من الملك انعاما وبذراً، فان خدمته في شيء يسير فليست تتضرر أبداً، لأنها تكتسب وتنال من الملك شياً وافراً، وكذلك المسيحيون إذا حاربهم العدو فانهم لائذون بالكائن الالهي اولاً، ومتقلّدون بالقوة والسلام من العلا ولن يبالوا بالحرب.

وكما اتخذ الرب جسداً وترك كل قوةٍ ورئاسةٍ له كذلك المسيحيون مكتسون بالروح وحاصلون على الراحة، وان ثارت الحرب من خارج، نعم ان الشيطان يهجم عليهم ولكنهم محصَّنون من داخل بقوة الرب، ولا يبالون بابليس، وهكذا لما جُرب ربنا في البرية(٣٢) أربعين يوماً، أي ضرر حصل له بتقربه إلى جسده من خارج، لأنه كان في الباطن الهاً، وكذلك المسيحيون وان جُرّبوا من خارج فهم من داخل

---

(٢٩) قابل ايوب ص ١ عد ٧ باول بطرس ص ٥ عدد ٨ ومزمور ٩١

(٣٠) افسس ص ٦ عدد ١٦

(٣١) زخريا ص ٣ عدد ١ و٢

(٣٢) متى ص ٤ عدد ١ و٢

مملوون بالطبيعة الالهية ولا يُوذَون، فان ادرك احد هذه الدرجات فانه يدرك محبة المسيح الكاملة[٣٣] وملء اللاهوت[٣٤]، واماَّ مَن لم يكن هكذا فلا يبرح الحرب فيه من داخل، فساعةً يتهنَّأ بالصلاة واخرى في حال شدة وحرب لأن هكذا هي ارادة الرب، ومن حيث انه طفل ليس الاّ فهو يربيه للحرب وينشا فيه النور والظلمة معاً والراحة والشدة، فساعة يصلّون بهدوّ، واخرى يحلّ بهم قلق عظيم، اما سمعت ما قاله مار بولس، لو صارت فيَّ جميع المواهب، ولو اني ابذل جسدي لحريق النار، ولو انطق بالسنة الملئكة، وليست في محبة فلست بشيء[٣٥]، لأن هذه المواهب انما هي تحريض فقط، والذين تكون فيهم ليسوا سوى أطفال، لأن كثيراً من الاخوة وصلوا إلى هذه الدرجات، وحصلوا، على مواهب الشفآ والوحي والنبوة، ولكنهم لما لم يصلوا إلى المحبة الكاملة التي هي رباط الكمال[٣٦] ثارت عليهم الحرب ومن تغافلهم سقطوا، واما ان أدرك أحد المحبة الكاملة فانه بعد ذلك يبقى مربوطاً ومأسوراً بالنعمة، واما ان أبطأ أحد في التقدم إلى هذه الدرجة وهي درجة المحبة ولم يستمسك بسلاسلها، فانه يظلّ في رباط الخوف والحرب والسقوط، وان لم يحترس جيداً فالشيطان يلقيه على الأرض صريعاً.

لأنه هكذا قد حاد كثير من النعمة المعطاة لهم لظنهم انهم نالوا الكمال، وقالوا حسبنا هذا ولا حاجة لنا إلى شيء آخر، الاَّ ان الرب

---

(٣٣) أول يوحنا ص ٢ عد ٥

(٣٤) افسس ص ٣ عدد ١٩

(٣٥) اول قورنثية ص ١٣ عدد ١ ــ ٣

(٣٦) قولاسايس ص ٣ عدد ١٤

ليس له نهاية ولا يمكن ادراكه ولا يجترئ المسيحيون على أن يقولوا نحن ادركناه بل صفتهم التواضع ليلاً ونهاراً، وقد نرى في الأشيا العيانية ان العلم لا يُبلغ كماله، ومع ذلك فليس أحد يعلم هذا الاَّ الدارس الذي له معرفة صحيحة في العلم، وكذلك الله لا يُدرك[٣٧] ولا يقدره أحد[٣٨]، الاَّ الذين ذاقوه[٣٩] بعد ان قبلوه واعترفوا بضعفهم مطلقاً، ثم ان ذهب ذو العلم القليل إلى قرية حيث لا يوجد احد من أهل العلم، فانهم على قلة معرفته يمدحونهم لكونهم فلاحين لا نقد لهم في ذلك، واما ان سار هذا الشخص بما عنده من العلم القليل إلى احدى المدن التي بها أهل الفصاحة والعلم، فلا يجسر ان يظهر أو ان يفتح فاه في مجمعهم، لأنه يظهر جاهلاً لدى الدارسين الكمَّل.

سوال إذا فرضنا انساناً يكون في الحرب ويحمل في نفسه شخصين، الاول شخص الخطية والاخر شخص النعمة وينتقل من هذا العالم فالى اين يذهب لأن هناك جهتين تميلان به.

جواب انه يذهب إلى المحل الذي يميل إليه عقله وفيه محبته ثابتة، واما ان ثار عليك حرب أو ضيق فعليك أن تقاومه[٤٠] وتبغضه، لأن ثورَان الحرب عليك ليس ذنباً منك واما ابغاضه فمنوط بك، فإذا راى الرب عقلك واندفاعك على قدر جهدك ومحبتك له من كل روحك، فحينئذٍ يفرّق الموت من نفسك في ساعة (لان ذلك ليس

---

(٣٧) ثاني استير ص ٤ عد ١١ وص ٨ عدد ٢١

(٣٨) ايوب ص ١١ عدد ٧ الى ٩

(٣٩) افسس ص ٣ عدد ١٨

(٤٠) ايوب ص ٢ عدد ٩ و١٠

عسيراً عليهِ)، ثم يأخذك إلى حضنه[٤١] وإلى نوره[٤٢]، وفي لحظة يختطفك من فم الظلمة[٤٣] وتنتقل[٤٤] في تلك الدرجة ذاتها إلى ملكوته، لأن الله يسهُل عليه كل شيء في دقيقة زمان بشرط أن تكون محباً له، لأن الله يطلب من الإنسان الاجتهاد[٤٥]، لسبب اتحاد النفس مع الطبيعة الالهية.

وكما ذكرنا كثيراً في مثل الفلاح انه بعد ما يتعب ويبذر البذر في الأرض يلزم له المطر أيضاً من فوق، فانه ان لم تظهر الغيوم[٤٦] وتهب الرياح، فتعب الفلاح لا يجدي شياً، لأن الزرع يبقى مغطّىً، فطابق هذا المثل على الفلاحة الروحانية[٤٧]، لأنه ان استند الإنسان على عمله فقط ولم يحصل على شيء غريب عن طبيعته، فلا يقدر ان يُعطِي الربَّ الثمرة اللائقة به[٤٨] وهل عمل الإنسان إلا أن يتودَّع من العالم[٤٩] ويخرج منه[٥٠] ويداوم على الصلاة ويسهر[٥١] ويجب الله[٥٢]

---

(٤١) قابل يوحنا ص ١ عدد ١٨ بص ١٤ عدد ٣

(٤٢) أول طيماتاوس ص ٦ عد ١٦

(٤٣) مزمور ٥٩ عدد ١٥

(٤٤) قولاسايس ص ١ عدد ١٣

(٤٥) قابل متى ص ٢٣ عدد ٣٧ بثاني قورنثية ص ٦ عدد ١

(٤٦) زخريا ص ١٠ عدد ١

(٤٧) يعقوب ص ٧ عدد ٧

(٤٨) متى ص ٢١ عدد ٤١

(٤٩) قابل لوقا ص ١٤ عدد ٣٣ مرقص ص ١٠ عدد ٢٨ يعقوب ص ٤ عدد ٤

(٥٠) عبرانيين ص ١٣ عد ١٣

(٥١) أول قورنثية ص ٤ عد ٢ أول بطرس ص ٤ عدد ٧

(٥٢) متى ص ٢٢ عدد ٣٧

والاخوة[٥٣] فذلك هو فرضه، واما ان بقي على فعله بدون أن يترجَّى نوال شيء آخر، ولا تهبّ له رياح الروح القدس[٥٤]، ولا تظهر الغيوم فيهطل المطر عليه[٥٥] من السماء ويرطّبه، فلا يقدر ان يقدم للرب ثماراً لائقة به، لأنه مكتوب ان الفلاح حين يرى غصناً مثمراً ينقيه ليزيد ثمرا، وامّا ما لا يثمر فانه يستاصله ويدفعه للحريق[٥٦]، وكذلك فرض الإنسان انه إذا صام أو سهر أو صلَّى أو عمل شياً اخر صالحاً ينسب الكل إلى الرب ويقول، لولا ان الله ايّدني ما كنت أقدر أن أصوم ولا أصلي ولا أترك العالم، فإذا رأى الله حسن قصدك هذا من انك تنسب إليه كل ما يختص بك مما تفعله بالطبيعة، فانه من جهته يسبغ عليك ما يختص به وهي نعم روحانية آلهية سموية، وما هي الا ثمار الروح والفرح والبهجة.

سوال ولكن من حيث ان الثمار الطبيعية هي المحبة والايمان والصلاة، فبيّن لنا الفرق بين حال الثمار الطبيعية وحال الروحانية.

جواب الاشيا التي تفعلها أنت هي حقاً حسنة ومقبولة عند الله لكنها ليست نقية، فانت تحب الله مثلاً ولكن ليس بالكمال، فياتي الرب ويعطيك المحبة السماوية التي لا تتغير، أنت تصلي صلاة طبيعية ولكن بتشتت الأفكار وكثرتها، فالله يعطيك الصلاة الحقيقية

---

(٥٣) أول يوحنا ص ٤ عد ١١ وص ٣ عدد ١٧
(٥٤) قابل يوحنا ص ٣ عدد ٨ نشيد ص ٤ عدد ١٦ ابركسيس ص ٢ عدد ٣
(٥٥) مزمور ٧٢ عدد ٦ هوشع ص ١٠ عدد ١٢
(٥٦) يوحنا ص ١٥ عدد ١ و٢ و٦

بالروح والحق، ثم في الاشيا التي تقابل النظر نجد ان الأرض أغلبها ينبت شوكاً من طبعه، ولكن الفلاح يحفر ويصلح الأرض باعتناء، ويبذر فيها الزرع، ومع ذلك ينبت الشوك ويكثر مع انه غير مزورع، لأن آدم بعد معصيته قيل له شوكاً وقرطباً تنبت لك الأرض[٥٧]، فيتعب الفلاح مع الأرض ثانياً ويقلع الشوك فيكثر ثانياً، فاتخذ هذا بالمعنى الروحاني، لأن أرض القلب بعد المعصية تنبت شوكاً وقرطباً، والانسان يفلحها ويتعب فيها ومع ذلك تنبت شواك الأرواح الشريرة، وبعد ذلك يعين الروح القدس ضعف الإنسان[٥٨]، فيبذر الرب في أرض القلب الزرع السموي ويفلحها، ولكن مع بذر الزرع ينبت الشوك والقرطب ثانية، فيعود الرب والإنسان إلى فلاحة أرض النفس، ومع ذلك تكثر فيها الأرواح الخبيثة والأشواك وتنمو إلى ان ياتي الصيف وتفيض النعمة فييبس الشوك بحرارة الشمس لأن الخطية تصاحب الطبيعة ولكنها لا تتسلط عليها ولا تتولّى عليها للغاية، وربما خنق الزوانُ القمح وهو ضعيف، ولكن حين تدرك الثمرة بدنو الشمس فالزوان لا يضرّ القمح، لأنه ان اتفق ان هناك ثلثين مكيالاً من قمح نقي، فلا يزال فيه من الزوان نحو رُبع، لأنه لا بد أن يتغلغل في وفرة القمح وكذلك في النعمة فانه من حيث ان عطية الله ونعمته تفيض في الإنسان فيصير غنياً بالرب، فالخطية وان كانت حاضرة فلا توذيه بكثرة، ولا لها عليه قوة أو سلطة، لأن مجي الرب وعنايته[٥٩] رسمت

---

(٥٧) تكوين ص ٣ عدد ١٨

(٥٨) رومية ص ٨ عدد ٢٦

(٥٩) قابل اشعيا ص ٤٠ عدد ٣ إلى ٥ ملاخيا ص ٤ عدد و٦ لوقا ص ١ عدد ٢٩ و٣٠

باطلاق المستعبدين بالخطية(٦٠) وهم الذين اتضعوا وذلّوا لها، ويصيرهم من الغالبين على الموت والخطية(٦١) فلذلك لا ينبغي للاخوة ان يستغربوا حالهم إذا ضيق عليهم بعض تخليصاً لهم من الخطية.

لأن في الزمان القديم لمَّا كان الكهنوت في ايدي موسى وهارون* كانا يتحملان اشيا شتى(٦٢)، ولكن قيافا الذي جلس في كرسيهما اضطهد الرب وقضى عليه، وأما الرب فانه ابقاه في هذه الوظيفة اكراماً للكهنوت، والأنبيآ كذلك اضطُهِدوا من امتهم(٦٣)، وفي الأزمنة التالية بطرس خلف موسى وأخذ في يديه† كنيسة المسيح الجديدة(٦٤) والكهنوت الصحيح، لأن المعمودية الآن هي معمودية النار والروح(٦٥)

---

(٦٠) قابل لوقا ص ٤ عدد ١٨ يوحنا ص ٨ عدد ٣٦

(٦١) أول قورنثية ص ١٥ عدد ٥٧ رومية ص ٧ عدد ٢٤ و٢٥ أول يوحنا ص ٥ عدد ٤

(٦٢) خروج ص ١٧ عدد ٤ ص ١٦ عدد ١١

(٦٣) متى ص ٢٣ عدد ٣٧ لوقا ص ١٣ عدد ٣٣

(٦٤) ثاني قورنثية ص ٥ عدد ١٧

(٦٥) متى ص ٣ عدد ١١

* الاولى أن يقال ان هارون كان الحبر وان موسى كان نبياً. تثنية ص ٢٤ عدد ١٠ عبداً اميناً في بيت الله عبرانيين ص ٣ عدد ٢ وملكاً في يثرون تثنية ص ٣٣ عدد ٥ بل والهاً لهارون لا كاهناً خروج ص ٤ عدد ١٦. ولكن لو ان كلاً منهما كانت له وظيفة مختصة به فكانا يفعلان فعلهما دائماً بالاتفاق. وهارون لم يتجاسر على شي من أعمال الكهنوت بكليلة الابرضي موسى. وذلك رمز شريف إلى عز الكهنوت الانجيلي الخ.

† فيه نظر فان الرسل على العموم كانوا للكنيسة المسيحية على الأرض بمنزلة ما كانت الأحبار لليهود تحت الناموس. ومار بطرس لأهل الختان. خاصّة

وختان معلوم في القلب[٦٦]، لأن الروح الالهي السموي له عشرة في العقل، ولكن الكمَّل ما داموا في الجسد فليسوا خالين من الهموم بالكلية، لأن إرادتهم مطلقة لكنهم لا يبرحون في الخوف[٦٧] ولهذا الداعي يُسمَح بهم للتجربة، واما ان تقدمت النفس ووصلت إلى مدينة القديسين، فحينئذ تقدر ان تعيش بلا شدة وتجارب، لأنه لا يوجد هناك همّ أو ضيق[٦٨] أو قلق أو شيخوخة أو شيطان أو حرب، بل راحة وفرح وسلامة وخلاص لأن الرب يكون في وسطهم المدعو مخلصهم[٦٩] لكونه خلص الاساري، ووُصف أيضا بانه طبيب لأنه ينعم علينا بالأدوية السموية الالهية[٧٠]، ويشفي اختلال النفس[٧١] لأن له تسلطّا على الإنسان من وجوه، وبالاختصار فان يسوع هو ملك واله، وابليس رئيس ظلم خبث.

فلنرجع ونقول ان الله وملئكته يدعون هذا المخلوق ليصيروه واحداً من أهل الملكوت، وكذلك الشيطان وملئكته يشآون أن يأخذوه إليهم، فالنفس حاصلة إذاً بين فريقين، فايّ جانب مالت إليه الإرادة بعد ذلك تكون مِلْكاً له وابناً، ولكن افرض ان أباً يرسل ابنه إلى بلد غريبة، وتلاقيه في الطريق وحوش كاسرة، ويكون قد هيّا لنفسه ادوية ودوافع، حتى إذا جاء عليه الوحوش الكاسرة أو التنانين يرمي إليهم

---

(٦٦) رومية ص ٢ عدد ٢٩

(٦٧) فيلبسيوس ص ٢ عدد ١١

(٦٨) رومية ص ٢١ عدد ٤ وص ٢٢ عدد ٣

(٦٩) هوشع ص ١٣ عدد ٤ مزمور ٦٨ عدد ١٨

(٧٠) متى ص ٩ عدد ١٢

(٧١) متى ص ٤ عدد ٢٣ قابله بلوقا ص ٥ عدد ٢٠ إلى ٢٤

ما هيأهُ ويقتلهم† فاجتهدوا أنتم أيضاً في تحصيل الدواء السموي شافي النفس وواقيها، وبواسطة ذلك تهلك عنكم الوحوش المسَّمة وحوش الأرواح النجسة، لأنه ليس يسهل اقتناء القلب التقي الاَّ ان اشترى الإنسان مِلْكَ قلبٍ نقي ونية طاهرة بمدافعة وتعب كثير لكي يُستاصَل منه عنصر الشر، فانه يتفق ان الإنسان تكون فيه النعمة وقلبه غير نقي، ولهذا الداعي الذين سقطوا كان سقوطهم من عدم تصديقهم ان بعد نوال النعمة لا يزال فيه دخان وخطية(٧٢)، واما جميع الأبرار فانهم ارضوا الرب للغاية(٧٣) في وسط الطريق الوعر الضيق، أي طريق الشدة، فابرهيم لما كان غنياً من جهة الله والناس سمَّي نفسه تراباً ورماداً(٧٤)، وداود قال عن نفسه انا عار للبشر ورذالة في الشعب بل انا دودة ولست انساناً(٧٥)، وكذلك الانبيا والرسل كانوا يُعاملون بالقساوة ويعيَّرون على هذا المنوال، والرب نفسه الذي هو الطريق والاله لما اتى إلى العالم لم يكن ذلك من أجله بل من أجلك أنت فقط لكي يكون لك مثلاً في كل خير، تامل جيداً إلى أي عُمق من التواضع انحطّ هو لما اتخذ شكل العبد(٧٦) وهو في نفسه الهٌ وابن الله وملك وابن ملك، ووزَّع بنفسه ادوية الصحة وشفي المجروحين، ولكن شبهه من خارج كان كمجروح(٧٧).

---

† قصة بعل والتنين

(٧٢) هوشع ص ١٢ عد ٣ متى ص ١٢ عدد ٢٠

(٧٣) اشعيا ص ٤٨ عد ١٠

(٧٤) تكوين ص ١٨ عد ٢٧

(٧٥) مزمور ٢٢ عدد ٦

(٧٦) فيلبسيوس ص ٢ عد ٨

(٧٧) اشعيا ص ٥٣ عد ٤ و٥

فاياك ان تتعاون باستحقاقه الالهي إذا رايته متواضعاً من خارج كاحدٍ منا[٧٨]، فانه إنما ظهر على هذا الشبه من أجلنا لا من أجله، تامَّل جيداً في تلك الساعة لما صرخوا عليه اصلبه اصلبه وتزاحمت الجموع كيف فاق تواضعه وقتئذٍ على كل الناس[٧٩]، وكما في الأشيآ التي نعاينها كل يوم إذا كان امرء مذنباً يقضي عليه القاضي، فتراه حينئذٍ يُكرَه ويُرذَل من جميع الناس، وكذلك ربنا في وقت صلبه كان كانسان مندفع للموت إذ عامله الفريسيون باعظم الهوان[٨٠]، ولما بصقوا على وجهه وكللوه باكليل الشوك ولطموه فما أغرب التواضع الذي لم يتجاوزهُ هو، لأنه مكتوب ظهري اعطيته للضاربين وخدي للناتفين، ووجهي لم التفت به من الموبخين والبازقين فيَّ[٨١]، فان كان الله اختضع لهذه المضارّ والالام والتواضع الكثير، فانت ياذا الطبيعة الطينية[٨٢] المايتة مهما تحملت من التواضع فلا تعادل الرب، فالله تواضع من أجلك وأنت لم تتواضع من أجل ذاتك، بل تفتخر وتنتفخ بالكبريآ، لأنه أتى لياخذ منك ضيقتك واوزارك ويسبغ عليك راحته[٨٣] وأنت لست براضٍ بالتعب والالام لكي تُشفَي جراحك، فالمجد لصبره وطول اناته إلى الأبد امين.

---

(٧٨) متى ص ٨ عدد ١٧

(٧٩) اشعيا ص ٥٢ عدد ١٤

(٨٠) متى ص ٢٧ مرقص ص ١٥

(٨١) اشعيا ص ٥ عدد ٦

(٨٢) ايوب ص ١٠ عدد ٩

(٨٣) متى ص ١١ عدد ٢٨

العظة السَّابعة والعشرُون

هذه العظة تتضمن استحقاق المسيحي وحاله كالتي سبقت وفيها ما عدا ذلك تعاليم كثيرة الفايدة من جهة حرية الارادة. مع بعض سوالات مملوة حكمة الهية

اعلم يا أيها الانسان اصلك النجيب وقيمتك وما اعزّك من حيث كونك اخا للمسيح[١] وصاحباً للملِك[٢] وعروساً للعريس السموي[٣]، لأن كل مَن استطاع أن يطلع على قيمة نفسه يستطيع أيضاً ان يطلع على قوة الطبيعة الالهية وأسرارها وبذلك يزيد اتضاعاً[٤]، لأن بقوة الله كل أحد يرى سقطته، ولكن كما أن المسيح عبر من وسط الالام[٥] والصليب ثم تمجد[٦] وجلس عن يمين الاب، كذلك يجدر بك أنت أيضاً أن تتالم معه وتتصلب معه[٧]، ثم تقوم ثانياً[٨] وتجلس معه[٩] وتتحد بجسده، وتملك معه في ذلك العالم، وذلك إذ كنا نحن تالّمنا معه لكي نتمجد معه أيضاً[١٠].

لأن كل مَن يقدر على أن يجوز ويعدّي حصون الخبث يدخل

---

(١) عبرانيين ص ٢ عدد ١١

(٢) يوحنا ص ١٥ عد ١٤ و١٥

(٣) ثاني قورنثية ص ١١ عد ٢

(٤) ثاني قورنثية ص ١٢ عد ٥

(٥) عبرانيين ص ٢ عد ١٠

(٦) عبرانيين ص ١ عد ٣ و٤

(٧) رومية ص ٨ عدد ١٧

(٨) غلاطية ص ٢ عدد ٢٠

(٩) قولاسايس ص ٢ عدد ١

(١٠) رومية ص ٨ عدد ١٧

المدينة السموية الفايضة بالسلام وأصناف الخيرات حيث تستريح أرواح المستقيمين فعلينا إذاً بكثرة الكدّ والتعب من أجل ذلك، لأنهُ لا يصح ان العريس الذي اتى من أجلك يتألَّم ويُصلب والعروس ذاتها التي أتى من أجلها العريس تفتخر(١١) وتجول هائمة، لأنه كما في الاشيا التي تقع تحت العين أن الزانية تبيع نفسها للكل بالعار، كذلك النفس سلمت ذاتها لكل شيطان وافسدتها الأرواح، لأن بعض الناس عندهم الخطية والخبث باختيارهم، وآخرين بدون قصدٍ منهم، وما المراد بهذا كله، الا ان الذين عندهم الشر باختيارهم هم الذين يخضعون ارادتهم للخبث ويلتذّون به، ويعقدون معه مصاحبة فهولاء هم مصطلحون مع ابليس، ولا يحاربون الشيطان في أفكارهم أبداً، وأما الذين فيهم الشر بدون قصدٍ منهم، فهولاء فيهم الخطية محاربة اياهم في أعضائهم على ما قاله الرسول(١٢) وهي قوة مظلمة(١٣) وغشاء بخلاف مقصودهم، ولا يرتضون بها في أفكارهم(١٤) ولا يفرحون بها ولا يطيعونها بل يخالفونها ويفعلون ضدها، ويقاومون نفوسهم ويغاضبونها، فهولاء هم عند الله أفضل وأعلى من أولئك الذين يسلّمون نفوسهم للخطية قصداً ويلتذون بها(١٥).

ثم انه كما ان الملك إذا وجد بنتاً لابسة الخلُقان لا يستنكف منها بل

---

(١١) غلاطية ص ٦

(١٢) رومية ص ٧ عد ٢٣

(١٣) اشعيا ص ٥٤ عدد ٢

(١٤) ثاني قورنثيه ص ٣ عدد ١٥

(١٥) رومية ص ٢ عدد ٣٢

يجردها من ثيابها الدنسة[١٦] ويغسل سوادها[١٧] ويلبسها حلَّة بهيجة[١٨] ويصيرها اليفته وجليسته في مائدته وحظه، كذلك الرب وجد النفس مجروحة مضروبة فداواها وجرَّدها من ثيابها المظلمة ومن دنس الخطية، والبسها الحلة الملوكية السموية الالهية[١٩] اللامعة المجيدة ووضع عليها التاج[٢٠] وصيَّرها جليسته في المائدة الملوكية[٢١] فرحاً لها وكفاية.

وكما يُصنَع بُستان فيه أشجار مثمرة تفوح منها رايحة عطرة، وفيه مسالك مبهجة جميلة للغاية، وافرة الروايح الذكية المفرحّة، وكل مَن دخله ينشرح وينتعِش، كذلك النفوس التي في الملكوت فهي مغمورة بالفرح والبهجة والسلام لكونها ملوكاً وارباباً والهة، لأنه مكتوب انه ملك الملوك ورب الأرباب[٢٢].

فالديانة المسيحية إذاً ليست شياً عبثاً بل هي سرٌّ عظيم، فتامل إذاً أصلك من حيث كونك مدعواً إلى المرتبة الملوكية جيلاً مختاراً[٢٣] وكهنوتاً ملوكياً وامّة مقدسة، لأن سرّ الديانة المسيحية غريب عند هذا العالم، ولعمري ان مجد الملك المنظور وغناهُ أرضي فاسد ومضمحل،

---

(١٦) اشعيا ص ٦٤ عدد ٦ زخريا ص ٣ عدد ٤ مراثي ص ١ عدد ٩
(١٧) ناحوم ص ٢ عدد ١٠ مراثي ص ٤ عدد ٨
(١٨) لوقا ص ٧ عدد ٢٥
(١٩) مزمور ١٠٤ عد ١ و٢
(٢٠) استير ص ٢ عدد ٧ قابله بيعقوب ص ١ عدد ١٢
(٢١) لوقا ص ٢٢ عدد ٣٠
(٢٢) روية ص ١٩ عدد ١٦
(٢٣) أول بطرس ص ٢ عد ٩

واما ذلك الملكوت وذلك الغِنَى[٢٤] فالهيٌّ، وهو اشياء سموية مجيدة لا تزول أبداً، ولا يحلّ بها انحلال، لأنهم يملكون مع الملك السموي في الكنيسة التي في السماء، وهو حقاً بكر الأموات[٢٥] وحينئذٍ يكونون هم أيضاً أبكاراً[٢٦] ولكن ولو كان هولاء مختارين وممدوحين عند الله، الاَّ انهم في عيونهم هم أقلّ الكل ولا قدر لهم، وصار لهم دأبا لازما أن يعتبروا نفوسهم كلا شيء.

سوال أليس يعلمون إذاً انهم نالوا شياً زائداً، وانهم امتلكوا شياً ما غريباً عن طبيعتهم لم يكن لهم من قبل.

جواب صدقني انهم غير ممتحنين بعدُ وغير مترقّين، ولا يعلمون انهم امتلكوا ما لم يكن لهم قبلاً، واما الذين هم هكذا فالنعمة عند مجيئها تعلّمهم ان لا يعدّوا نفوسهم ذوات قيمة مدة ترقّيهم، بل ان يعتبروا نفوسهم كانهم من طبيعتهم لا قيمة لهم، وان كانوا ذوي قيمة عند الله فليسوا كذلك عند نفوسهم، وفي تقدمهم ومعرفة الله كانهم ليس عندهم شي البتة، وان كانوا أغنياً عند الله[٢٧] فعند نفوسهم هم فقراء، وكما أن المسيح لما اتخذ شبه العبد[٢٨] غلب الشيطان بالتواضع كذلك منذ البدء غلبت الحية آدم باغواء الأفكار العالية الكِبْرِيَّة، وهذه الحية عينها حتى الآن هي كامنة في قلوب البشر، فترمي وتبيد جنس المسيحيين.

---

(٢٤) افسس ص ١ عدد ١٨

(٢٥) قولاسايس ص ١ عد ١٨ روية ص ١ عدد ١٥

(٢٦) عبرانيين ص ١٢ عد ٢٣

(٢٧) يعقوب ص ٢ عدد ٥

(٢٨) فيلبسيوس ص ٢ عدد ٧

وكما انه إذا كان إنسانٌ معتبر في عين العالم ذو نسب كريم ومالٍ كثير، يواظب على استزادة ما عنده ويجمع الحاصل منه، فهذا المرء يغيب عنه الراي ويكون مستكفيا بنفسه، ومن حيث انه لا يُحتَمَل يبدأ يرفس الكل ويبطش بهم بلا فرق، كذلك يكون بعض ممن لا تبصره لهم إذا وجدوا في الصلاة شياً من الراحة قليلاً يأخذون في الاستكبار ويغيبون عن نفوسهم ويدينون الغير فيسقطون[٢٩] إلى أسفل أعماق الأرض لأن تلك الحية عينها التي أخرجت آدم بكبرياً أفكارها قائلة انتما تكونان كالالهة[٣٠]، هي بعينها تلقي الان أفكارها المتشامخة في قلوب البشر قايلة لكل منها، انك تامٌّ وحسبك هذا، وأنت غني لا تعوز شياً، وأنت سعيد.

واخرون في العالم عندهم المال حقاً، ومع زيادة ما عندهم بكثرة ايراداتهم يحبسون نفوسهم من داخل حدود البصيرة، ولا يفتخرون ولا يتشامخون بل يظلون على طبع ملائم، لكونهم يعلمون جيداً ان الوفرة يعقبها العقم، فإذا وقعوا في الخسرانات وفي سنة قحط لا يضطربون بل يحصل لهم اطمئنان، لأنهم يعلمون أيضاً ان للرخآ نوبةً تاتي، وبتمرنهم على هذه الوقايع كثيراً لا يتحيّرون ولا ينتفخون بايراداتهم وسني الرخاء، ولا يستغربون الخسران إذا خسروا.

فوظيفة الديانة المسيحية إذاً هي هذه وهو ذوق الحق والأكل[٣١] والشرب من الحق، وناكل ونشرب منه غايتنا لأنه كما إذا ورد أحد

---

(٢٩) امثال ص ١٦ عدد ١٨

(٣٠) تكوين ص ٢ عدد ٥

(٣١) يوحنا ص ٦ عدد ٥٣

إلى عين وهو عطشان ويبتدي أن يشرب، ويأتي آخر في خلال ذلك ويصدّه عن أن يرتوي على قدر إرادته، فعطشه إنما يزداد بعد ذلك، لكونه قد ذاق الماء فهو يطلبه باجتهاد عظيم، كذلك هو حال الروحانيات، فان الانسان يذوق وينال شياً من الطعام السموي ثم يأتي في خلال ذلك مَن يمنعه ولا يدعه يشبع.

سوال ولكن لماذا لا يُترَك ليشبع.

جواب ان الرب يعلم ضعف الإنسان بأنه يتشامخ من وقته، فلذلك يحجزه ويجعله أن يتدرب[٣٢] ويبتلي، فانك إذا كنت عند نوالك مقداراً قليلاً لا يعود يحتملك أحد بل تنتفخ حالاً، فكم كان يقلّ تحملك لو أشبعك أحد مرة واحدة، ولكن الله لعلمه بضعفك جيداً يجعل الشدة من نصيبك بتدبير مخصوص، لكي تتواضع وتزداد اجتهاداً في طلب الله، لأنه بمقتضى ما يقع في العالم إذا كان إنسان فقير يجد كيسا فيه ذهب، ومن طيش فرحه يبتدي أن يصرخ ويقول، قد وجدت كيسا قد وجدت كيساً وصرت غنياً، فيسمع صاحب الكيس فيأخذه ثانياً، واخر يحصل له الجنون من المال فيستهزي بالكل ويقصد ترذيل كل جنس البشر، ويتشامخ على بعض من الخاصة، فإذا بلغ ذلك مسامع الملك حرمه من خيراته، كذلك هي وظيفة الروح، فان ذاق بعض أقلّ ما يكون من التنعم لا يعلمون كيف ينتفعون به، بل يبذرون ما نالوه لأن الخطية تجربهم وتعمي عقلهم.

سوال كيف يسقط بعض بعد افتقاد النعمة أفليس ابليس هو

---

(٣٢) جامعة ص ٤ عدد ١٧

الأضعف حكماً فانه حيث يكون ليل كيف يكون نهار.

جواب ليس المراد ان النعمة تنطفئ بالكلية أو تضعف، بل ان ضبطك نفسك وحريتك تُمتَحَن من جهة ما تميل إليهِ وتَتْرُكُك للخطية، وحين تدنو من الرب بإرادتك فحينئذٍ تُنصَح بمراعاة النعمة المعطاة لك(٣٣)، ولكن كيف كُتب لا تطفوا الروح، فهو لا يُطفَى أبداً بل هو نور، ولكنك بتزايدك في التغافل باختيارك، وبكونك لا رضي لك، تصبح تحت ظلام الروح، وكذلك قال، لا تحزنوا الروح القدس الذي خُتمتم به ليوم الفداء(٣٤)، فأنت ترى انه في صدرك وفي قوتك ان تكرم الروح القدس(٣٥) ولا تحزنه، ولكني أقول لك أن المسيحيين الكمَّل الذين هم مربوطون ومَعْقولون بالخير كما تَعْقِل الخمرة† لهم

---

(٣٤) افسس ص ٤ عد ٣٠

(٣٥) أول صمويل ص ٢ عد ٣٠

† الكلمة الأصلية معناها سكارى أو مخمورون. وهذه جملة اقتبست من مدرسة افلاطون. فلاجل ازالة ما فيها من الغلاظة هنا فليتذكر القاري ما قاله له المولّف أكثر من مرة واحدة. من أن مشغلة الدّين المسيحي هي الأكل والشرب بمعنى قول ماريوحنا ص ٦. (ثانياً) وليتذكر كل واحد ان السكر من الخمر والامتلا بالروح يخلافه الرسول. افسس ص ٥ عدد ١٨. (ثالثاً) زيادة على ذلك أن في كلا السكرين الجسدي والروحي قد تسلَّم الارادة. وعند ذلك يكون عمل الإنسان كعمل آلة اما في يدي روح نجس. طالع أمثال ص ٢٣ عدد ٣٣ إلى ٣٥. أو في يدي روح الله قابل نشيد الانشاد ص ٥ عدد ١ اشعيا ص ٥٥ عدد ١ حكمة يشوع ص ٢٤ عدد ٢١. أيوب ص ٣٢ عدد ١٨ و١٩ وافسس ص ٥ عدد ١٨ وليس هذا السكر الاَّ ذلك الفرح المنشّط المنعش الذي يرفع الإنسان على نفسهِ. وقد يصدر من الحسّ الحيّ بالله الفاعل بنعمته في القلب أو النفس.

مُستبقَى حرّية وبعد ان امتحنوا بشدائد لا تُحصَى رجعوا بواسطته إلى الخير.

لأنه إذا كان مثلاً بعض أشخاص من ذوي الرتبة والفخر والحَسَب يعدّون عن فخرهم وعزّهم من تلقآ أنفسهم، ويلبسون ثياباً دنسة ويتّصفون بالمسكنة والعار بدل المجد، ويصيرون أشقيآ لا قيمة لهم فذلك إنما يكون باختيارهم، ولكني أقول لك ان الرسل أنفسهم الذين كملوا في النعمة[٣٦] لم تمنعهم النعمة من فعل ما شآوا ولو قصدوا فعل شيء إلى النعمة، لأن طبيعتنا قابلة للخير والشر، والقوة بالعكس فانها حاثة لا غاصبة، ومع ذلك فبيدك قوة أن تميل إلى أي جهة شئت، اَلاَ تري ان بطرس لما حقّ عليه اللَوْم سار إليه بولس ووبخه[٣٧] وانه وان كان عظيما استوجب التوبخ، وبولس لما كان روحانياً[٣٨] جادل برناباس باختياره[٣٩] وبعد أن تغاضبا افترقا، وهذا الرسول عينه قال فانتم معشر الروحانيين اصلحوه وانظر إلى نفسك، لئلا تجرب أنت أيضاً[٤٠]، فها ان الناس الروحانيين يجربون أيضاً، لكون القوة التي لهم على نفوسهم باقية معهم، واعدآوهم يغصبونهم ما داموا في هذا العالم.

سوال هل الرسل لم تكن تقدر أن تخطي لو قصدوا ذلك، أو هل كانت النعمة قوية على إرادتهم.

جواب كلاّ ما كانوا يقدرون ان يخطوا، لأنهم لم يتشامخوا وهم في

(٣٦) يوحنا ص ٤ عدد ١٢
(٣٧) غلاطية ص ٢ عدد ١١
(٣٨) أول قورنثية ص ١٤ عدد ٣٧
(٣٩) ابركسيس ص ١٥ عدد ٣٩
(٤٠) غلاطية ص ٨ عد ١

النور وفي هذه النعمة الغريبة، ومع ذلك فلا نقول ان النعمة كانت ضعيفة فيهم، ولكن نثبت ان النعمة تفسح للروحانيين الكمَّل لكي يحصلوا على إرادتهم، وعلى قوة فعل كل ما شآوا، والميل إلى ما أرادوهُ، والطبيعة البشرية وان كانت ضعيفة في ذاتها فمعها القوة على الرجوع ولو كان الخير حاضراً.

وكما إذا كان قوم من الناس متسلحين من الراس إلى القدم بادرع وغيرها فيكون كل شي من داخل في امانٍ، ولا يأتي عليهم العدوّ أو إذا أتى كان في قدرتهم أن يباشروا قتاله ويُعلمون فيه سلاحهم ويجاهدونه ويغلبونه أو أن يصالحوه ويعتزلوا حربه وان يكن لهم سلاح، كذلك المسيحيون الموشحون بالقوة التامَّة ومعهم السلاح السموي ان شآوا فانهم يوادعون ابليس ويبتّون معه شروط صُلحٍ ويتركون انواع الحرب كلها، لأن الطبيعة تتغيَّر والإنسان ان شاء صار ابنا لله أو ابنا للهلاك، لأن قوة العمل المطلق باقية فيه.

ثم ان مجرَّد الحديث عن الخبز المرئي وعن المائدة شيءٌ، واكل ذلك الخبز وتقوية أعضائنا به شيءٌ آخر، ومجرَّد الكلام عن اعزّ المشروب على سبيل الهزل شيءٌ، واما اخذه من الينبوع وذوق الإنسان من عذوبته حتى يرتوي فشيءٌ اخر، والمحاورة عن الحرب والأبطال والشجعان شيء، ولكن دخول الإنسان في صف الحرب ومبارزته العدو وجهاً لوجه ومناوشته ومكافحته له والانتصار عليه شي اخر، وكذلك في الروحانيات كثرة الكلام من باطل المعرفة والفهم شيءٌ، وامَّا امتلاك كنز الروح القدس ونعمته وفاعليته في الإنسان الباطن وفي العقل بالجوهر والفعل والثقة الكاملة فشيء اخر، لأن الذين ينطقون بمجرَّد الألفاظ لا يتجاوزون

حدود الزعم فيتشامخون في عقولهم، لأن الرسول قال قولنا وتبشيرنا لم يكن من اقناع بكلام حكمة الناس ولكن ببرهان الروح والقوة[٤١]، وقال في محل اخر، ان غاية الوصية هي المحبة التي تكون من قلب نقي ونية صالحة ومن ايمان صحيح[٤٢] فصاحب هذا لا يسقط لأن كثيراً ممن طلبوا الله فتح لهم الباب فراوا الكنز ودخلوه، وفي وسط فرحهم لما كانوا يصرخون قابلين، قد وجدنا الكنز[٤٣] اغلقت الأبواب عليهم، فابتداوا يولولون وينوحون ويستقصون قايلين، قد وجدنا الكنز وضيعناه لأن النعمة تنزعه منا تعليماً لنا حتى نطلبه باجتهاد عظيم، لأن الكنز ينكشف لنا حثاً على طلبه.

سوال حيث ان بعضاً يثبتون ان بعد النعمة ينتقل الإنسان من الموت إلى الحياة[٤٤] فهل تحلّ الأفكار الدنسة فيمن هو في النور.

جواب انه مكتوب انكم افتتحتم امركم بالروح والان تختمون بالجسد[٤٥]، وأيضاً قيل لنا على سبيل النصيحة، تدرعوا بسلاح الروح لتستطيعوا مقاومة حيل الشيطان[٤٦]، فهذا الشاهد فيه تلميح إلى مكانين الأول حيث كان المرء لما تدرع بالسلاح والثاني حيث يكون عند محاربته السلاطين والروساء فعلاً، أما في النور أو في الظلمة وقيل أيضاً لتتقوّوا على اطفاء جميع سهام الخبيث المتوقدة[٤٧]، وقيل لا تحزنوا روح

---

(٤١) أول قورنثية ص ٢ عدد ٤

(٤٢) أول طيماتاوس ص ١ عدد ٥

(٤٣) لوقا ص ١٢ عدد ٣٣ و٣٤

(٤٤) يوحنا ص ٥ عدد ٢٤

(٤٥) غلاطية ص ٣ عدد ٣

(٤٦) افسس ص ٦ عدد ١١

(٤٧) افسس ص ٦ عدد ١٦

الله القدوس[٤٨]، وقيل ليس بممكن ان الذين انير عليهم مرةً واحدة، وذاقوا عطية الله وقبلوا نعمة الروح القدس وزلّوا ان يتجددوا من ذي قبل[٤٩]، فها قد نرى أن الذين تجدَّدوا وذاقوا يزلّون، وان الإنسان له إرادة لارضاء الروح وإرادة لأحزانهِ، لأنه يأخذ الأسلحة بلا ريب ليدخل الحرب ويقاتل العدوّ، ولا شك أن يستنير ليقاتل الظلمة.

سوال ما المراد بقول الرسول لو كان لي العلم كله والنبوة وانطق بالسنة الملئكة فلست بشيء[٥٠].

جواب لا يجب أن نفهم من ذلك ان الرسول ليس بشيء، كلاّ ولكن ذلك بالنسبة إلى المحبة فانها كاملة، واما هذه الأمور فصغيرة، ومَن كان في إحدى هذه الدرجات فربما يزلّ، واما مَن كانت فيه المحبة فلا يمكنه ذلك، ولكني أقول لك انني رأيت أناساً قد دخلوا دايرة المواهب كلها وتناولوا من الروح ثم زلّوا لعدم ادراكهم المحبة الكاملة، وان واحداً من ذوي المراتب الشريفة تنسك وباع خيراته كلها، وعتق الاساري، وكان ذا فطنة وفهم وكانت سيرته مشهورة بالمحامد، ولكنه أخذه الاعجاب بنفسه، وانتفخ بالكبريا فسقط في نجاسة فاضحة وشرور لا نهاية لها.

واخر في زمان الاضطهاد سلّم جسده[٥١] وبسبب انه كان معلّم اعتراف اطلق إلى سبيله عند هدوّ حال الكنيسة وصار له صيت عظيم، لأن عينيه كانتا موجعتين بالدخان، ولم يزل على تلك الشهرة ولمَّا دُعي

---

(٤٨) افسس ص عدد ٣٠

(٤٩) عبرانيين ص ٦ عدد ٤

(٥٠) اول قورنثية ص ١٣ عد ١ و٢

(٥١) أول قورنثية ص ٣ عدد ٣

إلى الصلاة اخذ خبزاً واعطاه لعبيده، وكان في عقله كانه لم يسمع قط كلمة الله، واخر في إحدى الاضطهادات سلم جسده وعُلِّق فطار عنه عقله، وبعد ذلك القى في السجن ولازمته إحدى الراهبات على حسب الايمان، فبعد ان حصل على اُلفَة معها وقع في الزنا وهو في الحبس، فانظر كيف ان الغني الذي باع خيراته، والذي سلَّم جسده للشهادة سقطا.

واخر كان عابداً حكيماً وكان ساكناً معي في بيت واحد وكان ملازماً لي، وكان غناه في النعمة عظيماً جداً، حتى انه لما كان يصلي بجانبي كنت احسّ بالندامة، لأن النعمة كانت متقدة فيه للغاية، واُعطيت له موهبة الشفاء، وليس انه كان يخرج الشياطين فقط بل كان يشفي المربوطين يداً ورجلاً، والمعذبين بامراض شديدة بمجرَّد وضع يديه عليهم، ثم بعد ذلك تمادى في التغافل واُعْجب في نفسه لتفخير الناس اياه فتكبّر، وسقط إلى أسفل أعماق الخطية، فانظر ان الذي كانت له موهبة الشفاء زلّ، اَلاَ ترى كيف هم يسقطون قبل أن يدركوا معالي المحبة، لأن الذي يصل إلى المحبة يُربَط ويُغمر ويوخذ اسيراً إلى دنيا أخرى كانه لم يكن له حسّ من طبيعته.

سوال ما معنى هذا القول وهو لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب بشر[٥٢].

جواب ان في ذلك الزمان كان العظماء والأبرار والملوك والأنبياء يعرفون ان المسيح لا بد أن يأتي، وانه عند مجيئه يتالم ويُصلب،

---

(٥٢) أول قورنثية ص ٦ عدد ٢

ويسفك دمع على الصليب، ولكنهم لم يعلموا[٥٣] ولم يسمعوا ولم تخطر على قلبهم معمودية النار والروح القدس، وان في الكنيسة يُقرب خبز وخمر تمثالاً للحمه ودمهِ وان الذين يتناولون من الخبز الطاهر ياكلون جسد المسيح بالروح، وان الرسل والمسيحيين ينالون المعزّى، ويكتسون بالمجد من العلا، ويمتلئون باللاهوت، وان النفوس تختلط بالروح القدس، فهذا لم تعلمه الأنبياء والملوك ولم يخطر على قلبهم، لأن المسيحيين الان ينمون في الغنى[٥٤] بسبيل اخر، ويُحمَلون إلى اللاهوت باشواقهم، ولكنهم وان امتلكوا هذا الفرح والعزاء الوافر فلا يزالون في خوف ورعدة[٥٥].

سوال أي خوف واية رعدة هي هذه.

جواب لأجل ان لا يزلّوا في حال من الأحوال بل يطابقوا النعمة، لأن كما أن الإنسان إذا كان ذا كنز ومال ويتفق انه يسافر إلى أماكن فيها أهل الغدر، ويكون فرِحاً به حقيقةً لكنه يهتم ليلا تنزل عليه اللصوص وينهبوه منه، فيكون كمَن حمل عمره على يديه، لانا قد تركنا الأشياء الظاهرة جميعنا وصرنا عنها غرباء[٥٦] وخالين من كل الأملاك ومنفردين من كل عشرة بالجسد، وهوذا جسدنا مائل إلى الصلاة، فيجب إذاً على الأخوة أن يتكلموا بما يطابقه عقلهم وأما أصحاب الحرف والمتاجرة فعلي

---

(٥٣) أول قورنثية ص ٢ عدد ٦ الى ٨

(٥٤) أول قورنثية ص ٤ عدد ٨ ثاني قورنثية ص ٨ عدد ٩ أول طيماتاوس ص ٦ عدد ١٨

(٥٥) فيلبسيوس ص ٢ عدد ١٢

(٥٦) أول بطرس ص ٢ عدد ١١

الغالب ان كلاًّ من جسدهم وعقلهم مربوط بحرفهم وتجارتهم ليلاً ونهاراً.

فهل تتبصر إذا في نفسك جيداً ان كان جسدك متغرباً من العالم، وعقلك نافراً من هذه الحياة الحاضرة، وليسا بمقبلين على العالم، لأن كل إنسان عالمي سواء كان جندياً أو تاجراً حيث يكون جسده فهناك يرتبط عقله، وهناك يكون كنزه، لأنه مكتوب حيث يكون كنزك فهناك يكون قلبك أيضاً[٥٧]، وأما عن غير ذلك، فأي كنز يميل إليه عقلك، هل هو مائل بكليته إلى الله أم لا، فان لم يكن كذلك فعليك أن تخبرني ما هو المانع، ولا شك انها هي الأرواح الخبيثة فان، ابليس والشياطين هم الذين يقبضون على العقل ويخبّلونه، لأن الشيطان ذو مواربات وعطفات ولا يكفّ عن الحيل وعن فتح أبوابه المثلثة واجراء أصناف المكر، فهو يستولي على مراعي النفس ولا يدعها تصلي الصلاة المستقيمة، أو أن تتقرب إلى الله، لأنه كما أن الطبيعة تشارك الشياطين والأرواح الخبيثة، كذلك تشارك الملئكة والروح القدس، فهي هيكل ابليس وهيكل الروح القدس.

فافحصوا إذاً عقلكم جيداً أيها الأخوة وانظروا شركاء مَن أنتم أشركاء الملئكة أو الشياطين، وهيكل مَن أنتم ومسكنٌ من، أَلِله أم للشيطان، وأي نوع كنز[٥٨] ممتلئ به قلبكم، اكنز النعمة ام ابليس، فيقتضي إذاً أن تتطهر النفس طهارة تامة كما يطهر البيت الملآن عفونة ورجساً،

---

(٥٧) متى ص ٦ عدد ٢١

(٥٨) متى ص ١٢ عدد ٣٥

وتتزيَّن وتُملأً بأصناف العزف الطيب[٥٩] والكنوز، لكي يأتي الروح القدس بدل ابليس ويحل على نفوس المسيحيين.

ولكن ليس الإنسان حال سماعه كلمة الله يُحسب من أهل الصلاح، لأنه ان كان كذلك فلا تكون فيما بعد معاركات، أو أزمنة حرب، أو سباق، بل ان الإنسان متى كان سامعاً يصل إلى الراحة بدون تعب وإلى غُرَف الكمال، وليست الأمور هكذا، لأنك ان ادّعيت ذلك فكانك خلعت الإنسان عن الإرادة ولا تسلّم بأن القوة المعادية تصارع العقل[٦٠]، الاّ ان اثباتنا هو هذا، وهو ان بسماع الكلمة يصل الإنسان إلى الندامة[٦١]، وبعد ذلك حين تتمنع النعمة عنه بتدبير لأجل منفعة الإنسان، يدخل في التمرن والاشغال الحربية، ويقيد في الدفاتر، ويقاتل ابليس، وبعد نزاع وقتال طويل[٦٢] يفوز بعلائم الغلبة ويصير مسيحياً.

لأنه إذا كان بمجرّد السمع يصير الإنسان من أهل الصلاح بدون تعب، فاوليك الذين يترددون إلى أماكن اللعب وأصحاب الزواني جميعهم يدخلون الملكوت والحياة أيضاً، ولكن ليس أحد يعطيهم ذلك بلا تعب وقتال، لأنه من حيث أن الطريق ضيق كرب[٦٣] فيجب علينا أن نعبر من هذا الطريق الوعر، ونتجلد بصبر ونكابد وحينئذ ندخل الحياة، فانه إذا كان ممكناً للإنسان أن ينجح بلا تعب فلا تكون الديانة

---

(٥٩) فيلبسيوس ص ٤ عد ١٨ ثاني قورنثية ص ٢ عدد ١٥ افسس ص ٥ عدد ٢

(٦٠) رومية ص ٧ عدد ٢٣

(٦١) ابركسيس ص ٢ عد ٦١

(٦٢) ثاني طيماتاوس ص ٤ عد ٧

(٦٣) متى ص ٧ عدد ١٤

المسيحية حجر عشرة وصخرة شك، ولا يكون ايمان أو كفر، وبذلك تجعل الإنسان أنه مربوط لا يستطيع الميل إلى الخير أو إلى الشر، لأن الذي يقدر أن يميل إلى أحد الجهتين تُعطي له سنَّة، لكون فيه حرية مطلقة لمقاتلة القوة المعادية، وأما الطبيعة المربوطة فلا سنَّة لها، لأنه ليس الشمس ولا السمآ ولا الأرض مختضعة لسنَّة من السُّنن، لأنها مخلوقات ذوات طبيعة محصورة بُربُط، ومن ثم ننتج انها لا تأخذ أجراً ولا قصاصاً* لأن الكرامة والمجد هما معدَّان(٦٤) للذي يميل إلى الخير، والاّ فجهنم والعذاب معدة(٦٥) لهذه الطبيعة المتغيرة التي تستطيع أن تفر من الشر وتميل إلى ناحية الخير والصواب.

واما ان قلت انه ليس ذا طبيعة حرة مطلقة، فينتج من ذلك انك تجعل الإنسان الصالح غير أهل للمديح، فان المحسن والصالح طبعاً ليس أهلاً للمدح† مع انه مطلوب، لأن الغير الصالح بمطلق اختياره غير أهل للمدح وان كان مطلوباً، واما الذي ليس بدون مصارعة وحرب، بل باجتهاداته يتمسك بالخير بواسطة ماله من القدرة على فعل ما شاء فهو أهل للمدح.

---

(٦٤) متى ص ٢٥ عدد ٣٤

(٦٥) متى ص ٢٥ عدد ١٤

* الكلمة الأصلية معناها الكرامة. وهذا هو حقاً الجزآ المخصَّص الايمآ إليه رومية ص ٢ عدد ٧ و١٠.

† لا يجب أن يُحصَر هذا بمعنى أنه يحرم من المدح مطلقا أولئك الذين بحسن استعمال حريتهم دائماً يجلبون نفوسهم تحت لزوم اختيار الخير وفعله بالعادة.

وكما انه إذا كان قتال بين الفُرس والرومانيين، ويبرز من الجناحين فَتَيان لهما شجاعة متساوية، ويُظهران مهارتهما، كذلك القوة المعادية والعقل لهما قوة متوازنة بالدقة بعضهما ضد بعض، فالشيطان له درجة متساوية من القوة على اغوا النفس واغرائها بما يريده، والنفس كذلك تابَى وتَرضَى في أكثر من حال واحد، لأن القوات ربما حثّوا على الشر والخير معاً ولكن ليس منهم غاصب.

فهذا الاختيار المطلق يوئد بالعون الالهي، وإذا قاتل يقدر أن يأخذ من السمآ أسلحة وبواسطتها يقمع الخطية ويقهرها، لأن مخالفة الخطية هي في قدرة النفس، واما بدون الله فلا يُقْدَر على غلب الشر أو قمعه، وأما الذين يثبتون أن الخطية هي جبَّار شديد والنفس فَتاة دونها فهم مخطئون في قولهم، لأنه لو كانت في الاشيا عدم المساواة أي أن الخطية تكون جباراً والنفس صغيرة، فلا يكون القاضي منصفاً في اعطائه الإنسان سنَّة لمحاربة الخطية.

ولكن أساس طريق الله هو هذا وهو أن يكون، السفر في طريق الحياة بصبر جميل ورجاء، وتواضع العقل، ومسكنه الروح والوداعة، وبواسطة هذه يمكن للإنسان أن يمتلك البرّ في باطنه، ولكن البرّ الذي نتكلم عنه هو الرب نفسه[٦٦]، لأن هذه الوصايا التي نحن موصّون بها، هي كالحجارة المنصوبة في اخر كل ميل، وكاعلام الطريق السلطاني التي ترشد المسافرين إلى المدينة السموية، لأنه قال طوبى للمساكين بالروح، طوبى للحليمين، طوبى للرحمآ طوبى لصانعي السلام[٦٧]، فهذه

---

(٦٦) ارميا ص ٢٣ عدد ٦

(٦٧) متى ص ٥ عدد ٣

تدعى ديانة مسيحية، وامَّا ان لم يسافر أحد في هذه الطريق فانه يصل[٦٨] إلى حيث لا مسلك ويكون قد بنى على غير أساس، فالمجد للمراحم اللطيفة التي للاب والابن وللروح القدس، امين

✠

العظة الثامنَة والعشرُونَ

في هذه العظة وصف مصيبة النفس والتاسّف عليها. لأجل ان الرب لا يحل فيها بسبب الخطيئة. وفيها ذكر يوحنا المعمدان وانه لم يقم في مواليد النساء أعظم منه

كما أن الله لما غاظتُه اليهود سابقاً سلَّم اورشليم لاعدائها لتكون عبرة[١]، فتسلّط عليهم مبغضوهم[٢] ولم يبقَ فيها فيما بعد عيد ولا قربان[٣]، كذلك لمَّا غضب على النفس لتعديها الوصية سلَّمها لاعدايها، وهي الشياطين والاهوآ الدنية، وبعد أن اطغوها هذا الطغيان اهلكوها جملة، فلم يكن لها فيما بعد عيد ولا بخور ولا قربان تقربه لله، لأن علاماتهم التي في الطرايق المشهورة امتلات وحوشاً مخوفة[٤] وأرواح خبث دابَّةٍ فيها ومقيمة،

---

(٦٨) امثال ص ٢١ عدد ١٦

(١) ثاني قورنثية ص ٧ عدد ٢٠ و٢١

(٢) مزمور ١٠٦ عدد ٤١

(٣) مراثي ص ٢ عد ٦ إلى ٩

(٤) حزقيال ص ٨ عدد ١٠

وكما أن البيت ان لم يكن صاحبه ساكناً فيه تغشاه الظلمة والاهانة والعار ويمتلي دناسة ووسخاً، كذلك النفس التي ليس فيها ربها وملئكته المقدسين† فهي أيضاً تمتلي بظلام الخطية وعار الاهواء الدنية وكامل أنواع الفضيحة، فالويل لتلك الطريق التي لا يسير فيها أحد، ولا يسمع فيها صوت إنسان، لأنها تصير ماوى الوحوش، والويل للنفس التي لا يسير فيها الرب(٥)، ولا يطرد منها وحوش الخبث الروحانية بصوته، الويل للأرض التي لا فلاّح يفلحها، والويل للسفينة التي لا قائد لها، فانها تتلاطم بالأمواج والزوابع وتتلف، والويل للنفس التي ليس فيها القائد الحقيقي، فانها في بحر الخطيئة المالح تتصادم بامواج الشهوات المُفْلَتَة، وتتسلَّط عليها الأرواح الخبيثة كعاصف الشتآ، وفي الآخر يحل بها الهلاك، الويل للنفس التي لا يفلحها المسيح باعتنآ لكي يمكنها أن تخرج ثمار الروح الصالحة، لأنها إذا بقيت بوراً وممتلية أشواكاً وقرطباً، فالثمرات التي تلاقيها أخيراً تُحرق بالنار، الويل للنفس التي ليس المسيح ربُّها ساكنا فيها، فانها تكون حينئذٍ قفراً مملواً بعفونة الاهواء المشوشة وماوىً للفساد.

لانه كما ان الفلاح حين يذهب لفلاحة الأرض يأخذ معه الأدوات

---

† الظاهر ان المصنف يكنى هنا كناية روحية عن علامات الفرح العامّي المعهود لليهود. قابل لوقا ص ١٥ عدد ٢٥ بثالث الملوك ص ١ عدد ٤٠ ورويا ص ١٥ عدد ٣ بالخروج ص ١٥ عدد ١٨

(٥) قابل احبار ص ٢٦ عد ١٢ بثاني قورنثية ص ٦ عد ١٦

والملابس المناسبة للشغل، كذلك المسيح الملك السموي والغارس الحقيقي[†] لمَّا أتى إلى الطبيعة البشرية ليس الجسد وحمل صليبه اداة شغله وفلح النفس بعد ان كانت بوراً، ونزع منها أشواك الأرواح الخبيثة وحسكها، وقلع زوان الخطية، واحرق بالنار كل حشيش أعمال الخطية[٦]، وبعد أن أصلحها بعود الصليب غرس فيها أجمل بستان الروح بحيث تحمل جميع أصناف الفواكه الجميلة الشهيّة لله معلّمها.

وكما أن مدة ظلمة الثلثة أيام بمصر لم يرَ الابن اباه ولا الأخ اخاه ولا الصاحب صاحبه لكون الظلمة حجبت بينهم، وكذلك حين تعدَّى ادم الوصية وسقط من مجده الأصلي ذلّ لروح العالم واتى غشآ الظلمة على نفسه من ذاته، وإلى مجي آدم الثاني أي الرب[٧] لم يكن يقدر أن يرفع عينيه إلى أبيه الحقيقي السموي، وإلى امه الصالحة الرؤفة أي نعمة الروح، وإلى الأخ الحلو المشتهي[٨] أي الرب وإلى أصحابه وأقاربه[٩] أي الملئكة المقدسين الذين كان يعيّد معهم عيد السمآ[١٠] بفرح ورقص، وليس إلى مجي آدم الأخير فقط كان أولئك الذين لم يشرق

† إذا دعا المسيح نفسه الكرمة فيكون حينئذٍ الغارس لله الاب. يوحنا ص ١٥ عدد ١. ففي تجسده كان هو الكرمة واما في لاهوته فالمصنف يذكره بانه هو الغارس نفسه. يعني باتحاده مع الله الاب الفاعل معه.

(٦) متى ص ٣ عدد ١٢ يوحنا ص ١٥ عدد ٦

(٧) أول قورنثية ص ١٥ عدد ٤٧

(٨) عبرانيين ص ٢ عد ١١ متى ص ١٢ عدد ٥٠

(٩) قابل طوبيا ص ٥ عدد ١٢ وص ١٢ عدد ١٥. بروية ص ٢٢ عدد ٩

(١٠) ايوب ص ١ عدد ٦ وص ٢ عدد ١

عليهم المسيح شمس البرّ، ولم تنفتح فيهم عيون النفس ليستنيروا بالنور الحقيقي[١١] لا يزالون في ظلمة الخطية إذ فيهم حسّ اللذات السريع، ومختضعون إلى ذلك العذاب ولكن إلى هذا الزمان أيضا، ولذلك ليس لهم عيون ينظرون بها اباهم.

لأنه يجب على كل أحد ان يعلم انه توجد عيون من داخل هذه العيون الظاهرة، وحاسَّة سمع ابلغ من الاذن الخارجية، وكما أن عيوننا هذه ترى وتعرف جيداً وجه صديقٍ أو أحدٍ ما نحبه، كذلك عيون النفس الأمينة الفاضلة لاستنارتها بالنور الالهي استنارة روحانية، ترى وتراعى الصديق الحقيقي والعريس الأحلى الأشهى وهو الرب، وذلك عند ما تزهو النفس بالروح المجيد، وإذا رات بالعقل ذلك المشتهى، والجمال الذي يفوق الوصف تتجرح بالمحبة الالهية، وتهتدي إلى جميع فضايل الروح، وبذلك تنال المحبة الغير المحصورة والغير الزائلة إلى ربها المشتهى.

فاية سعادة إذاً توجد بعد صوت يوحنا الذي يشير لنا إلى الرب امام أعيننا، هاهوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم[١٢]، وعلى الحقيقية انه لم يقم في مواليد النسآ أعظم من يوحنا المعمدان[١٣]، لأنه هو خاتمة الأنبيآ كلهم، نعم انهم جميعاً تنبّاوا على الرب واظهروا من مدىً بعيدٍ انه آتٍ لكن يوحنا في كلامه عن المخلص بمنزلة نبي أظهره أمام عيون الكل إذ صرخ وقال، هاهوذا حمل الله، فما أحلى

---

(١١) يوحنا ص ١ عدد ٩

(١٢) يوحنا ص ١ عدد ٢٩

(١٣) متى ص ١١ عدد ١١

وأشرف صوت ذلك الذي أشار لنا قصداً إلى مَنْ بَشَّر به، انه في مواليد النسا لم يقم أعظم من يوحنا، ومع ذلك فالأصغر في ملكوت السموات أعظم منه، يعني الرسل الذين ولدوا من الله[١٤] من فوق، ونالوا بداءَة روح العزاء[١٥]، لأن هولاء حُسبوا أهلاً لأن يجعلوا قضاة وشركاء معه[١٦] في الكرسي، وهولاءَ صيروا فادين لجنس البشر[١٧] فقد تجدهم قاسمين بحر القوات الخبيثة، ومخرجين منه النفوس المومنة، وقد تراهم فلاحين يفلحون كرم النفس، وقد تراهم عرائس يخطبون النفوس للمسيح، قال الرسول، لأني خطبتكم لرجل واحد[١٨]، وقد تجدهم معطين الحياة للناس، وبالاختصار قد تراهم خادمين الروح بأنواع درجات وطرق مختلفة، فهذا الصغير إذاً هو أعظم من يوحنا المعمدان.

لأنه كما أن الفرح يقرن الفدّان في حرث الأرض كذلك الرب يسوع الفلاح الفاضل الحقيقي، بعد أن وضع النير على الرسل زوجاً زوجاً[١٩] ارسلهم وفلح بهم أرض الذين يسمعون ويومنون بالحق[٢٠]، ولكن ينبغي أن نذكر أيضاً ان ملكوت الله وتبشير الرسل ليس مستنداً على كلمة السماع فقط، كما لو كان أحد بليغاً في الكلام فيظهره للغير، بل انما ملكوته مستند على قوة الروح وفاعليته، لأن

---

(١٤) يوحنا ص ٣ عدد ٣ وص ١ عدد ١٢
(١٥) رومية ص ٨ عد ٣٣
(١٦) متى ص ١٩ عدد ٢٨ روية ص ٣ عدد ٢١
(١٧) قابل يعقوب ص ٥ عدد ٢٠ أول يوحنا ص ٣ عدد ١٦
(١٨) ثاني قورنثية ص ١١ عدد ٢
(١٩) متى ص ٦ عدد ٧
(٢٠) لوقا ص ٨ عدد ١٥ وص ١٠ عدد ١٦

هذه الأشيآ عينها حدثت لبني اسرئيل الذين كانوا دائماً يطالعون الكتب والربّ في غاية افكارهم دون شك، ولكنهم لقلة قبولهم الحق[٢١] تركوا ميراثهم لغيرهم، كذلك الذين ينطقون بكلمات الروح للغير وهم نفوسهم لا يمتلكون الكلمة بالقوة يسلّمون ميراثهم للغير، فالمجد للاب والابن والروح القدس إلى الابد امين.

♱

العظة التاسعة والعشرون

في أن الله يجري تدابير نعمته على جنس البشر بنوعين لغاية أن يطلب ثمراتها بحساب مدقق

من حيث أن حكمة الله لا نهاية لها ولا تُدرَك، فهو يجري تدابير نعمته على جنس البشر بنوع لا يُدرك ولا يُفحص بأحوال مختلفة كثيرة وذلك، لكي يجرب ارادتنا حتى يظهر الذين يحبونه من كل قلبهم، ويتحملون جميع أصناف الخطر والتعب من أجله، لأن الأشخاص المنقادين بنعم الروح القدس ومواهبه لما ياتون بالايمان والصلاة يخلون من التعب والعرق والكدّ، ولكن أحياناً يتفق انهم مع ذلك يظلون في العالم، والله لا يزال يمنحهم النعمة لا باطلاً ولا عَرَضاً، ولا في غير وقتها، بل بحكمة تفوق كل منطوق مما لا يمكن إدراكه، وذلك لامتحان المقصود والغرض المطلق الذي هو لأولئك الذين نالوا النعمة

---

(٢١) يوحنا ص ١ عدد ١١ وص ٨ عدد ٤٥

الالهية سريعاً ان كانوا قد شعروا بالفائدة والاحسان الذي أُظهر لهم، وبحلاوة الله على حسب مقدار النعمة الذي نالوه بلا تعب منهم، والذين يُحسَبون أهلاً له عليهم أن يوضحوا بالدليل اجتهادهم وسياقهم[١] وعراكهم، وان يسعوا في ايضاح الثمرة الناشية عن إرادتهم ومقصودهم ومحبتهم، وان يردّوا عِوَضاً في مقابلة تلك المواهب، يعني بتخصيص نفوسهم بكليتها لمحبة الرب، بحيث يفعلون بمقتضى مشيته وحده، ويمتنعون من الشهوة الجسدية بالكلّيّة.

ولكن الأشخاص الذين (مع كل تجنبهم للعالم وانكارهم هذه الحياة الحاضرة بالكلية بموجب الانجيل[٢] وكثرة مواظبتهم على الصلاة والصوم والاجتهاد وباقي الفضايل) لا ينعم الله عليهم بنعمته وراحتهِ وبهجة الروح تصبيراً لهم، ويحجز الموهبة (ولكن ليس ذلك بدون قصد ولا في غير ميعاد ولا عَرَضاً بل بحكمة معلومة تفوق الوصف لامتحان مطلق ارادتهم)، لكي يرى ان كانوا اعتقدوا انه هو الاله الامين الحق، الذي وعد بان يُعطي الذين يسالون، ويفتح باب الحياة للذين يقرعون[٣] ولكي يلاحظ الذين امنوا بكلمته بالحق ان كانوا يصبرون إلى المنتهى بثقة الايمان والجهد سائلين وطالبين، أو ان كانوا لا يزلّون بالشدة والتغافل، ولقلة الايمان والرجآ فقط يستهزئون ولا يتجلدون إلى المنتهى بسبب تاخير الميعاد[٤] واختيار ارادتهم ومقصودهم.

---

(١) غلاطية ص ٥ عدد ٧
(٢) متى ص ١٦ عدد ٢٤ و٢٥
(٣) متى ص ٧ عدد ٧
(٤) ثاني بطرس ص ٣ عدد ٩ متى ص ٢٤ عدد ٤٨ و٤٩

لأن الذي لا ينال في زمن قصير بتاخّر الله واناته يزداد احتراقاً واشتياقاً إلى الخيرات السموية، ويزداد كل يوم شوقاً على شوقه وجهده الأول وعجلته وسعيه وكل سيرةٍ للفضيلة، وعلى جوعه وعطشه إلى الخير، ولا تعوّقه أفكار الخطية الحاضرة مع نفسه، ولا يميل إلى الهزؤ واليأس وقلة الصبر، أو يسلم نفسه إلى الكسل بسبب ذلك ويتفكر في نفسه قائلاً، متى احصل على نعمة الله كلها، فتجذبه الخطية إلى تغافل كليّ، ولكن الرب بهذا التاخّر يزداد في إظهار اناته عليهِ ويمتحن ايمان مشيته ومحبتها امتحاناً[†] فيجب عليه ان يزداد اجتهاداً وثباتاً واقداما على طلب موهبة الله، بحيث يومن ويثق ثقة كاملة بان الله لا يكذب، بل ذلك الذي وعد بان يعطي نعمته للذين يدمنون على الطلب بايمان إلى المنتهى وبصبر هو حق، لأنه بمثل هذه النفوس الأمينة في ذواتها يُحسب الله اميناً وحقاً، وبموجب كلمة الحق ختموا ان الله حق هو[٥].

فلذلك على مقتضى معرفة الايمان[٦] المتقدم ذكرها يعملون من نفوسهم حساباً فيما ينقصون فيه على قدر ما يختص بقوتهم، سواء كان في كدّ أو عراك أو جهد، أو في الايمان أو المحبة، أو غير ذلك من سلسلة الفضايل كلها، وبعد أن ينهوا هذا التفحص بكل ما يستطيعونه

---

† هذا يُفهَم في مقابله الطيش والعجلة والشهوة والطبع والتوهّم. لأن هذه قد يتخذها قليلو الخبرة وذوو الزعم بمنزلة رضى الإنسان العاقل السامي الذي وحده يقدر أن يتحمل الامتحان.

(٥) يوحنا ص ٣ عدد ٣٣

(٦) افسس ص ٣ عدد ١٩

من الدقة، يغصبون ويحثون نفوسهم بقدر طاقتهم إلى أن يكونوا مرضين للرب، لكونهم تمسكوا جيداً بهذا الايمان ان الله الحق لا يحرمهم من موهبة الروح أن ثبتوا إلى المنتهى في عبادته وانتظاره باجتهاد تام، ولكنهم يحسبون اهلاً للنعمة السموية ما داموا في الجسد وينالون الحياة الأبدية.

وهكذا يوجّهون محبتهم كلها إلى الرب، إذ ينكرون كل شيء غيره، ويتطلعون إليه وحده باشتياق عظيم وجوع وظما، وينتظرون دائماً نعيم النعمة وعزائها، ولا يتعزّون بشي من هذا العالم باختيار منهم، بل ولا يرتضونه ولا يرتبطون به، ولكنهم يخالفون دائماً الأوهام الباهظة وينتظرون عون الله وتأييده، وفي ذلك الحال يكون الرب نفسه حاضراً بنوع خفي مع النفوس التي ترْبُط ذاتها إلى نوع الاجتهاد والقصد والصبر هذا ويعينهم ويصونهم ويكون سنداً لهم في كل من ثمرات الفضيلة، وانهم وان كانوا في التعب والضيق وفي الاقرار بالحق، وفي حال نفس مستنيرة، فمع ذلك لم ينالوا نعمة الروح ونعيم الموهبة السموية، ولا شعروا بها تماماً بحكمة الله الفائقة الوصف، وقضاياه التي لا توصف، ذلك الذي يمتحن النفوس المؤمنة بطرايق شتى، ويقرّ عينَه على محبة ارادتهم وقصدهم، لأنه قد توجد حدود واكيال بل موازين لمطلق قصد الإرادة ومحبتها، وللميل إلى جميع وصاياه على قدر طاقة الإنسان، فالنفوس التي تملا مكيال محبتها وفرضها تُحسَب أهلاً للملكوت وللحياة الأبدية.

لأن الله عادل واحكامه بارة وليس عنده محاباة، بل بقدر أفعالهم الصالحة سواء كانت جسدية أو روحية، وسواء بطريق المعرفة أو الفهم

أو التمييز، (لكون الله غرس هذه أيضاً في الطبيعة البشرية بأنواع مختلفة) ففي دينونته لكل واحد يسال عن ثمرات الفضيلة، وبموجب استئهالها يجازي كل أحدٍ بأعماله في يوم الدينونة، لأن الرسول قال، انه يأتي ويجازي كل إنسان كأعمالهِ[٧] فالاقويآ يعذبون عذاباً شديداً لأن الحقير المتضع يُسامح من طريق النعمة[٨] وقال الرب، اما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيده ولم يستعدّ ولم يعمل كارادته فيضرب كثيراً، والذي لم يعلم وعمل ما يستوجب به الضرب يُضرب يسيراً، لأن كل مَن اُعطِي كثيراً يطلب منه كثير، والذي استودع كثيراً يطالب باكثر[٩].

لكن اِفْهَمْ معنى المعرفة والفهم بوجوه مختلفة أي بموجب النعمة وعطية الروح السماوية، وكذلك بموجب سلوك الفهم والتمييز الطبيعي، والتعليم الصادر من الأسفار الإلهية، لأن كل واحد يُدعَى لأجل ثمرات الفضيلة حسب مقدار البركات التي يخوله الله اياها، سوآ كانت طبيعية أو موهوبة من النعمة الالهية، ولذلك لا يكون لأحد علَّة وحجّة قدام الله في يوم الدين، لأن كل واحد بموجب ما عرفه من ثمرات الايمان والمحبة وكلّ فضيلة اُسبغت عليه يُدعَى لأجل ردها[١٠] من إرادته وميله، سوآ وجدها بالسمع[١١] أو كان لم يسمع كلمة الله قط، لأن النفس الأمينة والمحبة للحق إذا نظرت تلك الخيرات الأبدية المُدَّخرة

---

(٧) رومية ص ٢ عدد ٦

(٨) سفر الحكمة ص ٦ عدد ٧

(٩) متى ص ١٢ عدد ٤٧ و٤٨

(١٠) متى ص ٢٥ عدد ٢٥ و٢٧

(١١) رومية ص ١٠ عدد ١٧

للابرار، والبركة التي لا توصف أي بركة النعمة الالهية التي تحلّ عليها تحسب نفسها غير مستحقة لذلك بجهدها وكدّها وتعبها كله بالنسبة إلى مواعيد الروح الفايقة الوصف.

هذا هو الإنسان المسكين بالروح الذي يصفه الرب بالطوبى، وهذا هو الذي يجوع ويعطش للبر، فالذين يقصدون هذا القصد وهذا الجهد والتعب واشتهاء الفضيلة ويستقرون فيها إلى المنتهى، فلا شك انهم يقدرون على اقتناء الحياة والملكوت الأبدية.

فلا يتشامخن إذاً أحد من الأخوة على أخيه، ويرتأى في نفسه راياً عظيماً لانخداعهِ بالخطية، حتى يقول مثلاً انني ممتلك الموهبة الروحانية، لأنه لا يليق أبداً بالمسيحيين أن يتساهلوا في مثل هذه الأفكار، لأنك لا تعلم ماذا يجريه فيه الغد، ولا تعلم ماذا تكون اخرته وماذا تكون اخرتك، بل ليطلع كل إنسان على نفسه وينخل ضميرهُ في كل حين، ويمتحن شغل قلبه، وبعد أن ينظر أي اجتهاد وعراك في عقله نحو الله، ويحرّر على علامة الحرية التامة[١٢] والخلو من الاهواء المشوشة وراحة الروح فليتمّ سعيه بلا انقطاع أو تكاسل بحيث لا يتكل أبداً على عطية من العطايا، حتى ولا على عمل بر، فالمجد والسجود للاب وللابن وللروح القدس إلى الأبد امين.

---

(١٢) فيلبسيوس ص ٣ عدد ١٤

العظة الثلاثون

في أن النفس التي تشاء الدخول إلى ملكوت الله يقتضي انها تولد من الروح القدس. وفي كيفية فعل ذلك

ان الذين يسمعون الكلمة يجب عليهم ان يوضحوا بالبرهان صنع الله في نفوسهم، لأن كلمة الله ليست كلمة بطالة، بل لها صنع مخصوص يحدث في النفس، ومن أجل ذلك سُمّي صنعاً[(١)] لكي يكون هكذا في السامعين، فعسى أن ينعم الرب بصنع الحق في السامعين لكي تكون الكلمة مثمرة فينا، فانه كما يسير الظل أمام الجسد بل الظل يظهر الجسد، ومع ذلك فالجسد عينه حقيقي، كذلك الكلمة هي كظل حق للمسيح، والكلمة أيضاً تسير قدام الحق، ثم ان الاباء الذين على الأرض يلدون بنين من طبيعتهم ومن جسدهم وروحهم، وبعد ولادتهم يربونهم باعتناء واجتهاد إلى أن ينشوا ويصيروا رجالاً كاملين وخلفاء وورثاء، لأن مرغوب الاباء من البدء واجتهادهم هو أن يكون لهم بنون وورثاء، وان لم يحصلوا على ذلك يحل بهم غم وقلق عظيم، فاما إذا حصلوا عليهم فانهم يفرحون، وما خلا ذلك فيفرح بهذا الأهل والأقارب، وكذلك ربنا يسوع لمَّا اعتني بخلاص جنس البشر أكمل كلّ تدبير وجهد شرعت فيه الآباء والبطاركة والناموس والأنبياء من القديم، ثم جاء هو بنفسه اخر الكل ولم يُبال بعار، الصليب بل احتمل الموت

---

(١) يوحنا ص ٦ عدد ٢٩

عليه، وكان كل جهده وتعبه هذا لهتِهِ الغاية وهي أن يلد من ذاته ومن طبيعته[٢]، بني الروح بحيث ارتضى بانهم يولدون من فوق من الطبيعة الالهية، وكما ان هولاء الآباء الذين عندنا ان لم تكن لهم بنون يضجروا، كذلك الرب لما أحب جنس البشر الذي هو على صورته، ارتضى بأن يلدهم من الطبيعة الالهية[٣]، فان لم يرغب إذاً أحد أن يأتي إلى نوع هذه الولادة، وان يولد من الروح[٤] أي الطبيعة الالهية، فان حُزنَ المسيح يعظم لذلك لكون تالَّم لاجلهم وتحمل ما تحمَّل حتى يخلصهم.

لأن الرب يودّ كل الناس يُحسَبُون اهلاً لهذا الميلاد، لأنه مات عن الكل ودعا الكل إلى الحياة، والحياة إنما هي تلك الولادة التي من فوق من لدن الله، لأنه بدونها لا يمكن للنفس أن تحيا كما قال الرب، مَن لم يولد من ذي قبل فلن يقدر أن يعاين ملكوت الله[٥]، وأما الذين يؤمنون بالرب وباتيانهم إليه يُخوَّلون كرامة هذا الميلاد، فانهم يكونون سبب فرح عظيم وسرور لوالديهم الذين ولدوهم[٦] في السماء، وجميع المليكة والقوات المقدسة يفرحون بالنفس التي تولد من الروح وتصير هي ذاتها روحاً.

لأن هذا الجسد مشابه للنفس واماّ النفس فهي على صورة الروح،

---

(٢) قابل اشعيا ص ٥٣ عد ١٠ وص ٩ عدد ٦ ويعقوب ص ١ عدد ١٨ ويوحنا ص ١ عدد ١٢ و١٣ وص ٣ عدد ٦

(٣) أول يوحنا ص ٣ عدد ٩

(٤) مزمور ١١٠ عدد ٣

(٥) يوحنا ص ٣ عدد ٣

(٦) أول قورنثية ص ٤ عدد ١٥

وكما أن الجسد بغير النفس ميت، ولا قدرة له على فعل شيء، كذلك النفس بدون النفس السموية وخلواً من الروح الالهي هي ميتة لملكوت الله، ولا قدرة لها على فعل شيء من أشياء الله بدون الروح.

لأنه كما ان المصور يتامل أولاً وجه الملك ثم يصوره، وما دام وجه الملك موجهاً قبالة مصوّرة فيصوّر الصورة بسهولة ولباقة، واماَّ ان التفت بوجهه فلا يمكنه أن يصوره لانصرافه عن المصور، كذلك يفعل المسيح الصانع الماهر في المومنين به، الذين يطلعون إليه دائماً بانتباه، وحالاً يصنع صورة الإنسان السموي على صورته من روحه، ويصوّر الشبه السموي من جوهر النور الذي لا يصفه واصف، وينعم عليه بعروسه الفاضل الصالح، فان كان أحد لا يمعن فيه دائماً بتامل، ولا يلتفت إليه عن كل شي غيره، فلا يصوّر الرب شبهه من نوره أبداً، فسبيلنا إذاً أن نطلع إليه باشتياق دائماً، بحيث نومن به ونحبه ونرذل كل شي غيره، ونوفّيه ما علينا من الوقار، حتى انه إذا صوَّر الصورة السموية صورة نفسه يرسلها إلى نفوسنا(٧) وهكذا بحملنا المسيح(٨) ننال الحياة الأبدية، ومن تلك اللحظة نحصل على الراحة بتمام ثقتنا.

وكما أن قطعة الذهب ان لم توضع وتطبع عليها صورة الملك لا تروح في طريق المعاملة، ولا تخزَن في الخزينة الملوكية بل تطرح ثانية، كذلك النفس ان لم تكن عليها صورة الروح السموي في النور الذي لا يوصف، فلا تليق بالخزائن السموية أبداً، ولا يقبلها التجار المشهورين تجار الملكوت

---

(٧) رومية ص ٨ عدد ٢٩ ثاني قورنثية ص ٣ عدد ١٨

(٨) أول قورنثية ص ١٥ عدد ٤٩

وهم الرسل، لأن ذلك الذي دُعِي ولم يكن عليه لباس العرس طُرد خارجاً إلى الظلمة البرانية كاحد الغرباء، لكونه لم يكن حاملاً للصورة السموية، لأن هذه هي علامة الرب وختمه[٩] المختوم على النفس أعني به روح النور الذي لا يوصف.

وكما أن الإنسان الميت لا نفع بهِ ولا فائدة فيه للذين حوله، ولذلك يخرجونه إلى خارج المدينة ويلقونه في الأرض، كذلك النفس التي لا تحمل الصورة السموية[١٠] صورة النور الإلهي الذي هو حياة النفس تصبح منفية[١١] لا تعتبر أبداً، لأن النفس الميتة لا فائدة فيها لمدينة القديسين، لعدم حملها الروح المنير الإلهي، لأنه كما أن حياة الجسد في هذه الدنيا هي النفس، كذلك حياة النفس في الدنيا الأبدية السموية هي روح اللاهوت لأن هذه النفس بدون نفسها المخصوصة أي الروح هي ميتة ولا نفع بها للذين هم فوق.

فلذلك يجب على طالب الايمان بالرب أن يلتمس نوال الروح الالهي في هذه الحياة، لأن ذاك هو حياة النفس، ولهذا الباعث ذاته أتى الرب اتياناً ظاهراً ليمنح بذلك روحهُ للنفس، لأنه قال، ما دام لكم النور آمنوا بالنور فسياتي الليل الذي لا تستطيعون فيه عملاً[١٢]، ولذلك ان لم يطلب أحد الحياة لنفسه ولم ينلها في العالم وهي نور

---

(٩) قابل رومية ص ٤ عدد ١١ وأول قورنثية ص ٩ عدد ٢ وأول طيماتاوس ص ٢ عدد ١٩ وافسس ص ١ عدد ١٣ ويوحنا ص ٣ عدد ٢٣

(١٠) أول قورنثية ص ١٥ عد ٤٩

(١١) ارميا ص ٦ عدد ٣٠

(١٢) يوحنا ص ١٢ عدد ٣٦ وص ٩ عدد ٤

الروح الالهي، فساعة خروجه من الجسد يُنقَل حالاً إلى أقطار الظلمة على اليد اليسرى، ولا يعود يدخل ملكوت السمآ ولو مرَّة واحدة، لكون نصيبه الأخير هو في جهنم مع الشيطان وملئكته.

وكما أن كلاً من الذهب والفضة إذا أُلقي في النار يزداد نقاوة وحسناً، ولا يغيره شيءٌ لا خشب مثلاً ولا حشيش، لأنه يغلب كافة الأشيآ التي تأتي إليه، لأنها تصير هي ناراً أيضاً، كذلك النفس فانها بطول اقامتها في نار الروح والنور الإلهي لا يحصل لها شي مضر† من أحد الأرواح الشريرة، بل ان اتفق ان أحدها يدنو منها يحترق بنار الروح السموية.

وكما إذا طار الطير إلى العلو لا يبالي ولا يخاف الصيادين ومن الوحوش الموذية، لأنه في العلو يامن من الكل، كذلك النفس متى نالت اجنحة الروح(١٣) وطارت إلى السموات العليا تضحك من كل السافلين لعلوها على جميعهم.

وفي الأيام التي قسم فيها موسى البحر عبر إسرائيل من تحته بحسب الجسد، واما هولاء فلكونهم بنى الله يسيرون من فوق بحر القوات الخبيثة المرّ، لأن جسدهم ونفسهم هما بيت الله.

وفي اليوم الذي زلّ فيه آدم أتى الله ماشياً في البستان(١٤) وكانه بكى(١٥) عندما رأى آدم، وقال ما أعظم الخيارت التي انتجتَ منها شروراً

---

(١٣) مزمور ٥٥ عدد ٦

(١٤) تكوين ص ٣ عدد ٨

(١٥) لوقا ص ١١ عدد ٣٥

† قابل ثاني الملوك ص ٦ عدد ١٧. بزخريا ص ٢ عدد ٥. ومزمور ٣٤ عدد ٧

غريبة، وما أعظم المجد الذي أصدرتَ منه هذا العار الكثير، لم اظلمتَ الان ولِمَ تشوّهت ولم يبست، وما أعظم الظلمة التي غمرتك من هذا النور العظيم، ولعمري ان ادم لما سقط ومات عن الله تاسف عليه خالقه والملئكة وكل القوات والسموات والأرض وكل المخلوقات ناحت على موته، لانهنّ راينَ ان ذلك الذي اُعطِي لهن ملكاً صار عبداً للقوة المعادية الخبيثة، ولذلك كسته الظلمة في نفسه ظلمة مرَّة خبيثة[١٦] لأنه ذَلَّ لرئيس الظلمة.

فهذا هو الذي جرحته اللصوص وصار مشرفاً على الموت في اتيانه من اورشليم إلى اريحا[١٧]، وما عدا ذلك فالعازر ذاته الذي أقامه الرب وكان قد انتن حتى لم يقدر أحد أن يدنو من القبر[١٨]، كان رمزاً على آدم الذي جمَّع عفونة كثيرة في نفسه وامتلا سواداً وظلاماً.

وأما أنت فكلما سمعت بذكر آدم وبالذي جُرح وبالعازر، فلا تدع عقلك يجري تايهاً كأنّه على جبال، بل احفظ نفسك في باطنك، لأنك أنت أيضاً فيك تلك الجروح ذاتها، وذلك العَفَن عينه، وتلك الظلمة بذاتها، لأننا جميعنا أبناء لذلك الأصل المظلم ومشتركون في تلك النتانة، فالداء الذي تعذب به نحن أيضاً معذبون به عينه لكوننا من زرع ادم، لأن الداء الذي حلَّ بنا هو عين ما يذكره النبي اشعيا بقوله، لن يوجد الاَّ جراح وقروح وضربات وارمة لم تعصَّب ولا تداوي ولا تدهن[١٩]، وكان الجرح الذي جُرحناه لا علاج له، ولم

---

(١٦) ابركسيس ص ٨ عدد ٢٣
(١٧) لوقا ص ١٠ عدد ٣٠
(١٨) يوحنا ص ١١ عدد ٣٩
(١٩) اشعيا ص ١ عدد ٥ و٦

يمكن شفاوهُ الاَّ بالرب، لأن لهذه الغاية عينها اتى بنفسه، لأنه لم يكن أحد من الأقدمين، ولا الناموس، ولا الأنبياء قادراً على معالجته، واما هذا الشخص وحده فباتيانه شفي جرح النفس الذي لم يكن له دواء.

فلنقبل الله إذاً والرب الشافي الحق، الذي يقدر وحده أن يعالج النفوس لكونه تحمَّل اشيآ شتى من أجلنا، لأنه يقرع دايماً باب قلوبنا حتى نفتح له، وحين يدخل ننتعش في نفوسنا ونغسل قدميه وندهنهما ونجعل مقامه فينا، لأن الرب يوبّخ في الإنجيل ذلك الذي لم يغسل قدميه(٢٠)، وقال أيضاً في مكان آخر، هوذا انا قائم على الباب وادق ان كان أحد يسمع صوتي ويفتح الباب لي ادخل إليه(٢١)، لأنه لهذا السبب ظلّ يتحمَّل أشياء كثيرة بحيث اعطي جسده للموت واقتدانا من العبودية، حتى إذا اتى لنفوسنا يأخذ مسكنه معها، لأنه لهذا الداعي يقول الرب للذين على يساره في الدينونة الذين يطردهم إلى جهنم مع الشيطان، كنت غريباً فلم تُؤْووني، وجعت فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني(٢٢)، لأن طعامه وشرابه وملبوسه وماواهُ وتنعمه في نفوسنا، ولذلك فهو يقرع دائماً طالباً الدخول إلينا، فلنقبله إذاً وندخله في نفوسنا، لأن طعامنا وحياتنا وشرابنا وحياتنا الأبدية هو ذاته، وكل نفس لا تقبله داخلها في هذه الحياة الحاضرة ولا تبهجه أو لا تبتهج بهِ، فلا يكون لها ميراثٌ مع القديسين

---

(٢٠) لوقا ص ٧ عدد ٤٤

(٢١) روية ص ٣ عدد ٢٠

(٢٢) متى ص ٢٥ عدد ٤٢ و٤٣

في ملكوت السمآ ولا تدخل في المدينة السموية، ولكن يا ربّ يسوع المسيح ادخلنا إلى هناك، فنمجد اسمك مع الاب والروح القدس إلى الأبد امين.

♱

العظة الحادية والثلاثون

في انه يجب على المومن أن يتغير في عقله ويجمع أفكاره جميعها لله. فان مراعاتنا له تعالى قائمة في ذلك

يجب على المومن أن يلتمس من الله أن يتغيَّر في ميله بتغيير قلبه، بحيث ينتقل من المرارة التي فيه إلى الحلاوة ويتذكر كيف شُفي الأعمى، وكيف ابرأ المراة أيضاً التي كان بها نزف دم بلمس طرف ثوبه، وكيف لانَتْ به طبيعة الاُسُود، وخضعت طبيعة النار، لأن الله هو الخير العديم المثيل الذي يجب عليك أن تجمع فيه عقلك وأفكارك، ولا تفتكر سوى في كيفية حفظ انتظاره قدام عينيك، فلتكن النفس إذاً كالتي تجمع بنيها بعد ضلال، وتونّب الأفكار التي شتتتها الخطية ولتاتِ بها إلى بيت جسدها، بحيث تنتظر الرب دائماً بالصلاة والمحبة حين يأتي ويجمعها حقاً[١]، وحيث ان المستقبل ليس واضحاً[٢] فلتداوم الرجاء لحاكمها وتلقي عليه أملها يقينا[٣]،

---

(١) متى ص ٢٣ عدد ٣٧

(٢) رومية ص ٨ عدد ٢٤

(٣) ثاني طيماتاوس ص ١ عدد ١٢

ولتذكر كيف ان راحاب في تغربّها اعانت الاسرائيليين فصارت كواحدة منهم، ولكن الاسرائيليين بمحبتهم رجعوا إلى مصر[٤]، فكما ان راحاب بسكناها مع امّة غير امَّتها لم تتاذّي بل نقلها ايمانها إلى جهة الاسرائيليين، كذلك الخطية لا توذي الذين ينتظرون الفادي بالرجاء والايمان، فعند مجيئه يغير أفكار النفس ويصيرها الهية سماوية صالحة ويعلم النفس الصلاة الحقيقة بدون طيش وضلال إذ قال لا تخف انا اسبقك، واخضع الاشراف من الأرض واسحق الأبواب التي من نحاس، واكسر الاقفال التي من حديد[٥]، وقال أيضاً، احذر من ان تكون الكلمة المخفية في قلبك خطية ان قلت هولاء الشعوب اكثر مني[٦]، فنحن ان لم يغلبنا الكسل ولم نعطِ لوساوس الخطية المشوِّشة مَرعىً فينا، بل جذبنا عقولنا باختيارنا وغصبنا أفكارنا إلى الرب، فانه ولا شك يأتي إلينا ويجمعنا إليه، لأن جلَّ الارضآ والمراعاة هي في الأفكار فاجتهد إذاً في ارضاء الرب وانتظاره دائماً من داخل، وفي أن تفتش عنه في أفكارك، وتغصب إليه إرادتك وميلك، واعتبر كيف انه يأتي إليك ويجعل فيك مقامه، فانك كلما جمعت عقلك إلى طَلَبه ازداد هو ميلاد برحمته وجوده إلى أن يأتيك ويبهجك، لأنه يقف ويعاين عقلك وأفكارك وشهواتك ناظراً كيف انت طالبه، وان كان طلبك بكل نفسك أو بتغافل أو باعتنآ فإذا لحظ حرّ اجتهادك في طلبه فحينئذٍ ينكشف ويظهر لك ويمنحك عونه ويعيّن لك الغلبة، إذ

---

(٤) مزمور ٧٨ عدد ٤١

(٥) اشعيا ص ٤٥ عدد ٢

(٦) تثنية ص ٧ عدد ١٧

ينقذك من ايدي اعدايك، لأنه إذا رأى أولاً كيفية طلبك، وكيف لم تكفّ عن انتظارك إياه، يعلمك ويمنحك الصلاة الحقيقية والمحبة الصادقة التي هي نفسه[٧] فيصيرُ كلُّ شي لك نعيماً وشجرة حياةٍ ودرةً واكليلاً وبانياً[٨] وغارساً ومتالماً ومنيعا، وانساناً والهاً وخمراً، وماء حيوة، وحَملاً، وعريساً، ومحارباً، وسلاحاً، والكلّ في الكلّ هو المسيح.

وكما أن الطفل لا يعرف كيف يعالج نفسه، أو كيف يلبس، بل ينظر إلى امّه ويبكي حتى تشفق عليه فتحمله، كذلك النفوس المومنة تتكل دائماً على الرب وحده بحيث تنسب إليه كل أنواع البرّ، فانه كما بدون الكرمة ييبس الغصن[٩] كذلك حال مَن يشتهي التزكي بدون المسيح، فالذي لا يدخل من الباب المعهود بل يتسوَّر من ناحية أخرى فهو لصّ وسارق[١٠] كمَن يزكيّ نفسه من غير أن يزكيه أحدٌ.

فلناخذ إذاً جسدنا هذا ونصيره مذبحاً، ونلقِ عليه أفكارنا كلها، ونتوسل إلى الرب أن يرسل من السمآ النار العظمى التي لا تُرَى، فتبتلع المذبح وكل ما عليه سوية، ويسقط جميع كهنة بعل وهم القوات المعادية، وحينئذٍ نرى المطر الروحاني[١١] اتياً إلى النفس كخطوة إنسان، فيصير فينا موعد الله حسبما قيل في النبي، اقيم وابني خيمة

---

(٧) اول يوحنا ص ٤ عدد ١٦

(٨) متى ص ١٦ عدد ١٨

(٩) يوحنا ص ١٥ عدد ١ و٥

(١٠) يوحنا ص ١٠ عدد ١ الى ٥

(١١) مزمور ٧٢ عدد ٦

داود التي قد سقطت وارمّم ما قد انهدم منها[١٢]، حتى ان الرب من حركة رحمته يضي على النفس العائشة في الليل والظلمة وفي الحماقة، فإذا فاقت تسير بلا زلل، بحيث تقضي اشغال النهار والحياة، فان بذلك تغتذي ومنه تاكل سواء كان من هذا العالم أو من روح الله، والله يحلّ بها[١٣] ويرضى عنها.

ولكن كل مَن شآ يمكنه أن يجرّب ذاته ويرى من أين تنعمه، واين مسكنه، وبين مَن هو مقيم، حتى إذا أتى تاتّى له التمييز والنقد الصحيح سلّم نفسه بالاغتصاب إلى ما هو خير، وإذا صليت أيضاً فاطَّلع على نفسك في الصلاة بحيث تتامل أفكارك وحركاتك من حيث هي، ان كانت من الله أو من العدوّ، ومَن ذا الذي يوتي الطعام للقلب هل هو الرب أو روساء هذا العالم، وإذا انهيت يا نفس هذا الامتحان وعرفت فتوسلي إلى الرب باجتهاد ورغبة، من أجل القوت السموي ونموّ المسيح فيك وفعله حسبما هو مكتوب، ان معاشرتنا في السموات[١٤] وليس ذلك بالرمز والكناية كما يزعم بعض، لأن عقل وفهم الذين لهم مجرَّد زِيّ التقوى يشبه العالم وانظر إلى تحرك ميلهم وتموّجه، وإلى عقلهم المقلقل وإلى فزعهم وخوفهم الكثير على ما قيل، ان الأرض تكون بالتنهد والرعدة[١٥] وذلك بقدر كفرهم وخلل افكارهم الحائرة، كم من ساعة يتموّجون كسائر الناس، فهولاء لا يفترقون عن

---

(١٢) عاموص ص ٩ عدد ١١ ابركسيس ص ١٥ عدد ١٦

(١٣) رومية ص ٣ عدد ٢٠ يوحنا ص ١٤ عدد ٢٣

(١٤) فيلبسيوس ص ٣ عدد ٢٠

(١٥) تكوين ص ٤ عدد ١٢

العالم الاَّ بالشكل والراي فقط، وبالنظام الجسدي الذي للإنسان الخارجي، ولكن في قلبهم وعقلهم هم مقلقون في العالم ومقيدون في الأرض باغلالٍ وهموم لا ثمرة فيها، لكونهم لم يقتنوا في قلبوهم ذلك السلام الذي من السماء كما قال الرسول، وسلام الله فليتولَّ في قلوبكم(١٦) فهو يملك ويجدد عقل المومنين في محبة الله وكل الأخوة، فالمجد والسجود للاب والابن والروح القدس إلى الأبد.

✞

العظة الثانية والثلاثون

في أن مجد المسيحيين الذي يحلّ في نفوسهم من هذا الان سوف يُعلن في القيامة ويمجد أجسادهم بمقدار تقواهم

ان لغة هذا العالم مختلفة لأن كل قوم لهم لسان مخصوص، واما المسيحيون فانهم يتعلمون لساناً جديداً، وجميعهم يتهذبون بحكمة واحدة مشتركة وهي حكمة الله، لا حكمة هذا العالم وهذا الدهر التي تزول، وعند ما يسيرون على هذه الخلقة القديمة يغرقون في روايا سموية جديدة وفي مجد وأسرار، إذ ينتهزون فرصة الأشيآ الظاهرة، وقد توجد أصناف حيوانات مؤلّفة كالفرس والثور، وكل منهما له جسد وصوت مخصوص به وكذلك الحال في الموحشة، فالاسد له جسد

(١٦) قولاسائس ص ٣ عدد ١٥

وصوت مخصوص به، والايل كذلك، بل في الدواب اختلاف عظيم، وبين الطيور أجسام متنوعة، فجسد النسر وصوته نوع، وجسد الصقر وصوته نوع آخر، وكذلك في البحر اختلاف لأن فيه أجساماً كثيرة لا تتشابه، بل في الأرض ذاتها زروع كثيرة وكل جنس زرع له ثمرة مخصوصة، والأشجار أيضاً كثيرة ولكن بعضها كبير وبعضها صغير، وفي ثمرات الخريف اختلاف عظيم، لأن كل صنف منها له طعم مخصوص، وكذلك قد توجد بقول اختلافات كثيرة، لأن بعضها نافع للصحة وبعضها يخرج رائحة طيبة، ولكن كل صنف شجرة يخرج الأوراق الظاهرة والزهور والأثمار، وكذلك ما تخرجه الزروع من داخل اكمامها الظاهرة، والسوسن أيضاً يخرج شياً من اكمامه ويحمل البقاع، وكذلك جميع المسيحيين الذين حُسبوا من هذا الان اهلاً لامتلاك الثياب السموية، فهذه الثياب حالّة في نفوسهم، وحيث ان الله سبق فرسم ان هذه الخليقة تنحلّ، وان السماء والأرض تزولان، فتلك الثياب السموية التي غطت النفس ومجدتها من هذا الان وامتلكوها في قلبهم، سوف تغطي أيضاً الأجسام العريانة التي تقوم من القبور، والمتضح ان تلك الأجساد التي تقوم في ذلك اليوم تكتسي بالمجد، وهو ذلك الثوب السموي الغير المنظور الذي يحرزه المسيحيون في هذه الحياة الحاضرة[١].

وكما أن الغنم والجمال إذا راين حشيشاً يبادرن إليه بشراهة واستعجال، ويخزنّ لأنفسهنّ منه قوتاً، وفي وقت الجوع يخرجنه من

---

(١) ثاني قورنثية ص ٥ عدد ١

معدتهنَّ ويحترزن به، والذي كنَّ خزنَّه قبلاً يصير بعد ذلك لهنَّ طعاماً[٢]، كذلك جميع الذين اغتصبوا ملكوت السموات الان، وذاقوا الطعام السموي الحيّ بالروح، ففي وقت القيامة ينالون ذلك الطعام عينه ليغطي اعضاهم ويغذوهم.

فكما قلنا ان في الزروع اختلافاً، لأن أصنافاً منها كثيرة تُزرَع في أرض واحدة، والثمار التي تخرجها مختلفة بحيث لا يشابه بعضها بعضاً، ومن الشجر أيضاً ما هو كبير وما هو صغير، والحال ان أرضاً واحدة تجمع أصولها كلها، كذلك الكنيسة السموية ولو كانت واحدة فلا عدد لها[٣]، بل كل شخص منها يتزيَّن بمجد الروح بنوع مخصوص.

لأن كما ان الطيور تخرج من جسدها غطآ أجنحتها، مع أن الفرق بينها عظيم إذ بعضها يطير قريباً من الأرض، وبعضها في الجوّ الواسع، وكذا السماء واحدة وفيها نجوم شتى، بعضها ذوات لمعان ساطع، وبعضها ذوات كبر عظيم، وبعضها أصغر، ولكن جميعها في الجوّ، وكذلك القديسون هم في السماء الواحدة سمآ اللاهوت، قد تاصّلوا في الأرض الغير المنظورة تاصلاً مختلفاً، وكذلك الأفكار التي دخلت في آدم هي مختلفة، ولكن الروح الذي يدخل القلب يُنشي عِرْقَ فكر واحد وقلباً واحداً، لأن الفوقانيين والتحتانيين هم جميعاً تحت تدبير روح واحدة.

ولكن ما المراد بالحيوانات المشقوقة الظلف، لكونها بأظلافها

---

(٢) متى ص ١١ عدد ١١

(٣) العدد ص ٢٣ عدد ١٠ تكوين ص ٢٢ عدد ١٧

تجري على الأرض بسرعة، ووُضعت رمزاً إلى أولئك الذين يسيرون في الناموس باستقامة، ولكن كما أن ظل الجسد يصدر من الجسد ذاته، ومع ذلك لا يستطيع فعل شيء جسدي، لأن الظل لا يقدر أبداً أن يضم الجروح أو يطعم أو يتكلم، والحال أنه يصدر من الجسد عياناً ويسبقه دليلاً على حضوره، كذلك الناموس القديم هو ظلّ العهد الجديد[٤]، والظل يظهر الحق أولاً ولكنه لم تكن له خدمة الروح قط، لأن موسى لما كان مكتسياً بالجسد لم يقدر أن يدخل القلب وينزع منه ثياب الظلمة الدنسة[٥]، ولن يقدر شيء أن يلاشي قوة الظلمة الخبيثة من الروح، والنار من النار الاَّ الروح.

لأن الختان الذي كان في ظل الناموس يدل على ختان القلب الصحيح الذي كان مقبلاً يومئذٍ، ومعمودية الناموس هي ظل للاشيا الحقيقية، لأن تلك كانت تغسل الجسد، ولكن هنا معمودية النار والروح[٦] تنظف وتغسل نجاسات العقل، ويومئذٍ كان الكاهن اللابس الضعف يدخل قدس الأقداس ويقرّب ذبائح عن نفسه وعن الشعب[٧] والان المسيح الكاهن الحق دخل مرة واحدة[٨] إلى المظلة الغير المصنوعة بايدي والى المذبح العلوي مستعداً لتنظيف الذين يسالونه

---

(٤) قولاسايس ص ٢ عدد ١٧ عبرانيين ص ١٠ عدد ١٦

(٥) زخريا ص ٣ عدد ٣

(٦) متى ص ٣ عدد ١١ اشعيا ص ٤ عدد ٤

(٧) عبرانيين ص ٧ عدد ٢٧

(٨) عبرانيين ص ٦ عدد ٢٠

حتى الضمير المدنس[(٩)]، لأنه قال انا أكون معكم إلى منتهى العالم[†(١٠)].

والكاهن كان له على صدره حجران ثمينان وعليهما أسماء الاثني عشر اباً، وكان صنع ذلك مجرَّد رمزٍ لأن الرب أيضاً بعد أن اكتسي بتلامذته الاثني عشر ارسلهم انجيليين ومبشرين للعالم أجمع، فانظر كيف ان الظل بقدومه يظهر الحق، ولكن كما أن الظل لا يصنع لنا شياً ولا يشفي لنا أوجاعاً، كذلك الناموس القديم لم يكن يستطيع أن يشفي جروح النفس والآمها، لأنه لم تكن به حياة[(١١)]، لأنه يوجد شخصان يُحتَاج إليهما معاً لتكميل أية مادة كانت كالعهدين مثلاً، والإنسان خُلق على شبه الله ومثاله، وله عينان ومنخران ويدان ورجلان، وان اتفق لأحد أن يكون ذا عين واحدة أو يد واحدة أو رجل واحدة فيظهر ذلك عيباً.

أو كما أن الطير الذي ليس له غير جناح واحد لا يقدر أن يطير بذاك الواحد، كذلك الطبيعة البشرية ان بقيت عريانة بذاتها ولا تقبل

---

† المسيح يدعوه النبي الانجيلي الاب الأبدي اشعيا ص ٩ عدد ٦ والنسخة اللاتينية الدارجة تفسّره بانه اب الدهر أو العالم الاتي. فهذا الدهر أو العالم معناه دهر الانجيل أو المسيح الذي كان النبي يومئذ مراعياً له. وكما أنه ابتدأ بتجسد ربنا المبارك كذلك لا يعبر قبل أن يسلّم ملكوت أبيه. أول قورنثية ص ١٥ عدد ٢٤ ومن ثم يظهر ان الوعد المذكور هنا ليس بمقصور على الرسل بل هو تابع لجميع خلفائهم. وهو قرين الانجيل الأبدي.

(٩) عبرانيين ص ٩ عدد ١٤

(١٠) متى ص ٢٨ عدد ٢٠

(١١) غلاطية ص ٣ عدد ٢١

الامتزاج والعشرة من الطبيعة الالهية فلا تستقيم أبداً، بل تظل ذليلة في طبيعتها بدنس كثير، لأن النفس ذاتها تُدعى هيكل الله وبيته وعروس الملك، لأنه قال اجعل مسكني بينهم واسير فيهم[١٢]، هكذا كان رضي الله انه لما نزل من السموات المقدسة كسا طبيعتك العاقلة بجسد متخذ من الأرض، وطبَّعه[١٣] بروحه الالهي حتى انك من حيث كونك أرضياً لعلَّك تقبل النفس السموية، وحين تعاشر نفسك الروح وتدخل النفس السموية في نفسك، فحينئذٍ تكون رجلاً كاملاً في الله ووارثاً وابناً.

ولكن كما أنه لا يقدر العالُمون فوق[١٤] ولا الذين هم تحت ان يحتووا على عظمة الله[١٥] وعلى طبيعته التي لا تُدرك، كذلك من الجانب الاخر لا يقدر العالمون الذين هم فوق ولا الذين هم تحت ولا الذين على الأرض أن يدركوا تصاغره لأجل الأشيآ الصغيرة القليلة، لأنه كما أن عظمته لا تدرك كذلك لا إدراك لتواضعه، وقد يتفق انه حين يحدرك للشدائد والالام بتدبيره ويشير على اذاك[١٦] وإلى ما تظنه ضداً لك، فهذه تأتي لأجل نفسك، ثم انك ان اشتهيت أن تكون في العالم غنياً، فكل المضايق تصادفك وحينئذٍ تاخذ في الافتكار في نفسك عن ذلك وتقول، لكوني لم أجد في الدنيا نجاحاً فلا نفردنّ عنها واجحدها واعبد الله، وبعد ذلك إذا خرجت منها تسمع الوصية

---

(١٢) احبار ص ٢٦ عد ١١ و١٢ ثاني قورنثية ص ٦ عدد ١٦

(١٣) جامعة ص ١ عدد ١٤

(١٤) عبرانيين ص ١١ عدد ٣

(١٥) ثاني الأيام ص ٦ عدد ١٨

(١٦) غلاطية ص ٦ عدد ١٧

التي تقول، بع كل مالك[١٧] وابغض كل العشرة الشهوانية[١٨] واعبد الله[١٩]، فحينئذٍ تحمد على سوء بختك في العالم بحيث تقول، ان بواسطة ذلك صرت مطيعاً لأمر المسيح، فالباقي عليك انك كما غيرت عقلك نظراً للاشيا الظاهرة، وانفردت عن العالم وعن العشرة الجسدية، كذلك يجب عليك لذلك الداعي أن تبتدي بتغيير عقلك أيضاً من الحكمة الجسدية إلى السموية، وبعد هذا تبتدي بأن تتفحص في التعليم الذي عُلِّمتَه تفحصاً بيناً، ولا تهدا بمجرَّد ذلك بل تسعى وتجتهد في احراز ما سمعته، وإذا ظننت انك تممت كل شي بالجحد الذي جحدته، يعيد الرب الحديث معك عن ذلك ويقول لك، لِمَ تفتخر ألست انا خالق نفسك وجسدك، وصانع ذهبك وفضتك[٢٠] فقل لي ماذا فعلت من ذاتك فعند ذلك تبتدي النفس باعتراف مُعلن وتتوسل إلى الرب[٢١] وتقول، اني أقر بان كل الاشيآ هي لك وهذا المنزل الذي انا فيه لك، وثيابي لك، وبك انا عائشة، وبتدبيرك عيّن كل ما كان لخيري، فعندها يجاوب الرب على هذه الاقرارات كلها قائلاً، مني لك الحمد، فالخيرات خيراتك، واراداتك الصالحة لك، ومن حيث انك قررت إليَّ حبّاً بي فهلمَّ أُعْطكَ الأشيآ التي لم تَحُزْها بعدُ ولا حازها الناس الذين على الأرض، اتخذني لك مولى مع نفسك لتكون دائماً فرحاً بي ومسروراً.

---

(١٧) متى ص ١٩ عدد ٢١

(١٨) أول يوحنا ص ٢ عدد ١٥ و١٦

(١٩) متى ص ٤ عدد ١٠

(٢٠) حجي ص ٢ عدد ٨

(٢١) تامل ايوب ص ٤٢ عدد ١ الى ٦

فانه كما ان المراة المخطوبة لرجل من كثرة محبتها تهاديه بجميع خيراتها ومهرها كله، وتلقي الكل في يدي زوجها قائلة، ليس لي شي ملكي، بل الخيرات التي لي هي خيراتك ومهري منك، ونفسي وجسدي لك، كذلك هي النفس العذراء التي تعاشر الروح القدس[٢٢]، ولكن كما انه لما اتى الرب الأرض تألّم وصلب، كذلك يجب عليك ان تتالم معه، لانك بعد أن تبتعد عن العالم وتطلب الله وتصبح ذا فطنة[٢٣] فاول ما يجب عليك فعله أن تقاتل طبيعتك في عوائدها القديمة واهوائها النامية معك سوية، وعند معاركتك مع العادة والطبع تصادف أفكاراً مضادة لك، وتردك بسرعة إلى الشي الخارجي الذي خرجت منه، فعندها تبتدي بعراكٍ وحرب إذ تدفع مناظرات على مناظرات، وعقلاً على عقل، ونفساً على نفس، وروحاً على روح، وتكون النفس حينئذٍ في غمرة كاملة، لأنه تنكشف هناك قوة ظلام خفية خادعة كاينة في القلب، ويكون الرب أيضاً قريباً من نفسك وجسدك بحيث يري قتالك، ويلقي تاملات سموية في الإنسان الخفي الذي فيك، ولكنه يتركها لك إلى أن تتقوّم، والنعمة هي التي تهديك في شدائدك، وإذا وصلت إلى الراحة تعرفك بنفسها، وتبيّن لك جهراً انها تركتك تتدرَّب لأجل خيرك[٢٤]، وكما أنه إذا كان لرجل غني ابن مثلا ولهذا الابن معلّم يهذبه بقضبان طوال تعقب التاديب والجروح والضربات الثقيلة جداً، إلى أن ينمو الولد إلى الرجولية فحينئذٍ

---

(٢٢) أول يوحنا ص ١ عدد ٣

(٢٣) عبرانيين ص ٥ عدد ١٤

(٢٤) مزمور ١١٩ عدد ٦٧

يشكر معلمه، كذلك النعمة تودّبك بتدبير خصوصي إلى أن تصير رجلاً كاملاً[٢٥].

ثم ان الفلاح يبذر زرعه في كل ناحية، والذي يغرس كرمة يشتهي لو ان كل غصن منها يثمر، ولذلك ياتي أخيراً بمشذّبه وان ما وجد ثمرة يغتم، كذلك الرب يروم ان تزرع كلمته[٢٦] في قلوب البشر، ولكن كما أن الفلاح يحزن على البقعة البور من الأرض، كذلك يحزن الرب على القلب العقيم الذي لا ينتج ثمرة.

وكما أن الرياح تهب على كل الحيوانات في كل مكان، والشمس تشرق على المسكونة كلها، كذلك اللاهوت هو في كل مكان، ويوجد في كل مكان[٢٧]، فان طلبته في السموات وجدته هناك في أفكار الملئكة، وان طلبته على الأرض صادفته هنا أيضاً في قلوب الناس، ولكن قليلاً من المسيحيين يرضونه من وسط عالم كثير، فالمجد للاب والابن والروح القدس إلى الأبد، امين.

♱

العظة الثالثة والثلاثون

في أنه يجب علينا أن نصلي إلى الله بانتباه بلا فتور

يجب علينا أن نصلي ليس بعادة الجسد، ولا بعادة رفع الصوت، ولا بعادة الصموت، ولا بجثي الركب، بل بعد أن نراعي العقل مراعاة

---

(٢٥) افسس ص ٤ عدد ١٣
(٢٦) لوقا ص ٨ عدد ١١ الخ
(٢٧) مزمور ١٣٩

مضبوطة ننتظر الله حين يكون معنا ويطلع على النفس في مخرجها[١] وسبلها ومداخل الفهم ويعلمنا متى يجدر بنا السكوت[٢]، ومتى يليق رفع الصوت في الكلام والصلاة بصراخ[٣] بشرط أن يكون العقل شديداً نحو الله.

لأنه كما أن الجسد إذا فعل شيأً ما يميل إليه بكليته وينشغل به، وكل أعضائه يساعد بعضها بعضاً، كذلك فلتكن النفس بكليتها مسلَّمة للرب في الصلاة والمحبة ولا تسرع تائهة ولا تزعزعها مشاغل فكرها، بل تعمل ما بطاقتها من الاجتهاد الخالص، وجمع ذاتها مع أفكارها وملازمتها للمسيح بانتظار.

فمن ثم يشرق عليها ويعلّمها حق قانون الابتهال ويلهمها الصلاة النقية الروحانية اللايقة بالله والسجود الذي هو بالروح والحق[٤].

ولكن كما أن الذي يختار أن تكون صنعته التجارة ليس له طريقة واحدة لجلب المكسب، بل يضطر إلى أن يوفّر مكسبه ويكثره بأصناف الوسائل بحيث يعبر من تجرة إلى تجرة، ومن ثم يبادر إلى وسيلة جديدة والحاصل انه دائماً ينتقل مما لا فائدة فيه إلى ما فيه كثرة الريح، كذلك فلنزيّن نفوسنا بكثرة الأصناف والحرف، لكي نكسب أيضاً المكسب الحق العظيم، وهو الله كله ليعلّمنا كيف نصلي بالحق، لأن هكذا يحلّ الرب على نية النفس الصالحة فيقيمها إلى كرسي مجده، ويجلس

---

(١) مزمور ١٣٩ عدد ٢ و٣
(٢) مزمور ٣١ عدد ٧
(٣) عبرانيين ص ٥ عدد ٧ وهوشع ص ١٢ عدد ٤
(٤) يوحنا ص ٤ عدد ٢٤

ويستريح عليها، لأن هذا ما سمعناه من النبي حزقيال عن الحيوانات الروحانية الحيَّة التي كانت مربوطة في عربة الرب، لأنه يظهرها لنا كانها كلها أعين كالنفس التي تحمل الرب، كلاًّ بل هي التي يحملها الرب لأنها تصير كلها عيناً.

وكما ان المنزل الذي فيه ربّه هو مملو زينة وحسناً ولطافة، كذلك النفس التي معها ربها ومقيم بها تمتلي كلها جمالاً ونعمة، لأن لها الرب وكنوزه السموية ليقيم بها ويتولاَّها، ولكن الويل لذلك المنزل الخالي من ربه وليس مولاه قريباً منه إذ هو خراب ملان من القمامات والنجاسة، تسكن فيه الغيلان والجان على قول النبي(٥)، لأن البيت الخرب فيه القطط والكلاب وكل نجاسة، والويل لتلك النفس التي لا تنهض من سقطتها الباهظة، ولا تقبل رب البيت الصالح اعني المسيح الحال فيها، بل تقيم على نجاستها، وفي باطنها اوليك الذين يحركونها ويهزمونها إلى معاداة عريسها، ويشتهون أن يفسدوا آراها مضادَّة للمسيح.

ولكن إذا رأى الرب انها تجمع ذاتها بقدر طاقتها بحيث تطلبه دائماً وتنتظره ليلاً ونهاراً، وتصرخ إليهِ كما أمرها أن تصلي بلا فتور(٦)، فعند كل ضرورة ينتقم لها كما وعد بعد أن ينقيها من الفساد الذي كان فيها، وهو ذاته يقيمها لنفسه عروساً لا عيب فيها ولا غضن(٧).

فان صدَّقتَ صحة الاشيآ الأكيدة على ما هي عليه من الحقيقة فانظر

---

(٥) اشعيا ص ٣٤ عدد ١٤ و١٥
(٦) لوقا ص ١٨ عدد ١ و٧
(٧) افسس ص ٧ عدد ٢٦ و٢٧

إلى ذاتك جيداً ان كانت نفسك قد وجدت النور ليرشدها، والأكل والشرب الحقيقي الذي هو الرب، واما ان لم يكُ لك ذلك فاطلبه ليلاً ونهاراً لعلك تناله، ومن ثم إذا عاينت الشمس ففتش عن الشمس الحقيقية[٨] لأنك أعمى[٩]، وإذا رأيت النور فانظر إلى نفسك ان كنت قد وجدت النور الصحيح الصالح[١٠]، لأن كافة الاشيآ الظاهرة هي ظل للاشيا الحقانية التي تُفعل في النفس، لأنه يوجد انسان اخر من داخل غير الإنسان المنظور، وتوجد عيون أعماها الشيطان واذان اصمّها، وهذا الإنسان الباطن اتى المسيح ليصحّحه، فله المجد والقدرة مع الاب والروح القدس إلى الأبد امين.

♱

العظة الرابعة والثلاثون

في مجد المسيحيين الذي سوف يُوهَب لاجسادهم يوم القيامة ويستنيرون به مع النفس

كما أن اعين الجسد ترى كل شي عياناً، كذلك نفوس القديسين تنكشف لها محاسن اللاهوت الذي بعد أن يختلط به المسيحيون يصيرون حكماء، لكن ذلك المجد مخفي عن الأعين الجسدانية،

---

(٨) ملاخيا ص ٤ عدد ٢

(٩) اشعيا ص ٥٩ عدد ١٠

(١٠) يوحنا ص ١ عدد ٩

ومكشوف كشفاً واضحاً للنفس المومنة التي يقيمها الرب من موت الخطية كما أقام الأجساد المايتة، ويهيي لها سماءً جديدة وأرضاً جديدة وشمس البرّ[١]، وينعم عليها بكل شي من لاهوته، فهو العالم الصحيح والأرض ذات الحياة، والكرمة المثمرة، وخبز الحياة، وماء الحياة، كما هو مكتوب، أومن إني أرى خيرات الرب في أرض الاحيآ[٢]، وقيل أيضاً تشرق لخايفي الرب شمس البرّ والشفآ على أجنحتها[٣]، وقال الرب أيضاً انا هو كرمة الحق[٤]، وقال انا هو خبز الحياة[٥]، وقال كل مَن يشرب من الماء الذي أعطيه انا يكون فيه ينبوع ماء ينبع إلى الحياة الأبدية[٦].

لأن مجي الرب كان كله لأجل الإنسان الذي كان مُلقى ميتاً في قبر الظلمة والخطية والروح النجس[†] والقوات الخبيثة، لغاية ان يقيم الإنسان ويحييه في هذه الحياة الحاضرة، ويطهره من كل سواد، وينيره بنوره، ويلبسه ثوبه السموي أي ثوب الطبيعة الالهية، ولكن في قيامة الأجساد كل الذين نفوسهم كانت اُقيمت قبلاً وتمجدت تتمجَّد وقتئذٍ معها أجسادهم أيضاً سوية، وتستنير مع النفس التي اُنيرَت وتمجَّدت في هذا

---

(١) اشعيا ص ٥٤ عدد ١٩ روية ص ٢١ عدد ٢٣

(٢) مزمور ٢٧ عدد ١٥

(٣) ملاخيا ص ٤ عدد ٢

(٤) يوحنا ص ١٥ عدد ١

(٥) يوحنا ص ٦ عدد ٤٨

(٦) يوحنا ص ٤ عدد ١٤

† الظاهر هنا ان هذا الروح النجس هو عكس ذلك الروح الذي تُنَسب إليه القيامة من الأموات (طالع رومية ص ١ عدد ٤) المدعو هنا روح القداسة.

العالم الحاضر، لأن بيتهم وخيمتهم ومدينتهم الرب[٧]، ويأوون إلى بيت من السماء غير مصنوع بالايدي[٨]، وهو مجد النور الالهي بحيث يُصَيَّرون كبني النور، ولا يعاين بعضهم بعضاً بعين خبيثة لأن الخبث يُنقَّي منهم ولا يكون هناك ذكر ولا انثى ولا عبد ولا حرّ[٩]، لأن جميعهم يتغيرون إلى الطبيعة الالهية، ويصيرون ذوي احسان وامناء لله، ويخاطب هناك الاخ اخته بخطاب السلام بلا خَلَل ما، لأن كلا الجنسين جميعاً هم بالمسيح واحد متنعمين منه بنور شائع، وكلٌّ يعتني بالآخر، وفي وفاء هذا الاعتناء يضيئون بالحق في تامّل النور الحق الذي لا يوصف، وهكذا ينظر بعضهم بعضاً باشكال كثيرة وباصناف المجد الالهي، وكلٌّ يفرح فرحاً لا يوصف بمعاينة مجد بعضهم.

فانظر كيف فاقت اماجيد الله كل نطق وادراك لأنها اماجيد النور الفايق الوصف والأسرار الأبدية والخيرات التي لا تُحصَى.

لأنه كما أن الأشياء التي تصادف العين كنبات الأرض والزرع والزهور المختلفة لا يمكن لأحد أن يحدّ عددها، ولا يقدر أحد أن يحصي أو يعلم غنى الأرض كله، أو كما أنه لا يمكن لإنسان أن يدرك الحيوانات التي في البحر، أو عددها، أو الأجناس، أو اختلافها، أو مقدار مائهِ، أو اتساع قراره، أو كما انه لا يمكن معرفة الأشياء التي تطير في الجوّ، أو أصنافها، أو أجناسها، أو كما لا تُدرَك السماء، أو مقامات النجوم، أو سيرها، كذلك لا يمكن النطق أو التصريح بغنى المسيحيين الذي[١٠]

---

(٧) رويا ص ٢١ عدد ٢٢ وص ٢٢ عدد ٥

(٨) ثاني قورنثية ص ٥ عدد ١ و٢

(٩) غلاطية ص ٣ عدد ٢٨

(١٠) افسس ص ١ عدد ٧ و٨

لا قياس له ولا نهاية بل يحوز كل ادراك، لأنه ان كانت هذه الحيوانات لا حد لها ولا تُدرك من البشر، فكم بالحري ذلك الذي خلقها واعدَّها.

فيجب على كل واحد إذاً أن يفرح جداً ويُسَرّ بأن الغنى والميراث المعدّ للمسيحيين هو هكذا عظيم حتى لا يقدر أحد أن ينطق أو يصرَّح به فالواجب عليه إذاً أن يأتي إلى جهاد المسيحيين بكل همّة وتواضع عقل فينال ذلك الغنى، لأن ميراث المسيحيين ونصيبهم هو الله نفسه، لأن المرتل قال الرب نصيب ميراثي وكاسي، فالمجد لذلك الذي يعطي نفسه ويمزج طبيعته القدسيّة بنفوس القديسين إلى الأبد امين.

♰

العظة الخامسة والثلاثون

في السبت القديم والجديد

ان الله أمر في ظل الناموس الذي اعطاه لموسى[١] بان يستريح كل إنسان يوم السبت ولا يعمل عملاً، الاَّ ان ذلك كان رمزاً وظلاً للسبت الحقيقي الذي يعطيه الرب للنفس، لأن النفس التي تُحسب اهلاً لأن تُطلقَ من الأفكار النجسة الرجسة تحفظ السبت الحقيقي وتتمتع بالراحة الحقانية لكونها مُطلقة ومعتوقة من جميع أفعال الظلمة، لأن هناك في السبت الرمزي ولو انهم كانوا يستريحون باجسادهم، كانت نفوسهم لم

---

(١) عبرانيين ص ١٠ عدد ١

تزل مقيدة بالخطية والخبث، واما هذا السبت الصحيح فهو راحة حقيقة للنفس المحلولة المطهرة من غوايات ابليس، المتنعمة براحة الرب وفرحه الابدي.

لأنه كما وصّى يومئذٍ ان الحيوانات أيضاً يسترحن في السبت(٢)، وان الثور لا يوضع عليه النير لأجل عمل ضروري، ولا ان الحمار يحمل أثقالاً (لأن هذه البهائم ذاتها كانت تبطل من العمل العسر)، كذلك الرب عند مجيئهِ انعم بالسبت الحقيقي والأبدي، واراح النفس التي كانت موسوقة وثقيلاً وزرُها باحمال الاثم والأفكار النجسة، وسعت بفعل الخبث عن ضرورة فقط، لكونها كانت مستعبدة لمعلمين قاسين(٣)، وأراحها من احمالها الثقيلة وهي أفكارها الباطلة النجسة، ونزع منها النير الشاقّ وهو نير أفعال الخبث، وأراحها حين كانت متعبة بأفكار النجاسة.

لأن الرب دعا الانسان إلى الراحة بهذا النص، تعالوا إليَّ أيها المُتعَبون والثقيلوا الاحمال وانا اريحكم(٤) وكل النفوس التي تطيع هذه الدعوة وتاتي إليه يريحها من هذه الأفكار الثقيلة الباهظة النجسة، وتُطلَق من كل الاثم بحيث تحفظ السبت الصحيح المبهج المقدس، وتعيّد عيد الروح القدس عيد الفرح والحبور الذي لا يوصف، فتكون خدمتها نقية مقبولة لدى الله من قلب طاهر، هذا هو السبت الصحيح المقدس.

فسبيلنا إذاً ان نتوسل إلى الله حتى ندخل هذه الراحة ونُطلَق من

---

(٢) تثنية ص ٥ عد ١٤

(٣) اشعيا ص ٢٦ عدد ١٣

(٤) متى ص ٦ عدد ٢٨

الأفكار الخبيثة الباطلة، ليمكننا أن نعبد الله من قلب نقيّ وان نعيّد عيد الروح القدس فلذلك طوبى للإنسان الذي دخل تلك الراحة، والمجد لمَن ارتضى بمعاملة خلائقه، الاب والابن والروح القدس إلى الأبد امين.

☩

العظة السادسة والثلاثون

في قيامتي النفوس والأجساد واختلاف مجد الذين يقومون ثانياً

ان قيامة النفوس المايتة(١) هي في هذه الحياة الحاضرة، واما قيامة الأجساد فهي في ذلك اليوم، ولكن كما أن النجوم الثابتة في السماء ليست جميعها متساوية(٢)، بل بعضها يخالف بعضاً في اللمعان والكبر، كذلك بين الروحانيين يتقدّم كلّ منهم في الروح بمقدار الايمان، وبعضهم اغني من بعض والكتاب المقدس يقول، ان الذي ينطق بلسان غير مفهوم انما يتكلم بروح الله(٣)، فالذي يكلم الله هو روحاني، واما الذي يتنبّأ فيصلح جماعة الله(٤)، وهذا له فيض النعمة، واما الاخر فانه يصلح نفسه فقط، وهذا يصلح نفسه وقريبه.

ولكن هذا كحبة حنطة تُزرَع في الأرض، وهذه الحبة عينها من قلب واحد تخرج حبوباً كثيرة مختلفة، وكذلك بين سنابل القمح بعض منها

---

(١) افسس ص ٢ عدد ٥ و٦

(٢) اول قورنثية ص ١٥ عدد ٤١

(٣) أول قورنثية ص ١٤ عدد ٢

(٤) أول قورنثية ص ١٤ عدد ٥

طويل وبعض قصير، ولكن جميعها تجمع في بيدر واحد، وهري واحد، ومع اختلافها في ذاتها يُصنع منها خبز واحد(٥).

أو كما يكون في إحدى المدن جموع أناس بعضهم أطفال وبعضهم رجال كمَّل أو فتيان، ولكن الجميع يشربون ماء من عين واحدة، ويأكلون خبزاً واحداً، ويتنفسون هواءً واحداً، أو كحال الأنوار احدها له فرعان واخر سبعة، ولكن حيث يكون النور وافراً يختلف ضياؤه عن غيره كثيراً، كذلك ساير الذين هم في النار(٦) والنور، لا يمكنهم ان يكونوا في الظلمة، بل بينهم فرق عظيم.

وكما إذا كان لاب ابنان احدهما طفل والاخر فتىً فيبعثه حقاً إلى المدن والبلاد الغريبة، ولكنه يُبقِي عنده الطفل تحت رعايته لعدم استطاعته أن يعمل شياً، والمجد لله امين.

✠

العظة السابعة والثلاثون

في الفردوس والناموس الروحاني

كما أننا من الأعمال الظاهرة نعلم المقاصد الخفية، كذلك مما يحدث في النفس نفهم نص الكتاب المقدس، ولكن لا يعلم جميع ذلك الاَّ الذين نالوا الحرية التامة من الاهوآ الدنية بواسطة التجارب، لأنه كما أن الكتاب المقدس يذكر الاشيآ المستقبلة كذلك يذكر مصالح

---

(٥) اول قورنثية ص ١٠ عدد ١٧

(٦) يوحنا ص ٥ عدد ٣٥

النفس، لأن جميع الأشيآ المزمعة هي مطوية فيها طياً روحانيا، وكل مَن شاركها فقد شارك هذه وتلك، ومن ثم إذا سمعت الكتاب المقدس يذكر الفردوس وادم والحية، فتطلَّع في قلبك بتامّل بدون ثقل شهواني تجد ان الفردوس هو حقاً كلمة الله، وان التنعم الذي فيه هو شركة الروح القدس، واما الحية فهي لذة الشهوة التي تتلوّى وتدب علينا لكونها مرباة معنا، وتغوينا على أن نذوق من الشجرة يعني من هموم هذه الدنيا، وتقتلنا بالمعصية لأنك لا تهتمن للغد[١]، والله هو الناطق بهذه الأقوال وهي في اليوم الذي تاكلان من الشجرة تموتان موتاً[٢]، وبهذا القول انظروا لئلا تثقل قلوبكم من السكر[٣]، لأن الظلمة التي تنشا من الهم والفسق هي موت النفس، إذ تطرحها من الكلمة الروحانية وتجردها من الفضيلة الالهية، فلذلك يطردنا الرب عن هذه الشجرة بقوله، لا تهتموا بشي الاَّ بالملكوت[٤]، لأن جميع الذين دخلوا فردوس الله[٥] وحفظوا هذه الوصية[٦] لا يطرحون خارجاً، بل بقدر ابتعادهم من الأرضي تمتعوا بالروحاني ماية ضعف عوضه، إذ تمنحهم النعمة عزاء بليغا متساويا.

فلنصلِ إذاً لكي نحصل على ذلك حتى إذا استمرينا في كلمة الرب نتمتع بمسرّات الروح على الأرض وفي الاخرة، لأنه كما أن ادم طُرد

---

(١) متى ص ٦ عدد ٣٤
(٢) تكوين ص ٢ عدد ١٧
(٣) لوقا ص ٢١ عدد ٣٤
(٤) قابل فيلبسيوس ص ٤ عدد ٦. متى ص ٦ عدد ٣٣
(٥) روية ص ٢ عدد ٧ وص ٢٢ عدد ١٤
(٦) روية ص ٢٢ عدد ١٤

لذوقه من شجرة المعرفة، كذلك الذين يستطعمون الأرضيات لا يستطيعون أن يستمروا في كلمة المسيح(٧)، كما هو مكتوب ان محبة العالم هي عداوة لله(٨)، ولهذا الباعث يوصّي الكتاب المقدس كل واحد(٩) بأن يحفظ قلبه كل التحفظ، حتى إذا حفظ الإنسان الكلمة في ذلك كفردوس له يتنعم بالنعمة، بحيث لا يميل اذنه للحية المطوية من داخل، الموسوسة له دائماً الاشيا الباعثة على اللذة، التي تولّد بها الرجز الذي يقتل الاخوة(١٠) والنفس التي تتّصف به تموت، بل يصغي إلى الله عند اعتنايه الخصوصي بالايمان والرجآ، الذين تتولد منهما المحبة حبيبة الله والإنسان الجالبة الحياة الأبدية(١١).

فهذا الفردوس دخله نوح بحفظه الوصية واجرايها وبالمحبة افتُدي من الرجز، وابرهيم يحفظه هذا الفردوس سمع صوت الله، وبحفظ ذلك شمل المجد طلعة موسى، وكذلك كان ما صنعه داود بحفظه هذا(١٢)، ومن ثم تسلط على أعدائه كلاًّ بل شاول أيضا كان ناجحاً مدة تحفّظه على قلبه، ولكنه لما اخطا في الاخر ضل، كان كلمة الرب تاتي لكل احد بقياس وبمقدار، والإنسان بقدر ما يصبر يَنتصر وبقدر ما يَحْفَظ يُحفَظ.

---

(٧) فيلبسيوس ص ٣ عدد ١٩

(٨) يعقوب ص ٤ عدد ٤

(٩) امثال ص ٤ عدد ٢٣

(١٠) قابل متى ص ٥ عدد ٢١ و٢٢ أول يوحنا ص ٣ عدد ١٥ يعقوب ص ١ عدد ١٥ و٢٠ يوحنا ص ٨ عدد ٤٤

(١١) قابل لوقا ص ١٠ عدد ٢٥ رومية ص ١٣ عدد ١٠

(١٢) مزمور ١٨ عدد ٢١ الخ

ولهذا السبب كل جماعة الانبيآ الأطهار والرسل والشهدآ حفظوا الكلمة في قلوبهم[١٣] ولم يشتهوا شياً سوى هجر الأرضيات، والثبوت في وصية الروح القدس، واختيارهم محبةَ الله الموصاة بروحه، وخيرَ الجميع، ليس بالكلمة فقط[١٤] أو المعرفة بل بالكلمة والعمل والممارسة، مُفضّلين الفَقر على الغِنى، والعار على الفخر، والشقا على اللذة، والعلة على التنعم، ومن ثم صادفوا محبة عوض الرجز، لأنهم لمَّا ابغضوا لذات هذه الحياة احبوا الذين يشاون ملاشاتها كانهم فاعلون معهم، لأن ذلك هو مرغوبهم ان يتجنبوا معرفة الخير والشر[١٥]، لأنهم لم ينكروا الخيّرين ولم يشتكوا الشريرين إذ كانوا يعتدون الكل رسلاً لتدابير ربهم، ولذلك كانوا يراعون الجميع بالمحبة، لأنهم لما سمعوا قول الرب اغفروا يغفر لكم[١٦] كانوا يتخذون المسيئين إليهم كالمتفضلين عليهم، وكالمنونين لهم لأجل اعطائهم فرصة الغفران، ولما سمعوا ثانياً ان كل ما تريدون ان يفعله الناس بكم افعلوه انتم بهم[١٧] كانوا حينئذ يحبون الصالحين بموجب نيتهم، لأنهم لما رذلوا برّهم وطلبوا برّ الله وجدوا ان المحبة ذاتها كانت مخفية فيه طبعاً[١٨]، لأنه حين أمر الرب أوامر عديدة بالمحبة وصَّى بطلب برّ الله لأنه علم انه هو امّ المحبة[١٩] لأنه ليس طريق أخرى للخلاص الا بوسيلة قريبنا كما امر المسيح قايلاً،

---

(١٣) مزمور ١١٩ عدد ١١ و٦٧ لوقا ص ٢ عدد ٥١

(١٤) أول يوحنا ص ٣ عدد ١٨

(١٥) تكوين ص ٢ عدد ١٧

(١٦) لوقا ص ٦ عدد ٣٧

(١٧) متى ص ٧ عدد ١٢

(١٨) رومية ص ١٣ عدد ١٠

(١٩) حكمة يشوع ص ٢٤ عدد ١٨

اغفروا يغفر لكم[٢٠]، هذا هو الناموس الروحاني المسطور في القلوب الأمينة، وهو ملء الناموس الأول، لأنه قال لم اتِ لابطل الناموس بل لاكمله[٢١]، لكن تعلموا كيف كمل، فالناموس الأول كان يشجب المُوذَي كثيراً لعزّة داعي الذي اخطا، قال الرسول، لأنك بما تدين غيرك به تشجب نفسك[٢٢] بل في كل ما يَغفر يُغفر له[٢٣] لأن الناموس قال في وسط الدينونة دينونة ولكن في وسط المغفرة مغفرة، لأن كمال الناموس الغفران.

وانما سميناه الناموس الأول ليس لان المراد ان الله اعطي الناس ناموسين إذ لم يعطهم الاّ واحداً روحانياً نظراً لطبيعته، ولكنه من جهة المجازاة يجلب على كل أحد جزاء عادلاً، الغفران للذي يغفر والسخط لحامل السخط[٢٤]، لأن صاحب الزبور قال، مع الزكي تكون زكياً ومع المعوج تتعوج[٢٥]، ولهذا السبب الذين يكملون الناموس بالروح وبمقدار ذلك ينالون النعمة يكونون قد أحبوا الذين احسنوا إليهم فقط، بل والذين ونَّبوهم واضطهدوهم أيضا إذ قبلوا المحبة الروحانية كجزاء لأفعالهم الصالحة، ولست أعني بالصالحة انهم غفروا السيئات، بل لكونهم صنعوا خيراً لنفوس الذين اسآوا إليهم، لأنهم هكذا قدموهم لله كانهم هم الوسائل التي نالوا بها البركة كما قيل في

---

(٢٠) لوقا ص ٦ عدد ٣٧
(٢١) متى ص ٥ عدد ٢٧
(٢٢) رومية ص ٢ عد ١ و٢
(٢٣) متى ص ٦ عدد ١٤
(٢٤) رومية ص ٢ عدد ٨
(٢٥) مزمور ١٨ عدد ٢٦

الانجيل، طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل سوء كاذبين من أجلي[٢٦].

ولكنهم تعلَّموا هذا الفكر من الناموس الروحاني، لأنهم بينما كانوا صابرين باناة وصاينين عقلهم الوديع[٢٧] راي الرب صبر قلبهم لما كانوا مُعنّين بالحرب وعدم فتور محبتهم، فنقض لهم حائط الحظير المتوسط[٢٨]، فالقوا عنهم البغض بكليتهِ والمحبة التي كانت لهم لم تكن بعد مغصوبة، بل كانت كانها مُعِيْنة، لأن الرب قيَّد أخيراً[٢٩] السيف المضطرب الذي يحرك الأفكار، ودخلوا هم من داخل الحجاب حيث سبق فدخل الرب بدلنا[٣٠] وتمتعوا بثمار الروح بابتهاج، وبعد أن تامَّلوا الاشيا المستقبلة بثبات قلب، لا كما في المِرآة أو بالشبه على قول الرسول[٣١]، نطقوا بالاشيا التي لم ترها عين ولم تسمع بها اذن ولم تخطر على قلب بشر التي أعدها الله للذين يحبونه[٣٢]، الاّ اني اسالكم هذا السوال الغريب.

سوال ان كانت لم تخطر على قلب بشر فكيف توصلتم انتم إلى معرفتها، والحال انكم قد قرأتم في الابركسيس قائلين، اننا اناس مائتون مثلكم[٣٣].

---

(٢٦) متى ص ٥ عدد ١١
(٢٧) حكمة يشوع ص ١٠ عدد ٢٨
(٢٨) افسس ص ٢ عدد ١٤
(٢٩) قابل تكوين ص ٣ عد ٢٤ أول الأيام ص ٢١ عدد ٢٧ عبرانيين ص ٤ عدد ١٢
(٣٠) عبرانيين ص ٦ عدد ١٩ و٢٠
(٣١) اول قورنثية ص ١٣ عد ١٢
(٣٢) أول قورنثية ص ٢ عدد ٩
(٣٣) ابركسيس ص ١٤ عدد ١٥

جواب اسمَعْ جواب مار بولس عن هذه المواد بقوله، فامّا نحن فاعلن الله لنا ذلك بروحه، لأن الروح يفحص كل شي حتى أعماق الله أيضاً[٣٤]، ولكن لكيلا يظن أحد أن الروح مُنح لهم بسبب كونهم رسلاً، واننا نحن لا نستطيع أن نناله طبعاً طلب في مكان اخر ان الله يعطيكم كغنى مجده حتى تتايدوا بالقوة بروحه في البشر الباطن ليحلّ المسيح بالايمان في قلوبكم[٣٥]، وقال أيضاً فامَّأ الرب فهو روح وحيث يكون روح الرب فهنالك الحرية[٣٦] وقال، واما ان كان أحد ليس فيه روح المسيح فذلك ليس من حزبه[٣٧].

فلنصلّ نحن إذاً بكامل ثقة الايمان والحسّ لننال روحه القدوس، وندخل إلى حيث خرجنا منه، وان يُطْرَد عنا في باقي زماننا اب السخط القاتل[٣٨] أي الحية، ذلك المغوي ذو المجد الباطل، أي روح الهمّ والفساد، حتى إذا ثبتنا في الايمان نحفظ وصايا الرب، وننمو به إلى رجل كامل إلى قدر قامتنا[٣٩] حتى لا يعود يتسلط علينا خداع هذا العالم الحاضر، بل نكون في ملء ثقة الروح، ولا نكون في اليأس، لأن نعمة الله ترتضى بقبول الخاطئين التائبين لأن الذي يُعطَى في سبيل النعمة لا يقاس بمثيل من ضعفه السابق، والاَّ لم تكن النعمة نعمةً، بل إذا امنا بالله القدير على كل شيء، فلناتهِ بقلب سليم منفصل عن الاشغال فيعطينا شركة الروح بالايمان لا بمماثلة صنائع الطبيعة، لأنه

(٣٤) اول قورنثية ص ٢ عدد ١٠
(٣٥) افسس ص ٣ عدد ١٦ و١٧
(٣٦) ثاني قورنثية ص ٣ عدد ١٧
(٣٧) رومية ص ٨ عدد ٩
(٣٨) يوحنا ص ٨ عدد ٤٤
(٣٩) افسس ص ٤ عدد ١٣

قيل انكم أُوتيتم الروح من سماع الايمان لا من أعمال الناموس[٤٠].

سوال قد قلت ان جميع الاشيا مخفية في النفس خفاءً روحانياً، فما هو إذاً معنى هذا الشاهد، احب أن أنطق في الكنيسة بخمس كلمات بفهمي.

جواب الكنيسة هنا على نوعين وهما جماعة المومنين أو اتحادها مع النفس، فإذا اُخذت بالمعنى الروحاني بشخص انسان مفرد يكون معنى الكنيسة حينئذٍ جسده كله، ولكن الخمس كلمات هي الفضائل التي تحتوي الإنسان كله وتبنيه[٤١] ولو كان مقسماً على أنواع، لأنه كما أن الذي يتكلم في الرب بخمس كلمات[٤٢] حوى كل الحكمة، كذلك الذي يتبع الرب بواسطة الخمس فضائل يزيد في التقوى كثيراً، لأن الخمس تحتوي على الكل، الاولى الصلاة، وبعدها العفة والصدقة والفقر والصبر، فهذه إذا فُعلت عن رغبة واختيار فهي الكلمات التي ينطق بها الرب ويسمعها القلب لأن الرب يفعلها، وحينئذٍ يتكلم الروح كلاماً عقلياً، وقدر ما يشاوه القلب يصنعه جهراً، وهذه الفضائل بمقدار اشتمالها على الكل ينشي بعضها بعضاً، لأنه إذا نقصت الاولى انتهى الكل، وكذلك مع غياب الثانية يغيب الباقي وهلم جراً، لأنه كيف يقدر ان يصلي الإنسان بدون فاعلية الروح، والكتاب المقدس يشهد

---

(٤٠) غلاطية ص ٣ عدد ٢

(٤١) قابل الجامعة ص ١٢ عدد ١٣ باول قورنثيه ص ٣ عدد ٩

(٤٢) اول قورنثية ص ٤ عدد ١٩

لي بقوله، لا يقدر أحد أن يقول ان يسوع ربٌّ الاَّ بروح القدس[٤٣]، ولكن كيف يستمر الإنسان في العفة بدون الصلاة وبدون معونة، ومن هو غير عفيف في كل شيء يشفق على الجائع أو المضرور، والذي لا يشفق لا يتحمل الفقر باختياره، ولكن الغضب هو اخ الحرص سوآ كان صاحبه ذا مال أو عارياً عنه، واما النفس الفاضلة فهي مبنية ملتصقة بالكنيسة، ليس لكونها فعلت شياً بل لكونها، اشتهيه، لأنه ليس فعل الإنسان الذي ينجيه بل ذلك الذي منحه القدرة، ولذلك ان كان على الإنسان علامات الرب[٤٤] فلا يظن بها ظناً عظيماً ولو فعل بها، بل بما احب وجدّ في اجهاد نفسه، فلا تظنوا إذاً في أي وقت كان انكم سبقتم الرب بفضيلتكم، لأن على قول الرسول هو الذي يعمل فيكم أن تريدوا وان تكملوا حسب الرضوان[٤٥].

سوال فما الذي يوصي به الكتاب المقدس ان يفعله الإنسان.

جواب قد قلنا آنفاً ان الإنسان له استعداد من طبيعته، فهذا هو الذي يطلبه الكتاب المقدس، فهو يوصيك اولاً بالفهم، وبعد الفهم أن تحب وتجهد إرادتك، واما ان العقل يتمرن أو يتحمل التعب، أو يتم صنعاً ما، فهذا تعطيه نعمة الله لمَن يشاوهُ إذا كان ذا ايمان، فارادة الإنسان إذاً هي كمعين طبيعي، ولكن إذا ما كانت الإرادة حاضرة[٤٦] فالله نفسه لا يفعل شياً ولو كانت هي غير قادرة بسبب قوتها

---

(٤٣) أول قورنثية ص ١٢ عدد ٣

(٤٤) غلاطية ص ٦ عدد ١٧

(٤٥) فيلبسيوس ص ٢ عدد ١٣

(٤٦) رومية ص ٧ عدد ١٨

الخصوصية فتمام صنيع الروح إذاً يستند بكليتهِ على إرادة الإنسان، وكذلك ان وجّهنا إليه إرادتنا بالكلية فانه ينسب الصنيع كله إلينا فانه اله عجيب في كل الاشيآ ويفوق كل إدراك.

ولكننا نحن البشر نجدّ في اعلان بعض صنايعهِ مستندين على الكتاب المقدس بل متهذّبين منه لأنه قال مَن عرف ضمير الرب(٤٧) ولكنه هو نفسه قال كم مرة أردت أن أجمع بنيكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدي(٤٨) فمن ثم نومن انه هو الذي يجمعنا معاً ولا يطلب منا شيأً سوى إرادتنا ولكن أي إثبات يوجد لتلك الارادة الاَّ التعب الاختياري.

لأنه كما أن الحديد إذا نَشَرَ وقَسَمَ أو حُرِث به أو غُرِس تصدر من تقادمه فائدة ما مع ان الذي يحركهُ ويجذبُه اخر، وإذا قدم يلقي في النار فيخرج جديداً كذلك الإنسان مع انه يُغصَب ويتعب جداً في فعل الخير الاَّ ان الرب هو الذي يفعل فيهِ خفياً، وفي وسط تعبهِ وضيقه كله يعزي قلبه ويجدده(٤٩) كما قال النبي هل يفتخر الفاس بغير مَن يقطع به، ام يشرف المنشار بغير من يجذبه(٥٠)، كذلك هو الحال في الشر إذا كان الإنسان مذعناً ومستعداً فحينئذٍ يحركه ابليس ويسنّه كما يسنّ اللصّ سيفهُ، ولكننا شبهنا القلب بالحديد لقلّة شعوره بالأمور كما

---

(٤٧) رومية ص ١١ عدد ٤٣ أول قورنثية ص ٢ عدد ١٦ اشعيا ص ٤٠ عدد ١٣ سفر الحكمة ص ٩ عدد ١٣ و١٧

(٤٨) متى ص ٢٣ عدد ٣٧

(٤٩) اشعيا ص ٤٠ عدد ٢٩ الى ٣١

(٥٠) اشعيا ص ١٠ عدد ١٥

يجب ولشدة قساوته، ولكنه لا يجدر بنا قط أن نجهل ذلك الذي هو مُمسك بنا كاننا بالحق حديد لا حسَّ به (لأننا لم ننتقل سريعاً من ذكر الفلاح إلى أفكار الحرب) بل يجب علينا كالثور والحمار أن نعرف ذلك الذي يسوقنا ويرشدنا في الطريق بتأثيره في عقلنا، لأنه قال عرف الثور قانيه والحمار مذود مولاه، فامَّا اسرائيل فلم يعرفني(٥١).

فلنصلّ إذاً لله لننال معرفته ونتهذَّب في الناموس الروحاني لحفظ وصاياه المقدسة فنمجد الاب والابن والروح القدس إلى الأبد امين.

♱

العظة الثامنة والثلاثون

في أن تمييز المسيحيين بالحق وكيفية معرفتهم يقتضي له دقة وفهم عظيم

ان كثيرين يظهرون انهم أبرار فيُحسبون مسيحيين ولكن يختصّ بذوي المعرفة والخبرة أن يجرّبوا ويروا ان كان هولاء عليهم بالحقيقة علامة الملك وصورته(١)، أو ان كان صنيع بعض ذوي الحِرَف عليه طبع زور فيمدحه ذوو الحرف ويفخموه، واما ان لم توجد اناسٌ ذوو معرفة فحينئذٍ لا يوجد اثبات على المزورين، لكونهم هم أيضاً لابسين زيّ النساك أو المسيحيين† بل رسل الزور أيضاً تالموا من أجل

---

(٥١) اشعيا ص ١ عدد ٣

(١) قابل يوحنا ص ١٣ عدد ٣٥ يعقوب ص ٢ عدد ٨ قضاة ص ٨ عدد ١٨

† الناسك والمسيحي لا بد أن يكونا لفظين مشتركين في زمان الاضطهاد. فانه كان أول باعث لهذه الزهديّات. واما الان فقد تغير الحال.

المسيح[٢]، وبشروا بملكوت السموات[٣] ولهذا الموجب قال الرسول، في الأخطار أوفر وفي الضربات غاية ما يكون، وفي السجون أكثر[٤] مريداً بذلك أن يُرِى انه تالَّم أكثر منهم.

ثم ان الذهب يسهل وجوده وامّا الدرر والحجارة الثمينة التي يتركب منها الاكليل الملوكي فنادر وجودها، لأنه مراراً كثيرة يوجد فيها بعضٌ لا يصلح، كذلك المسيحيون هم مصوغون اكليلاً للمسيح[٥] لكي تكون تلك النفوس مشتركة مع القديسين، فالمجد لذلك الذي احب نفسنا هذه وتالَّم من أجلها واقامها من بين الأموات، ولكن كما أن البُرقع اُلقي على وجه موسى[٦] لكيلا يرى الشعب منظره، كذلك في هذا الزمان الحاضر قد يُلقي على قلبك برقع حتى لا تقدر أن تعاين مجد الله[٧] ولكن إذا نزع هذا فحينئذ يظهر هو ويرى نفسه للمسيحيين ولمحبيه وللذين يطلبونه بالحق، كما قال اظهر لهُ نفسي وعنده اصنع منزلي[٨].

فلنجتهد إذاً حسب امكاننا في أن نأتي إلى المسيح الذي لا يكذب حتى ننال الوعد والميثاق الجديد[٩] الذي جدّده بصليبه وموته بعد أن

---

(٢) أول قورنثية ص ١٣ عدد ٣

(٣) فيلبسيوس ص ١ عدد ١٥ و١٦

(٤) ثاني قورنثية ص ١١ عدد ٢٣ ابركسيس ص ٩ عدد ١٦

(٥) قابل اشعيا ص ٦٢ عدد ٣ زخريا ص ٩ عدد ١٦

(٦) خروج ص ٣٤ عدد ٣٣ و٣٥

(٧) ثاني قورنثية ص ٣ عدد ١٦ و١٨

(٨) يوحنا ص ٤ عدد ٢١ و٢٣

(٩) عبرانيين ص ٨ عدد ١٠

كسر أبواب الجحيم والموت واخرج النفوس الأمينة واعطاهم المعزّى من داخل وردَّهم إلى ملكوته.

فمن ثم فلنملك أيضاً في أورشليم مدينته في الكنيسة التي في السماء في جماعة الملئكة المقدسين واما الأخوة الذين طال تمرّنهم واختبارهم فليُعِيْنوا قليلي الخبرة ويرحموهم، لأن بعضاً صانوا نفوسهم وفعلت فيهم النعمة كثيراً فكانت اعضاوهم مقدسة، حتى انهم حسبوا ان الشهوة لا يمكن أن تحلّ حيث تكون الديانة المسيحية، بل احرزوا عقلاً عفيفاً صاحياً، والإنسان الباطن يكون من وجوه اخر مشغولاً باشياء سموية الهية، حتى يُخَال مطلقاً ان مثل هذا الشخص ادراك غرف الكمال، حتى إذا ظن انه وصل إلى المينا الآمنة ثارت عليه أمواج العواص فرجع في وسط اليّم، وحُمل إلى حيث البحر والسماء والموت مستعد له، فهكذا لمَّا دخلت الخطية هيجت كل أنواع الشهوة(١٠)، ولكن الأشخاص الذين اُنعم عليهم خُوّلوا درجة ما من النعمة ونالوا رَشَّةً قليلة مثلاً من عمق البحر العظيم يجدون هذا الشي كل ساعة وكل يوم صنعاً عجيباً، حتى ان الذي تحت سطوتهِ يندهل بسبب الفعل الفجائي الغريب الالهي، ويندهش عند ما يظن كيفيه ما انخدع به، لأن النعمة المستقبلة تنيره وترشده وتهديه وتصيره صالحاً، إذ يكون من كل الوجوه الهياً سموياً، حتى انه بالنسبة إليه تحسب الملوك والروساء وأهل الحكمة والقيمة اراذل مهانين، ولكن بعد ساعة يتغيَّر الحال، حتى انه يظن نفسه في الحقيقة خاطياً أكبر من سائر البشر، وفي ساعة أخرى يَرَى نفسه كملك

---

(١٠) رومية ص ٧ عدد ٨

ذي عظمة سامية يفوق طبقة العامَّة، أو صاحباً قوياً للملك، وفي ساعة أخرى يرى نفسه ضعيفاً فقيراً.

وبعد ذلك يقع العقل في شدة أفكار من قبيل انه كيف يكون في برهة على نوع وفي برهة أخرى على نوع آخر والسبب هو كون ابليس عدوّ الخير مطلقاً يوسوس للذين يتبعون الفضيلة باشياً خبيثة، ويسعى بكل طاقته في أن يغلبهم لأن هذه هي مشغلته.

ولكن لا تختضع له بل اصنع البرّ الذي يتم في الإنسان الباطن حيث وُضع كرسي المسيح ومقدسه الطاهر، حتى ان شهادة الضمير تفتخر بصليب المسيح(١١)، الذي طهر ضميرك من الأفعال الميتة لكي تسجد لله بالروح وتعرف مَن تسجد له على موجب قول مَن قال، نحن نعلم لمَن نسجد(١٢)، وليكن الله متولّيك وهاديك، ولتكن لنفسك شريكة مع المسيح(١٣) كما يكون للعروس مع العريس فقد قال الرسول، لأن هذا سرٌّ عظيم، وانما أقول هذا القول عن المسيح والنفس العديمة الدنس(١٤)، فلهُ المجد إلى الأبد امين



العظة التاسعَة والثلاثون

في سبب اعطاء الله لنا الكتب المقدسة

كما أن الملك إذا كتب رسائل للذين يشاء ان ينعم عليهم بعطايا

---

(١١) غلاطية ص ٦ عدد ١٤

(١٢) يوحنا ص ٤ عدد ٢٢

(١٣) أول يوحنا ص ١ عدد ٣

(١٤) افسس ص ٥ عدد ٣٢

ومواهب مخصوصة يقول لهم بادروا إليَّ جميعكم لتنالوا مني نعماً ملوكية، فان لم يذهبوا ويأخذوها لا تفيدهم قراة الرسائل شياً، بل يستحقون الموت لعدم إرادتهم للذهاب ولقبول الكرامة من يد الملك، كذلك الله الملك[١] ارسل كتابه الالهي ورسائله[٢] عانياً بها انه بالدعا له والايمان به يسالون وينالون الموهبة الالهية من جوهر لاهوته، لأنه مكتوب حتى نكون شركآ في الطبع الالهي[٣]، واما ان لم يأتهِ الإنسان ويسال فَيَنَل فلا يستفيد شياً من قراة الكتب المقدسة[٤] بل يكون في خطر الموت[٥] لكونه لم يرد قبول موهبة الحياة من الملك السموي التي بدونها لا يمكن نوال الحياة المخلدة التي هي المسيح نفسه[٦] فله المجد إلى الأبد امين.

✠

العظة الأربَعُون

في أن جميع الفضائل مرتبط بعضها ببعض وكذا هي الرذائل كالسلسلة التي حلقاتها متعلق بعضها ببعض

امّا من جهة الممارسة الخارجية وايّ نوع من الفهم هو أعظم وأفضل

---

(١) مزمور ٩٣ عدد ١ مزمور ٤٥ عدد ١ و٦ و١٠
(٢) روية ص ١ عدد ٤
(٣) ثاني بطرس ص ١ عدد ٤
(٤) يوحنا ص ٥ عدد ٤٠
(٥) يوحنا ص ١٢ عدد ٤٨
(٦) يوحنا ص ١١ عدد ٢٥

فينبغي ايها الأحبة أن تعلموا ان جميع الفضائل متعلّق بعضها ببعض، لأنها سلسلة روحانية فيها حلقة متعلقة بالاخرى، فالصلاة متعلقة بالمحبة، والمحبة بالفرح، والفرح بالوداعة، والوداعة بالتواضع، والتواضع بالخدمة، والخدمة بالرجآ، والرجآ بالايمان والايمان بالسماع، والسماع بالسداجة، وكذلك من الجهة الأخرى الرذائل متعلق بعضها ببعض فالبغض متعلق بالغضب، والغضب بالكبريآ، والكبريا بالمجد الباطل، والمجد الباطل بالكفر، والكفر بقساوة القلب، وقساوة القلب بالتهامل والتهامل بالكسل، والكسل بالتغافل، والتغافل بقلة الصبر، وقلة الصبر بحب اللذات، وباقي اعضآ الخطية كلها متعلق بعضها ببعض، وكذلك من جهة الخير الفضائل متعلق بعضها ببعض.

ولكن راس كل قصد حسن، وتاج جميع النظامات الجيدة، هو الادمان على الصلاة، التي بواسطتها ننال باقي الفضائل كل يوم ان طلبناها من الله، لأن من ثم تبتدئ في الذين حُسِبوا مستحقّين شركة قداسة الله، وعنايته الروحانية أيضاً، وَصِلة ميل العقل إلى الرب بمحبة تفوق الوصف، لأن الذي يغصب نفسه كل يوم على الادمان على الصلاة وعلى المحبة الالهية، وعلى شوق متقد يتقد بمحبة روحانية لله وينال نعمة كمال الروح المقدس.

سوال حيث ان بعضاً يبيعون خيراتهم ويعتقون عبيدهم ويحفظون الوصايا، ولكنهم لا يسعون في نوال الروح في هذا العالم، فهل الذين يسيرون هذه السيرة لا يذهبون إلى ملكوت السماء.

جواب هذه المادة موضع التامّل، لأن بعضاً يثبتون انه لا يوجد الاَّ ملكوت واحدٌ وجهنم واحدة، واما نحن فنذهب إلى تعداد

الدرجات والمباينات والمقايسات في الملكوت وفي جهنم، ولكن من حيث ان ليس في الأعضاء كلها الاَّ نفس واحدة عاملة في المخ من فوق، ومحركّة للقدمين من أسفل، فكذلك اللاهوت يشتمل على جميع المخلوقات السموية والتي تحت العُمق، وهو منوط بالمخلوقات في كل مكان، ولو انه ظاهر لجميعها بسبب فوقيّته عن كل قياس وإدراك، فهذا اللاهوت له اعتناء خصوصي بجنس البشر ويدبّر كل الاشيا بمقدار مناسب، ومن حيث ان بعضاً يصلّون من دون ان يعلموا ماذا يريدون، واخرون يصومون، واخرون يواظبون على خدمتهم، فالله لكونه قاضياً عادلاً يجازي كل أحدٍ بحسب مقدار ايمانه، لأنهم إنما يفعلون ما يفعلونه بتقوى الله، ولكن هولاء ليسوا جميعاً بنين، ولا ملوكاً، ولا ورثاء الاَّ ان في العالم هنا بعضاً مذنبون بالقتل، واخرين زناة، واخرين ناهبون، وكذلك بعض يفرقون خيراتهم على المساكين، وعين الرب على هذا وعلى ذاك، والذين يفعلون الخير ينعم عليهم بالراحة والجزاء، لأنه توجد أكيال غريبة[١] وهي الأقلّ وفي النور والمجد فرق، وكذا في جهنم ذاتها، وفي العقاب يتبين انه يوجد سحرة ولصوص وغيرهم ممن اتموا مكيال اثامهم، ولو في أمور تظهر بالنسبة صغيرة عبثاً

واما الذين يثبتون انه يوجد ملكوت واحد وجهنم واحدة وان ليس في احداهما درجات فقولهم باطل، لأنه كم من اناس من هذا العالم واقفون الان عند الملاعب العامَّة وغيرها من الأشغال الباطلة،

(١) متى ص ٧ عدد ٢

وكم في هذا الوقت يصلّون لله ويتقونه، فالله إذاً له مراعاة خصوصية لهولاء ولاولئك وكقاض عادل يهيي الثواب لهولاء[٢] والعقاب لأولئك[٣].

ولكن كما أن الناس يروّضون الخيل ويقودون عليها عرباتهم ويسوقون بعضها على بعض، (لأن كلاًّ منهم يجتهد بقدر طاقته في تخييب عدوه والظفر به)، كذلك في قلب المجدّين النشيطين ملعب أرواح خبيثة كامل، وهذه الأرواح تصارع النفس، والله وملئكته يعاينون العراك، وما النتيجة الاَّ ان في كل ساعة تخرج النفس أصناف أفكار جديدة سيّئة أيضاً من داخل، لأن النفس لها أفكار كثيرة مخفية تخرجها وقتئذٍ وتلدها، بل الخطية ذاتها لها أصناف تاملات وبِدَع، وفي وقت مخصوص تنشي في النفس أفكاراً جديدة، لأن العقل هو مدبّر العربة، وهو ينظم عربة النفس ويتولّى عِنان الأفكار، ثم يسوق على عربة الشيطان حيث يكون هو أيضاً هيأ عربته ضد النفس.

سوال ان كانت الصلاة راحة فكيف قد يقول بعض لا قدرة لنا على الصلاة ولا يدمنون عليها.

جواب انه حيث تكثر هذه الراحة ينشا عنها رافة وتحنن وتسد مسد وظائف اخر صالحة كزيارة الاخوة وسماع الكلمة، وهذه الطبيعة تشا أن تنطلق وتنظر الاخوة وتنطق بالكلمة، لأنه لا يُلقى شيء في النار ويبقى على طبيعته، بل من الضرورة انه يصير ناراً، وكما إذا طرحت حجارة صغيرة في النار تتحوَّل كلساً، وإذا أراد أحد أن يدخل البحر ويغوص

---

(٢) متى ص ٢٥ عدد ٣٤

(٣) متى ص ٥ عدد ٤١

لجتّه فانه يغرق ويغيب عن العيان، واما الذي يذهب فيه رويداً رويدا فيروم أن يخرج ثانياً فيعوم إلى أن ياتي إلى الميناء، ويزور جنس البشر الذي على البرّ، كذلك في حال الروح قد يدخل الإنسان إلى عُمق النعمة، ثم يتذكر ان هناك اخرين غيره، والطبيعة تشا ان تذهب إلى الاخوة وتكمل ناموس المحبة وتثبت الكلمة[٤]

سوال كيف يمكن أن يكون في القلب شيئات معاً وهما النعمة والخطية.

جواب كما أن النار تُوقَد على خارج وعاء من نحاس وان ضعت حطباً تحته تجده قد صار ناراً، وداخل الوعاء يغلي ويسخن لاتقاد النار تحته من خارج، واما إذا اُغفل وضع قضبان تحته تاخذ النار في الخمود وتنطفي نوعاً، كذلك النعمة التي هي النار الالهية من خارجك، فان صليت فيما بعد وسلمت أفكارك لمحبة المسيح تكون كانك قد وضعت القضبان من تحت وصارت افكارك ناراً ساطعة بمرضاة الله، ولكن وان تمنَّع الروح عنك لكونه من خارجك فمع ذلك لا يبرح في باطنك وخارجك أيضاً، واما ان تهامل أحد باقل ميل منه إلى المواد العالمية، أو إلى تشتت الأفكار، فالخطية تعود وتلبس النفس كلباس، وتاخذ في تنكيل الإنسان كله فحينئذٍ تفتكر النفس في راحتها السالفة، وتبتدئ ان تضطرب وتشقى مدة طويلة.

ثم يعود العقل إلى ملازمة الله وتعاوده راحته الاولى، ويشرع هو في طلب الله بزيادة الاجتهاد قائلاً، يا رب أنا أتوسل إليك، ثم تزاد عليه

---

(٤) لوقا ص ١٦ عدد ٢٧ و٢٨

النار رويداً رويداً فتقيد النفس وتقويها كالصنارة إذا جذبت السمكة من قاع البحر رويداً رويداً، فانه لو لم يصنع ذلك ولو لم يُجعَل الإنسان ان يذوق مرارة الموت، فكيف كان يمكنه أن يميز المرّ من الحلو، والموت من الحياة، وان يحمد الاب مُعطى الحياة، والابن والروح القدس إلى الأبد امين.

♱

العظة الحادية والاربَعُون

في أن أماكن النفس الباطنة عميقة جداً. وانها تزداد قليلاً قليلاً اما مع النعمة أو مع الخطية

ان وعاء النفس الثمين هو عميق جداً كما قال الحكيم، هو يفحص العمق والقلب[١]، لأنه لما حاد الإنسان عن الوصية وسقط تحت دينونة السخط اتخذته الخطية في يديها، ومن حيث انها قرار سوء عظيم، ودقيقة وعميقة في ذاتها، فلمَّا دخلت مرة استولت على مراعي النفس حتى إلى أقاصيها.

ومثل النفس والخطية التي اختلطت بها على هذا النوع مثل شجرة من اكبر الأشجار جسماً ذات غصون كثيرة، واصولها في اعمق أجزاء الأرض، كذلك الخطية لما دنت واستولت على مراعي النفس نمت في الألف والوسواس وصارت تنمو مع كل أحدٍ من طفوليته وتعاشره وتعلّمهُ كل شر.

---

(١) حكمة يشوع ص ٤٢ ص ١٨

فلذلك حين تظلل قدرة النعمة الالهية على النفس بمقدار ايمانها وتنال هو عوناً من العلا[٢]، فذلك التظليل انما هو جزي فقط، ولذلك لا تظن ان الإنسان يستنير في نفسه كلها، بل قد يبقى فيه مرعى خبث عظيم من داخل، فيقتضي للإنسان تعب وكدّ كثير حتى يعمل بمطابقة النعمة الموهوبة له، لأنه لهذا السبب ابتدات النعمة الالهية ان تدخل النفس دخولاً جزئياً فقط، والحال انها قادرة ان تطهّره وتكمله في دقيقة واحدة، وانما تفعل ذلك لغاية ان تمتحن هوى الإنسان، وترى ان كان باقياً على تمام الحب لله، بحيث لا يعاشر الخبيث في حال من الأحوال، بل يخصص نفسه بكليتها للنعمة، وهكذا إذا استُحسنت النفس بعد أوقات وأزمنة امتحان متتابعة ووُجدت انها لا تُحزن النعمة ولا تسيّ إليها في أمر من الأمور تُعان وتغاث، والنعمة ذاتها تجد في النفس مرتعىً وتتاصّل في أعمق قرارها وآرائها، إذ توجد مقبولة بعد تجارب كثيرة وموافقة للنعمة، إلى أن تصير النفس بكليتها في النعمة السموية، وفيما بعد تملك في الوعاء ذاته.

واما ان لم يكن أحد كثير التواضع فانه يُسلَّم لابليس ويُجرَّد من النعمة الالهية التي كان اوتيها، ويجرَّب بشدائد مختلفة، وحينئذٍ ينكشف رأيه انه عريان شقي، فالغنيّ إذاً بنعمة الله يجب عليه أن يصون منه تواضع العقل كثيراً، وانسحاق القلب، ويعتد نفسه فقيراً لا شيء له، وان ما هو له ليس يختص به وانما[٣]، اعطاهُ له آخر إذا شاء أخذه منه ثانياً.

---

(٢) لوقا ص ١ عدد ٣٥

(٣) ايوب ص ١ عدد ٢١

فالذي يتواضع هكذا قدام الله والناس يمكنه حفظ النعمة المستودعة عنده كما قال الرب، مَن اتضع ارتفع، وانه وان كان صفيّا لله فليكن في نفسه كواحد مرذول، وان كان اميناً فليحسب نفسه عديم الاستحقاق، لأن مثل هذه النفوس ترضي الله وتحيي بالمسيح، له المجد الملك إلى الأبد امين.

☩

العظة الثانية والاربَعُون

في انه ليست الاشيا الظاهرة التي ترقي الإنسان أو تضره بل هي الباطنة كروح النعمة مثلاً وروح الخبث

كما نفرض ان مدينة تُهجَر لانهدام اسوارها وياخذها العدوّ ولا ينفعها كبرها شياً، فيجب الاعتناء إذا بان تكون أسوارها مشيدة على مقتضى كبرها حتى لا يجد العدو إليها مدخلاً، كذلك النفوس المزينة بالمعرفة والفهم وحدّة الإدراك هي كالمدن الكبار، ولكن يجب أن تُفحَص ان كانت محصنة[١] بقوة الروح، لئلا يدخل العدو في حين ما ويخربها، لان حكمآ العالم ارسطو وافلاطون وسقراط لكمالهم في المعرفة كانوا كالمدن الكبار، الاَّ انهم خربهم اعداؤهم، لأن روح الله لم تكن فيهم.

ولكن الاميين الذين اشتركوا في النعمة هم كالمدن الصغار المستورة بقوة الصليب غير انهم قد يسقطون من النعمة لسببين ويختلّون وذلك،

---

(١) زخريا ص ٢ عدد ٥

امَّا لعدم تحملهم الشدائد التي تحيق بهم، أو لمواظبتهم على لذات الخطية لأن المسافرين لا يمكنهم العبور أبداً بلا مِحَن.

ولكن كما ان في الحبَل تتحمل المسكينة والملكة أوجاعاً واحدة، كذلك أرض الغني والمسكين ان لم تفلح الفلاحة الواجبة فلا تخرج ثمراً ذا قيمة أبداً، وكذلك في فلاحة النفس لا تملك الحكما ولا الاغنيا في النعمة(٢) الاَّ بالصبر والشدائد وكثرة الأتعاب لأنه ينبغي ان تكون حياة المسيحي من هذا النوع.

لأنه كما أن العسل لحلاوته لا يؤذن ان يختلط به شيء مرّ أو سمّ، كذلك هم محسنون لجميع الذين ياتون إليهم سواء كانوا أخياراً أو أشراراً كما قال الرب كونوا رحماء كابيكم الذي في السموات(٣)، لأن الذي يوذي الإنسان وينجسه هو من باطن، لأن من القلب تخرج الأفكار الشريرة كما قال الرب، ان الاشيآ التي تنجس الإنسان هي في باطنه(٤).

ففي باطن النفس إذاً روحُ خُبثٍ دابٌّ فيه دائر عاقل محرك، وهو حجاب الظلمة أي الإنسان لعتيق الذي يجب على جميع الذين يفرّون إلى الله أن ينزعوه عنهم، وان يلبسوا عوضه الإنسان السموي الجديد أي المسيح، فمن ثم لا يضر الإنسانَ شيء من الأشيا الظاهرة الاَّ روح الظلمة الحيّ الساكن في القلب، فلذلك يقتضي لكل أحد أن يختبر هذا العراك في أفكاره حتى يضيء المسيح في قلبه، له المجد إلى الأبد امين.

---

(٢) أول قورنثية ص ٤ عدد ٨
(٣) متى ص ٥ عدد ٤٥
(٤) متى ص ١٥ عدد ١١

العظة الثالثة والاربَعُونَ

في ترقي المسيحي وقوة هذا الترقي التامة تستند على القلب كما تجد ذلك موصوفاً هنا بأنواع مختلفة

كما أنه من نار واحدة تنوَّر انوار كثيرة ومصابيح متقدة، ولكن جميع المصابيح والأنوار تستنير من طبيعة واحدة وتضي، كذلك المسيحيون يستنيرون من طبيعة واحدة، ويضيئون من النار الالهية وهو ابن الله، وفي قلوبهم هذه المصابيح مضيئة قدامه على الأرض كما يُضي هو نفسه، لأنه قال من أجل ذلك مسحك الله الهك بدهن البهجة(١)، ولهذا الداعي سمّي مسيحاً، حتى إذا مسحنا نحن أيضاً بذلك الدهن ذاته الذي مُسح بهِ هو نصير مُسحاء أيضاً ذوي جوهر واحد وجسم واحد وقال أيضاً، ذلك الذي قدَّسهم والذين قدّسوا هم جميعاً من واحد(٢).

فلذلك في المسيحيين شبهٌ ما لهذه الأنوار التي له زيت في نفوسها يعني ثمار البرّ، واما ان لم يستنيروا من نور اللاهوت(٣) في نفوسهم فليسوا بشي وقد كان الرب نوراً متقداً بروح اللاهوت الحال فيه بالجوهر، والمذكي قلبه بحسب ناسوته.

وكالكيس البالي المملو دُرراً، هم المسيحيون الذين يجب عليهم ان يكونوا متواضعين من خارج ومحتقري الحال، لهم في الإنسان الباطن

---

(١) مزمور ٤٥ عدد ٧

(٢) عبرانيين ص ٢ عدد ١١

(٣) رويا ص ٤ عدد ٥

من داخل الدرَّة الكثيرة الثمن(٤)، لكن غيرهم يشبهون القبور المبيضة المنقوشة الحسنة من خارج ومن داخلها مملوة عظام أموات(٥) وعفونة وأرواحاً نجسة فهم أموات قدام ولابسون جميع أنواع الخزي والدنس وظلمة العدو.

وقال الرسول ان الطفل ما دام صغيراً فهو تحت حماية وتدبير الأرواح الخبيثة(٦)، وهذه الأرواح لا تشا قط ان الطفل ينمو لئلاًّ إذا صار رجلاً كاملاً يبتدئ ان يفحص عن أمور نسبه ويثبت رشده، فالمسيحي يجب عليه أن يتذكر الله في كل حين، لأنه مكتوب أحب الرب الهك من كل قلبك(٧) أي أن يحب الرب ليس حين يذهب إلى معبده فقط، بل وفي المشي أيضاً، وفي العشرة، وإذا اكل(٨) يحفظ ذكر الله ومحبته، عشقاً له طبيعياً† لأنه قال حيث يكون عقلك فهناك يكون كنزك(٩)، لأنه لا يتقيد قلب المرء بشيء وينجذب إليه هواه وشوقه الاَّ وكان الهه، فان كان القلب يشتهي الله كل حين فالله حٍ رب القلب، وان ترك احد كل شي له وتجرَّد عن املاكه، وصار لا مدينة له ياوي اليها، وصام وتقيد بحب نفسه أو بحب الاشيا العالمية، أو بحب بيته،

---

(٤) متى ص ١٣ عدد ٤٦

(٥) متى ص ٢٣ عدد ٢٧

(٦) غلاطية ص ٤ عدد ١ و٢ قابله برومية ص ١ عدد ٢٤

(٧) تثنية ص ٦ عدد ٥ متى ص ٢٢ عدد ٣٧

(٨) تثنية ص ٦ عدد ٧

(٩) متى ص ٦ عدد ٢١

† قوله عشقاً طبيعياً معناه كرم محبة الأبوين للابن واما عود هذا هنا إلى الله والمسيح فيظهر بتامل من قول المسيح جيداً. متى ص ١٢ عدد ٥٠.

أو بحب والديه، فحيثما يكون قلبه مقيداً وعقله ماسوراً فذلك هو الههُ، ويكون قد خرج من العالم من الباب الواسع، ثم دخله ثانياً من باب ضيق وتغلغل فيه.

وكما أن القضبان التي تُلقي في النار لا تقاوم قوة النار بل تحترق عاجلاً، كذلك الشياطين إذا أرادوا محاربة الإنسان الذي اهّله الله للروح يحترقون ويبيدون بقوة النار الالهية بشرط ان يلتصق الإنسان بالرب في كل حين، ويلقي عليه اتكاله ورجاءَه، ولو انّ الشياطين هي شديدة كالجبال القوية فانهم يحترقون بالصلاة كالشمع بالنار[١٠]، ولكن حينئذ يكون جهاد النفس وقتالها معهم عظيماً، إذ يكون هناك انهر التنانين[١١] وافواه الأسود[١٢] والنار متقدة في النفس.

وكما إذا كان انسان قد بلغ النهاية في فعل الاثم وارتوى من روح الضلال، ومال إلى القتل أو الزناء لا يرعوي عن ذلك، كذلك المسيحيون المعمدون بروح القدس ليس لهم خبرة بالشر أبداً، وامَّا الذين عندهم النعمة وفيهم اختلاط الخطية، فهولاء هم تحت المخاوف[١٣] ويسافرون في أماكن مهولة[١٤].

لأنه كما أن التجارب وان وجدوا ريحاً موافقة لرجوعهم وكان البحر هادئاً لا يبرحون في الخوف الا ان يصلوا إلى المينا لئلاّ تثور عليهم بغتة ريح مخالفة تهيّج البحر، فتصبح السفينة في الخطر، كذلك المسيحيون وان هبّ

---

(١٠) قابل مزمور ٦٨ عدد ٢ ومزمور ٩٧ عدد ٥

(١١) مزمور ٧٤ عدد ١٣

(١٢) مزمور ٢٢ عدد ٢١

(١٣) مزمور ٥٣ عدد ٥

(١٤) مزمور ٤٠ عدد ٢

في نفوسهم الريح الموافق ريح الروح[١٥] فلا يزالون مهتمين لئلا تثور عليهم ريح القوة المعادية في ساعة ما[١٦] فتهيج في نفوسهم عاصفاً.

فيلزم إذاً جهد وافر حتى ناتي إلى مينا الراحة والى العالم التام، والى الحياة واللذة الابدية، وإلى مدينة القديسين[١٧]، وإلى أورشليم السماوية، وإلى كنيسة الابكار، وان لم يتجاوز الإنسان الدرجات فانه يصير في خوف عظيم، لئلا تنشئ في وسط الكل القوة الشريرة سقوطاً ما.

وكما اَنْ يقال ان المراة تجنّ جنينها في ذي ظلمةٍ فإذا برز إلى الوجود راي ما لم يكن ليراه من نحو السماء والأرض والشمس وقبلته الأصحاب وهم مستبشرون اتفق لعلة أن يعرض للجنين آفة ما لزم حٍ استعمال آلة الجراحة من أهل خبرتها فتكون النتيجة ان الطفل يعبر من موت إلى موت، ومن ظلمة إلى ظلمة، فاتخذوا هذا أيضاً في شغل الروح، فان جميع الذين ينالون من الطبيعة الالهية فانما ينالونه بنوع غير منظور بسبب الخطية الساكنة معه ويخفونه في أماكن مظلمة، فان حفظوا نفوسهم وصانوا الزرع فانهم يتجدَّدون في الأوان، وعند انحلال الجسد تقبلهم الملئكة والجماعة العلوية بوجه مستبشر، واما ان كان أحد يتقلد بسلاح المسيح، ليقاتل بشجاعة ثم يتكاسل، فانه يسلَّم حالاً لأعدائه وعند انحلال جسده يعبر من الظلمة المحيطة بهِ الان إلى نوع ظلمة أخرى اكثر قلقاً وإلى الهلاك.

---

(١٥) يوحنا ص ٣ عدد ٨

(١٦) افسس ص ٤ عدد ١٤

(١٧) عبرانيين ص ١٢ عدد ٢٢ و٢٣

ولكن كما تقدَّر ان بستاناً فيه أشجار مثمرة ونبات عطر الرائحة والجميع منظّم بالاتقان، ويكون له سور صغير يحفظه، ولكن ان اتفق ان نهراً يجري فيه، ولو كان الماء قليلاً يلطم السور ويفسد به الأساس رويداً رويداً فإذا طمّ على المغروسات أفسدها وعكس النظام كله وصيَّره غير مثمر، كذلك هو قلب الإنسان فانه يحتوي على أفكار جيدة، ولكن قد توجد بالقرب منه انهر فساد[١٨] عاملة على اضراره واغتصابه إلى جهتها، والنتيجة انه ان مال العقل قليلاً إلى الطيش وهوى الأفكار النجسة، فأرواح الضلالة تتخذ فيه مرتعىً وتدخله وتفسد جميع المحاسن التي فيه وتمحو أفكاره الصالحة وتخرب النفس.

وكما أن العين هي أصغر الأعضآ وبوبو هذه العين الصغير هو عظيم، لأنه يرى تحت السمآ الواحدة الكواكب والشمس والقمر والمدن وسائر المخلوقات هي مشكلة ومصورة في إنسان العين ذلك الصغير وكذلك العقل هو في القلب، والقلب ذاته هو نوع اناء صغير، وفيه تنانين واسود ووحوش مسمَّة، وكافة كنوز الخبث، وفيه طرقات وعرة غليظة[١٩] ومهالك، وفيه أيضاً الله والملئكة، وفيه الحياة والملكوت، وفيه النور والرسل، وفيه المدن السموية[٢٠] وكنوز النعمة، وفيه سائر الأشياء.

لأنه كما تمتد سحابة على الدنيا كلها لا يرى الإنسان فيها صاحبه[٢١]، كذلك ظلمة هذا العالم هي ممتدة على جميع الخلائق وعلى الطبيعة

---

(١٨) مزمور ١٨ عدد ٤

(١٩) اشعيا ص ٤٠ عدد ٤

(٢٠) لوقا ص ١٩ عدد ١٧

(٢١) سفر الحكمة ص ١٧ عد ٢١

البشرية كلها منذ زمان العصيان، لأنه لما ظللتهم الظلمة صاروا في الليل، وساروا في أماكن الهول، وكالبيت الذي قد امتلا بالدخان الكثير، كذلك الخطية هي هناك مع تصوراتها الدنسة مقيمة ودابَّة في عين افكار القلب وجملة شياطين لا نهاية لهم.

وكما أن في الأشيا التي يقع عليها النظر إذا سمعت ضجة الحرب لا يذهب إليه الحكمآ ولا العظمآ إذ يفرقون من الموت فيتنحون، فتُرسل الرعاع والمساكين والامّيون، فإذا هم ظفروا باعدائهم وهزموهم ياخذون من الملك جزاء ويرتقون إلى مراتب ومناصب، فيبعد العظمآ عند ذلك بسببهم، كذلك هو الحال في أمر الروح، فان الاميين هم الذين يسمعون الكلمة من البدء بأفكار مائلة إلى حب الحق[٢٢] فيفعلون ما تطلبه (الكلمة) وينالون من الله نعمة روحه، واما الحكمآ والذين يجتهدون في بلاغة المنطق وحسن البيان، فانهم يهربون من الحرب ولا ينجحون، والحاصل انهم يصيرون متأخرين وراء الذين قاتلوا وظفروا.

ولكن كما أن الرياح إذا هبَّت شديداً تهز كل مخلوق تحت السماء وتبدي صوتاً عظيماً، كذلك قوة العدو تضرب الأفكار وتحركها، وتهز أعماق القلب كلما شآت وتشتت أفكاره في عبادتها.

وكما انه يوجد مكّاسون يجلسون في المسالك الضيقة ويمسكون بالعابرين ويزعجونهم، كذلك الشياطين يتجسَّسون بدقة ويمسكون بالنفوس عند خروجها من الجسد ولا يدعونها تتصاعد إلى منازل السماء وتلاقي ربها الاَّ ان كانت كاملة الطهارة، لأن شياطين الجوّ تسوقها

---

(٢٢) ثاني تسالونيقية ص ٢ عدد ١٠

إلى أسفل، واما ان كانت وهي في الجسد تكدّ وتسعى في نوال النعمة من الله التي من العلا، فلا شك انها هي والذين حصلوا على الراحة بفضل سيرتهم ينطلقون من هنا إلى الرب، كما وعد بأنه حيث أكون انا فهناك يكون خادمي[٢٣] ويملكون إلى أبد الدهور مع الاب والابن والروح القدس الان وإلى الأبد امين

☩

العظة الرابعة والأربعون

أيّ تغيير وتجديد يفعله المسيح في الإنسان المسيحي.

وهو ذلك الذي شفي علل النفس وأمراضها

مَن شاء أن يأتي إلى الله، وأراد أن يكون بالحق جالساً مع المسيح على كرسيه[١] يجب عليه أن يأتيه لهذه الغاية وهي أن يتغيَّر ويعبر من حاله وسيرته الأولى، ويثبت كونه إنساناً صالحاً جديداً، ليس عليه شيء من الإنسان العتيق، لأن الرسول قال ان كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة[٢]، لأن ربنا يسوع المسيح اتى لهذا الباعث، وهو ان يحوّل ويغيّر ويجدّد ويخلق ثانياً[٣] هذه النفس التي انعكست بالاهواء الدنية بالمعصية بحيث يمزجها بروحه الالهي وقد اتى ليصنع عقلاً جديداً ونفساً جديدة وعيوناً جديدة واذاناً جديدة، ولساناً جديداً

---

(٢٣) يوحنا ص ١٢ عدد ٢٦

(١) روية ص ٣ عدد ٢١

(٢) قورنثية ص ٥ عدد ١٧

(٣) مزمور ٥١ عدد ١٠

روحانياً، وبالاختصار أن يصير المومنين به بشراً جديداً، وإِناءً جديداً بعد ان يمسحهم بنوره ليصبّ فيهم من الخمر الجديدة الذي هو روحه فقد قال لأن الخمر الجديدة تجعل في زقاق جديدة[٤].

لأنه كما أن العدوّ لما قبض على الإنسان في يديه جدَّدهُ لنفسه بحيث البسه الاهواء الدنية ومسحه بروح الخطية وصب فيه خمر كل المعصية والتعليم الفاسد، كذلك الرب لما انقذه من العدوّ جددهُ بحيث مسحه بروحهِ وصبَّ فيه الخمر الجديدة خمر الحياة والتعليم الجديد تعليم الروح.

لأن الذي غير طبيعة الخمسة ارغفة وصيَّرها طبيعة ارغفة كثيرة وانطق طبيعة الحمار الغير العاقل، واناب بالزانية إلى العفة[٥] وجعل طبيعة النار المحرقة بَرْداً على الذين كانوا في الاتون، ومن أجل دانيال اَلانَ طبيعة الاسود الكاسرة، كذلك يقدر ان يغيّر النفس التي اقفرت وتوحشت بالخطية ويحوّلها إلى صلاحه ورافته وسلامه بروح الموعد المقدس الصالح.

لانه كما ان الراعي يستطيع أن يشفي الشاة الجرباء ويصونها من الذئاب، كذلك الراعي الحقيقي لمَّا اتى كان هو وحده قادراً أن يشفي ويرجع الشاة الضالة الجرباء[٦]، أي الإنسان من جرب الخطية وبرصها، لأن الكهنة والاحبار والمعلمين السالفين لم يمكنهم قط أن يشفوا النفس بتقريبهم الهدايا والذبايح ورش الدم[٧]، بل لم يقدروا أن يشفوا

---

(٤) متى ص ٩ عدد ١٧

(٥) يوحنا ص ٨ عدد ١

(٦) لوقا ص ١٥ عدد ٤ مزمور ١١٩ عدد ١٧٦

(٧) عبرانيين ص ٩

نفوسهم، لأنهم كانوا متصفين بالضعف[٨] الا ترى انه، قال لانه ليس بممكن أن ترفع الخطايا بدم ثيران وتيوس[٩]، ولكن الرب لما اظهر ضعف اطباء ذلك اليوم قال، لعلكم تقولون لي هذا المثل أيها الطبيب اشفِ نفسك[١٠]، فكانه قال لست انا مثلهم إذ ليس لهم قدرة أن يشفوا نفوسهم، وقال انا هو الطبيب الحق والراعي الصالح الذي ابذل نفسي عن الخراف[١١]، واقدر اشفي كل علة، وكل مرض في النفس، أنا هو الحمل العديم الدنس الذي قُرِبّت مرة، وانا قادر على شفا الذين ياتون إليَّ، لأن شفآ النفس الحقيقي هو من الرب وحده، قال المعمداني هاهوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم[١٢]، يعي خطية النفس التي تومن به وتحبه حبا تاما.

فالراعي الصالح إذاً يشفي الشاة الجرباء، واماَّ الشاة ذاتها فلا يمكنها ان تشفي الشاة، وان لم تشفِ الشاة العاقلة أي الإنسان، فلا مدخل لهُ في جماعة الرب في السماء، لأن هذا قيل في الناموس بظل وتشبيه لأن هذا ما يلمح به الروح إلى الأبرص الذي به عيب إذ قال أي رجل أبرص أو فيه ادنى عيب لا يدخل إلى جماعة الرب[١٣]، ولكنه أمر الأبرص بأن ينطلق إلى الكاهن، وان يؤتى به بعد طلب كثير إلى بيت مظلته، وهناك يضع يديه على البرص وعلى المكان الموثر فيه هذا الداء ويشفيه، كذلك المسيح الحبر الحقيقي للاشيا الاتية تواضع لاجل

(٨) عبرانيين ص ٥ عدد ٢
(٩) عبرانيين ص ١٠ عدد ٤
(١٠) لوقا ص ٤ عدد ٢٣
(١١) يوحنا ص ١٠ عدد ١١
(١٢) يوحنا ص ١ عدد ٢٩
(١٣) أحبار ص ٢١ عدد ١٧ إلى ٢١

النفوس البُرْص التي قد شوهّها برص الخطية، فدخل مظلة أجسادها[١٤] واعتني بعللها وشفاها، وبهذا تستطيع النفس ان تدخل الكنيسة السموية كنيسة قديسي اسرائيل الحقيقي[١٥]، لأن كل نفس يكون عليها برص الخطية في أهوائها ولا تاتي إلى الحبر الحقيقي ويُعتنَى بها، لا تجد لها مدخلاً إلى مجمع القديسين وإلى الكنيسة السموية[١٦]، لأنها إذا كانت هي ذاتها نقيَّة من غير عيب[١٧] فانها تطلب النفوس الطاهرة العديمة الدنس، لأن المسيح قال، طوبى للنقية قلوبهم لأنهم يعاينون الله[١٨].

لأنه يجدر بالنفس التي تومن بالمسيح ايماناً صحيحاً أن تنتقل[١٩] وتتغيَّر من حالتها الفاسدة إلى حالة صلاحٍ، ومن طبيعتها الدنية إلى طبيعة الهية، وان تتجدد بقوة الروح القدس، وهكذا تصير اهلاً لملكوت السموات، الاَّ ان نوال هذه الأشياء مسوَّغ لنا نحن الذين نومن به ونحبه بالحق ونسير في جميع وصاياه المقدسة.

لأنه ان كان الحطب الذي من طبعه الخفة لما أُلقي في الماء في عهد اليشع اخرج الحديد الذي من طبعه الثقل[٢٠]، فكم بالحري أن يرسل الرب إلى هاهنا روحه الخفيف النشيط الصالح السموي، وبواسطته يخرج النفس التي غطست في مياه الاثم ويصيرها خفيفة،

---

(١٤) يوحنا ص ١ عدد ١٤ في الأصل

(١٥) رومية ص ٤ عدد ١١ و١٢

(١٦) نشيد الانشاد ص ٦ عدد ١٠

(١٧) افسس ص ٥ عدد ٢٧

(١٨) متى ص ٥ عدد ٨

(١٩) قولاسائس ص ١ عدد ١٣

(٢٠) رابع ملوك ص ٦ عد ١٦

ويرفعها على جناحه تجاه علالي السماء، ويغيرها من طبيعتها الأصلية تغييراً كاملاً.

وكما ان في الأشياء المنظورة لا يقدر أحد من نفسه أن يجوز البحر ويعدّيه الاَّ ان كان له مُعَدٍّ خفيف مصنوع من خشب يسير على المياه لأنه الذي يزعم انه يمشي على البحر يغرق ويهلك، كذلك ليس بممكن للنفس أن تعبر من ذاتها من بحر الخطية المرّ وتعلوه، وان تجوز من الهوة الصعبة هوة قوات الظلمة الخبيثة في الاهواء الاَّ ان احرزت روح المسيح اللطيف السموي الخفيف الذي يسير(٢١) ويعبر من كل الخبث، فبواسطة هذا الروح يمكنه أن يصل إلى مينا الراحة السموية من معبر ضيق، وإلى مدينة الملكوت.

ولكن كما أن الذين في السفينة لا يشربون من البحر، ولا يأخذون منه طعامهم وملبوسهم بل تجلب هذه من خارج، كذلك نفوس المسيحيين لا تنال الطعام السموي والملبوس الروحاني من هذا العالم، بل من فوق من السماء، وإذا عاشوا من هناك وهم في سفينة روحه الصالح المحيي، يجوزون الجنودَ المعادية الخبيثة جنود الروساء والقوات، وكما أن جميع السفن تصنع من مادة واحدة أي من الخشب وبواسطتها يمكن للناس أن يسافروا كذلك من الطبيعة الالهية الواحدة طبيعة النور السموي تُطِيرُ نفوسُ المسيحيين على كل الاثم إذ تتقوى بالمواهب المتنوعة من الروح الواحد.

ولكن كما أن السفينة تحتاج إلى رئيس وريح طيّبة تمخر بها مَخْراً،

(٢١) قابل متى ص ١٤ عدد ٢٥ و٢٨ بمزمور ٩١ عدد ١٨

فجميع هذه يسد مسدها الرب بذاته بحلوله في النفس الأمينة، وينقلها من العواصف الهايلة ومن أمواج الخبث الشديدة، وزوابع رياح الخطية القوية، بيد قديرة وحكمة وفهم، إذ يعرف كيف يهدّي العاصف[٢٢]، لأن من دون القائد السموي وهو المسيح لا يمكن لأحد أن يعدّي البحر الخبيث بحر قوات الظلمة، والرياح المخالفة رياح التجارب الثائرة، قال صاحب الزبور يصعدون إلى السماء ويهبطون إلى العمق[٢٣]، ولكنه له معرفة جيدة بصنعة القائد كلها وبالحرب وبالتجارب، بحيث يتجاوز أمواجها الحادة، قال الرسول، لأنه بما قد أُلّم وابتُلي يقدر على أن يعين الذين يبتلون[٢٤].

فالاولى بنفوسنا إذاً أن تتغيَّر وتنتقل من الحال التي هي عليها الان إلى حال أخرى وإلى الطبيعة الالهية، وان تصير اناساً جديدة بعد قدم، يعني صالحة رووفة امينة بعد قساوة وكفر، فإذا صارت هكذا تسكن ثانياً في الملكوت السموية، لأن بولس المبارك كتب عن انابته وانتخابه الذي منّ عليه به الرب هكذا، لقد اسعى لعلي ادرك لمَّا تداركني يسوع المسيح[٢٥]، فكيف تداركه الله إذاً، انه تداركه كما نقدّر ان ظالما يمسك بالذين استاسرهم ويسوقهم قدامه، وبعد ذلك يسترد لهم ملكهم الحقيقي، كذلك بولس لما فعل فيه روح الخطية الظالم اضطهد الكنيسة وسباها، ولكن لما راي انه فعل ذلك عن غيرة لله[٢٦]

---

(٢٢) قابل مزمور ١٠٧ عد ٢٩ بمرقص ص ٤ عدد ٣٩ بلوقا ص ٨ عدد ٢٤

(٢٣) مزمور ١٠٧ عدد ٢٦

(٢٤) عبرانيين ص ٢ عدد ١٨

(٢٥) فيلبسيوس ص ٣ عدد ١٢

(٢٦) فيلبسيوس ص ٣ عدد ٦

بجهل[٢٧] كانه كان ينازع من أجل الحق، لم يُسْهَ عنه الرب بل تداركه واضاء حوله الملك السموي الحقيقي بنوع لا يوصف[٢٨]، إذ حسبه أهلاً للصوت ولطمه كعبد† ثم اعتقهُ، فانظر إلى صلاح الرب وتغييره، وما اقدره على ردّ النفوس التي تقيَّدت بالخطية وتوحّشت، وفي لحظة يجلبها إلى صلاحه وسلامه، لأن كل شي ممكن لدى الله[٢٩]، كما تبرهن ذلك في حال اللص الذي تغير بالايمان في لحظةٍ مّا وردّ إلى الفردوس، فلهذا السبب أتى الرب ليردّ نفوسنا ويخلقها جديدة[٣٠]، ويصيرها شركآ في الطبيعة الالهية كما هو مكتوب[٣١]، ويسبغ عليها النفس السموية أي روح اللاهوت، إذ يرشدنا في كل فضيلةٍ لنستطيع أن نحيا الحياة الأبدية.

فسبيلنا إذاً ان نومن بمواعيده الفائقة الوصف بكل قلبنا[٣٢] فان الذي وعد هو امين[٣٣] فلذلك يجدر بنا أن نحب الرب وان نجتهد في كل الفضائل بكل طريقة، ونطلب دائماً بلا انقطاع ان ننال موعد روحه[٣٤] تاماً كاملاً لكي تحيا نفوسنا ما دمنا في الجسد، لأنه ان لم تنل النفس في هذه الحياة تقديس الروح بكثرة الايمان والصلاة وتشترك في الطبيعة الالهية إذ تختلط بالنعمة (التي بها تصير بلا عيب[٣٥] وتعمل

---

† لعل هذا إشارة إلى عادة اليهود في اعتاقهم العبيد بلطمةٍ على اذنهم.

(٢٧) اول طيماثاوس ص ١ عدد ١٣

(٣٨) ابركسيس ص ٩ عدد ٣ إلى ٥

(٢٩) مرقص ص ١٤ عدد ٣٦

(٣٠) اشعيا ص ٤٣ عدد ١٣ ثاني قورنثية ص ٥ عدد ١٧ روية ص ٢١ عدد ٥

(٣١) ثاني بطرس ص ١ عدد ٤

(٣٢) ابركسيس ص ٨ عدد ٣٧

(٣٣) عبرانيين ص ١٠ عدد ٢٣

(٣٤) ابركسيس ص ٢ عدد ٣٩

(٣٥) لوقا ص ١ عدد ٦

بكل وصية بنقاوة) فلا تكون اهلا لملكوت السموات، لأن ما من خير يحرزه الإنسان في هذا العالم الا ويكون بعينه حياة له في ذلك اليوم، بواسطة الاب والابن والروح القدس إلى الأبد امين

☩

العظة الخامسة والاربعون

في انه لا صنعة ولا مال في هذا العالم يشفي الإنسان الاَّ ظهور المسيح وحده. وفي هذه العظة تشرح قرابة الإنسان له

ان الذي يختار العيشة الانفرادية يجب عليه أن يعتد جميع الأشياء التي يصادفها في هذا العالم بعيدة عن طريقه وغريبة عنه، لأن الذي يتبع صليب المسيح بحق بعد أن يجحد جميع الاشياء حتى نفسه، ينبغي له أن يقيّد عقله بحب المسيح، بحيث يفضل الرب على الوالدين والاخوة والزوجة والبنين والأقارب والأصدقاء والاملاك[1] لأن هذا نصّ عليه المسيح بالبيان في هذه الكلمات، مَن لا يترك أباه وامه وزوجته وبنيه واراضيه ولا يتبعني فما يستحقني، لأنه ليس بغيره خلاص وراحة لجنس البشر على ما سمعنا.

لأنه كم من الملوك نبغوا من نسل آدم وسادوا في الأرض كلها ودُقت افكارهم بقوتهم الملوكية، ومع ذلك فلم يستطع أحد من هولاء بجميع هذه المناقب أن يكشف عن ذلك الفساد الذي هجم على النفس منذ عصيان

---

(١) لوقا ص ٤ عدد ٢٦ متى ص ١٠ عدد ٣٧

الإنسان الأول، واظلمها بكليتها حتى انها لا تذعن لتغيير ما، لأن العقل لمَّا كان في الأول حائزاً طهارته عايَنَ ربهُ لكونه كان في الكرامة، واما الآن فهو مكسوّ بالخزي بسبب سقوطه، وقد عميت عيونه حتى لا تقدر ان تعاين المجد الذي رآه أبونا آدم قبل معصيته.

ولكن قد كان في العالم أيضاً حكماء بعضهم برهنوا على فضيلتهم بمساعدة الفلسفة، واخرون بالغوا في الحذق والبلاغة، واخرون علَّموا الفصاحة، واخرون من النحاة والشعرآ تصدوا إلى التاليف في التواريخ وكان أيضاً أجناس من أهل الحرف الذين مارسوا صنائع العالم، فمنهم من كان يصنع من الخشب أنواع طيور عديدة وأسماك وصور بشريّة، وسعوا بذلك في اظهار فضيلتهم، واخرون قصدوا تشبيه الخليقة بتماثيل من نحاس، واخرون أقاموا أبنية فاخرة جميلة، واخرون حفروا الأرض واستخرجوا الذهب والفضة الفاسدة(٢)، واخرون الحجارة الثمينة، واخرون تزينوا بمحاسن الجسد وافتخروا بماله من جمال الوجوه فخدعهم الشيطان سهلاً وسقطوا في الخطية، فجميع أهل الحرف المذكورين لمَّا امسكت بهم الحية الحالة فيهم جيداً، ولم يشعروا بالخطية الساكنة معهم، اصبحوا اساري وعبيداً للقوة الخبيثة بدون أن ينتفعوا بشيء من علمهم ومهارتهم.

فالعالم إذاً من حيث انه مشحون بجميع الأصناف يشبه رجلاً غنياً قد ملك بيوتاً عظيمة بهيجة وذهباً وفضة واملاكاً عديدة وعنده من الخدم والحشم أصناف كثيرة، ولكنه عند ما اقلقته الأوجاع والعلل وقف

---

(٢) أول بطرس ص ١ عدد ١٨

جمع أقاربه بجانبه غير قادرين أن يطلقوه من ضعفه بجميع هذه الأموال، فالظاهر أنه ليس شيء من خصوصيات هذه الحياة ينقذ النفس من الخطية التي غرقت فيها، لا الأخوة، ولا الغني، ولا القوة، ولا شي من الأمور المتقدم ذكرها، فاصبحت لها أن تبصر بصراً واضحاً وليس الاَّ ظهور المسيح وحده يقدر أن يطهر النفس والجسد معاً، ولذلك قبل انحلالنا من هموم هذه الحياة(٣) يجب أن ننذر نفوسنا للرب ونصرخ إليه ليلاً ونهاراً، لأن هذه الدنيا المنظورة ومالها من الراحة كلما ظهرت انها تقوي الجسد تزيد حدة علل النفس وتضاعف مرضها.

وقد كان شخص موصوف بالعقل، وقصد أن يبذل غاية مجهوده في البحث والاستقراء، وجعل دابه ان يختبر كل شيء يحدث في هذه الحياة لعلَّه يجد منه منفعة، فلاذ بأصحاب التيجان وباهل السلطة والسيادة فلم يجد منهم علاجاً شافياً لنفسه، وبعد أن قضَّى زمناً طويلاً على هذه الحالة وهو لم ينتفع بشي ذهب عنهم إلى حكماء العالم وأصحاب الفصاحة ثم اعرض عنهم أيضاً كذلك بدون أن ينتفع منهم بشي، وفي رحلته أخذ معه المصورين والذين يخرجون من الأرض ذهباً وفضةً، ودار على دائرة أهل الحرف جميعهم بدون أن يجد دواءً لجروحه، وأخيراً تركهم وطلب الله الذي يشفي فساد النفس وامراضها وبينما هو يتامل في نفسه ويعيد هذه الأشيا في أفكاره وجد أن عقله بعد ما كان يتشاغل بالاشيا التي تجنبها في الظاهر أبغضها بغضاً أكيداً باطنا[†].

---

(٣) لوقا ص ٢١ عدد ٢٤

† الظاهر أن المصنف هنا يشير إلى صاحب سفر الجامعة لكونه يبتدي وينتهي أغلبه بهذه الكيفية.

ولكن كما أنه إذا كانت امراة في هذا العالم غنية وعندها من المال شيء وافر، ولها بيت فاخر، وهي مع ذلك خالية من الحماية يكثر عليها الذين ياتونها ليسيئوا إليها ويخربوا أبنيتها ولعدم احتمالها الاذى تذهب ساعية في طلب بعل يكون مقتدرا مهذباً في كل شيء، وإذا وجدت هذا البعل بعد جهد تفرح به فرحاً عظيماً، وتتخذه لها وقاية وملاذا، وكذلك النفس لما آذتها القوة المعادية كثيراً بعد المعصية فسقطت في ضلال عظيم، وأصبحت أرملة متروكة مرذولة من عريسها السموي لتعدّيها الوصية، وصارت ملعباً لجميع القوات المعادية (لأنهم جرَّدها من حواسها، واذهلوها بالخوف، حتى انها لا تستطيع أن ترى تعدّيهم عليها، بل تظن أن هذا هو حالها من البدء)، ثم علمت أخيراً حال وحدتها وضلالها بواسطة سماع الاذن[٤]، وتمثلتها بالزفرات أمام محبة الله اللطيفة بالإنسان وجدت الحياة والخلاص، وما ذلك الا لكونها عادت ثانياً إلى نسبها الصحيح، لأنه ليس من الفة أو نسب كنسب النفس لله، أو نسبه الله للنفس.

لأن الله صنع أجناس طيور بعضها تضع أوكارها على الأرض وتعتمد عليها من جهة القوت والراحة، واخرى تضع أوكارها تحت المياه[٥]، وصنع أيضاً عالمين احدهما علوي للأرواح الخادمة، وامرهم بنظام مملكتهم، والاخر سفلي لجنس البشر تحت هذا الهواء الذي نتنفسه، وخلق أيضاً السماء والأرض والشمس والمياه والشجر المثمر وجميع الكاينات

---

(٤) قابل ايوب ص ٤٢ عدد ٥ برومية ص ١٠ عدد ١٧

(٥) تكوين ص ١ عدد ٢٠ إلى ٢٢ ثاني عزرا ص ٦ عدد ٤٧ مزمور ١٠٤ عدد ٤

الحيّة، ولكنه تعالى لا يستريح في شي من هذه الاشيا[٦]، وفي كل الخليقة التي هي تحت امره لم يثبت كرسيه ولم يوذن لأحد في الاشتراك معه الاَّ الإنسان، فان به وحده ارتضى وله وحده جاد بنفسه وفيه وحده اتخذ راحته، أفلا ترى هنا نسبة الله للإنسان باللزوم ونسبة الإنسان لله، فلذلك دارت النفس الحكيمة الشهمة على جميع المخلوقات فلم تجد لنفسها راحة الاَّ في الرب وحده[٧]، والرب أيضاً لم يرتضِ بأحد سوى بالإنسان وحده.

ان فتحت عينيك تجاه الشمس وجدت دائرتها في السماء ولكن نورها واشعتها مضيئة على الأرض، وكل قوة نورها وضيائها ممتدة إليها، كذلك ربنا هو جالس بعينه عن يمين الاب فوق كل الروساء والقوة، ولكن عينه[٨] ممتدة إلى قلوب البشر على الأرض، لكي يقيم الذين يرجون عونه حيث هو مقيم[٩]، لأنه قال بفمه، حيث أكون انا فهناك يكون خادمي[١٠]، وقال بولس قد أقامنا معه واجلسنا عن يمينه في الأماكن السموية[١١].

ولكن الحيوانات التي لا عقل لها هي اَمْكَرُ منا[١٢]، لأن كلاً منها ملازم لطبيعته، الموحشة للموحشة، والحُملان لجنسها، ومع ذلك فانت

---

(٦) مزمور ١٤٨ حكمة يشوع ص ٢٤ عدد ١ إلى ٨

(٧) أيوب ص ٢٨ عدد ١٢ إلى ٢٨ مزمور ٨ و١٤٤ عدد ١ إلى ٣

(٨) ثاني الأيام ص ١٦ عدد ٩ حكمة يشوع ص ١٧ عدد ٨ و٩ وص ٣٤ عدد ١٦

(٩) قولاسائس ص ٣ عدد ١ و٢

(١٠) يوحنا ص ١٢ عدد ٢٦

(١١) افسس ص ٢ عدد ٦

(١٢) اشعيا ص ١ عدد ٣

لا ترجع إلى قرابتك السموية[١٣] أي الرب، بل تسلّم وتميل إلى الغوايات التي تقودك إلى الخطية، وتصير نفسك يداً للخطية مساعدة، وتجانبها في محاربة نفسك فتصير نفسك لقمة للعدو[١٤]، والطير الصغير إذا امسكه النسر يهلك لا محالة وكذا الشاة إذا أمسكها الذئب، أو الصبي الأحمق إذا مدّ يده إلى الأفعى فانها تلدغه فيموت، لأن في هذه المتشابهات نسبةً لحال الروح وفيها ختمها وصفتها.

وكما إذا كانت بكر ذات مال يخطبها رجل فتاخذ منه قبل الزواج حُليًا وملبوساً، أو اواني ثمينة فهي لا تقنع بها إلى أن يحين يوم العرس وتتمتع بصحبته، وكذلك النفس المعدَّة عروساً[١٥] للعريس السموي تنال عربوناً من الروح، سواء كانت مواهب الشفآ، أو المعرفة، أو الوحي، ولكنها لا يقنعها ذلك إلى أن يحين ميعاد وصولها إلى الشركة الكاملة[١٦]، يعني المحبة التي لكونها لا تتغيَّر[١٧] ولا تسقط، تصيّر الذين يشآوون احراراً من الهوى والقلق المشوش.

وكالطفل الرضيع المزيَّن بالدرر والملابس المثمنة كلما جاع لا يبالي بما عليه بل يرذله لشدة احتياجه إلى مرضعته ليشرب اللبن منها، فقس على ذلك مواهب الله الروحانية وله المجد إلى الأبد امين.

---

(١٣) متى ص ١٢ عدد ٥٠ يوحنا ص ١ عدد ١٢ رومية ص ٨ عدد ١٦ و١٧ عبرانين ص ٢ عدد ١٦
(١٤) لوقا ص ٢٢ عدد ٣١
(١٥) ثاني قورنثية ص ١١ عدد ٢ في الأصل
(١٦) يوحنا ص ١ عدد ٣ أول قورنثية ص ١٣ عدد ١٠
(١٧) أول قورنثية ص ١٣ عدد ٨

العظة السَّادسة والاربعَونَ

في الفرق بين كلمة الله وكلمة العالم. وبين بني الله وبني العالم

ان كلمة الله هي الله[١] وكلمة العالم هي العالم[٢] ولكن الفرق بين كلمة الله وكلمة العالم عظيم جداً وكذا بين أبناء الله وأبناء العالم، لأن كل ذرية تشبه أبويها، فان كان المولود من الروح يشآ أن يسلّم نفسه لكلمة العالم، ولأمور الأرض ولفخر هذا الزمان الحاضر، فانه يموت لا محالة ويهلك لعدم استطاعته ان يجد راحة الحياة الصحيحة، لأن راحته هي هناك حيث وُلد لأنه يختنق كما قال الرب ويصير عقيماً عن كلمة الله[٣] إذ يشغل بهموم هذه الحياة ويتقيد باغلال أرضية، كذلك المشغول بطبع جسداني أي الذي يكون دنيوياً فقط، ان مال إلى سماع كلمة الله يختنق ويصير كمَن لا عقل له، لأن الذين تعودوا على طغيان الخطية كلما اتفق انهم يسمعون كلمة الله يصيرون كالنافرين من حديثٍ سخيف فيقلقون في عقلهم.

وبولس يخبرنا ايضا ان الإنسان الذي هو حيواني لا يقبل ما لروح الله لأنها عنده جهالة[٤] والنبي[†] يثبت أيضاً ان كلمة الله صارت لديهم

---

(١) يوحنا ص ١ عدد ١

(٢) قابل ثاني قورنثية ص ٤ عدد ٤ بأول يوحنا ص ٥ عدد ١٩

(٣) لوقا ص ٨ عدد ١٤

(٤) أول قورنثية ص ٢ عدد ١٤

† لا أدري أي نبيّ يريده هنا ولعل في ذلك تلميحاً مختلاً إلى هذه الشواهد عبرانيين ص ٤ عدد ٢ أمثال ص ٢٦ عدد ١١ ثاني بطرس ص ٢ عدد ٢٢.

كالقيء، وقد ترى عياناً انه ليس بماذون للإنسان أن يعيش الاَّ بالجبلّة التي وُلد فيها، ولكنك تسمع عن هذه الطريقة الأخرى، وهي ان كان الإنسان الجسداني يسلّم نفسه لكيما يتغيَّر، فهو يموت اوّلا هناك ويصير عقيماً نظراً لعيشته الاولى التي صرفها في الخبث، ولكن كما انه إذا مرض أحد بالحمّى أو بعلة أخرى من العلل فهو وان كان على سرير خاليا من العمل فلا راحة له أبدا بل تراه قلقا مهتما بما سيفعله ودابه طلب الطبيب والدوآ، كذلك النفس لمَّا تعبت بضعف أهوائها منذ تعدي المعصية، وأصبحت عارية عن المراتب، فباتيانها إلى الرب وبايمانها تنال عونه، وبعد أن تجحد سيرتها الأولى المرذولة وان بقيت على حالها الضعيف القديم غير قادرة أن تتم فرائض الحياة حقاً، فلا يزال عندها كفاية من القدرة تعينها على أن تعتني بهذه الحياة الحاضرة اعتناءً باجتهاد، وتصلي إلى الرب وتطلب الطبيب الحقاني بخلاف ما يقرّره بعضٌ مجذوبون باراء فاسدة، من أن الإنسان ميت عن جميع الغايات والمقاصد، ولا قدرة له أن يفعل خيراً مطلقاً، لأن الرضيع ولو كان لا قدرة له على فعل شيء من الأشيآ، ولا يستطيع أن يأتي إلى أمّه على قدميه، الاَّ انه يحبو ويبكي طالباً اياها، فعندها تحنّ الامّ إليه وتفرح بطلبهِ اياها بتعب وبكاء، مع انه لم يكن يقدر أن يأتي إليها، ولكن عند اجتهاد الطفل في التفتيش تاتيه الامّ بنفسها، إذ تهزها المحبة لصغيرها فتحمله وترضعه وتاتيه بالغذاء من كثرة حبها، كذلك الله الذي عنايته بالإنسان رافةً منه(٥) يفعل ذلك بالنفس التي تاتيه

---

(٥) طيطس ص ٣ عدد ٤

وتشتاق اليه، ومن حيث انه ينقاد بالمحبة فبتحننه الطبيعي المختص به يتحد بعقلها ويصير معها روحاً واحداً[٦] بموجب قول الرسول، لأن النفس بالتصاقها بالرب هكذا، وبتراف الرب عليها ومحبته لها، واتيانه إليها وملازمته لها، وبمداومة العقل في نعمة الرب بلا انقطاع، تصير هي والرب روحاً واحداً وامتزاجاً واحداً، وعقلاً واحداً، وان يكن جسدها يلقي على الأرض، فان عقلها بكليته في أورشليم السموية، يعلو إلى السماء الثالثة، ويتحد بالرب اتحادا شديداً ويخدمه هناك وكذلك، هو لمَّا يجلس على كرسي العظمة في العلي في المدينة السموية يكون معها بكليته في الجسد، لأنه وضع صورتها فوق[†] في المدينة السموية مدينة القديسين أي أورشليم واما صورته الخصوصية[٧] أي صورة نور لاهوته الفائق الوصف فانه وضعها في جسدها، وهو يتولاها في مدينة جسدها، وهي تخدمه في المدينة السموية.

وهي ورثته في السماء، وهو وارثها على الأرض، والرب يصير ميراثاً للنفس[٨] والنفس تصير ميراثاً للرب[٩]، لأنه ان كان فهم الخاطئين الذين في الظلمة وعقلهم بعيداً هكذا من الجسد وهم يضلون في طريق

---

(٦) أول قورنثية ص ٦ عدد ١٧

(٧) قابل سفر الحكمة ص ٧ عدد ٢٦ بالعبرانيين ص ١ عدد ٣

(٨) مزمور ١٢ عدد ٥

(٩) مزمور ٣٣ عدد ١٢ تثنية ص ٤ عدد ٢٠

† قد قيل عن الأشرار ان الله لا يعرفهم متى ص ٧ عدد ٢٣ وانه يرذل صورتهم مزمور ٧٣ عدد ٢٠ وكانه بخلاف ذلك قيل هنا ان صورة النفس إذا كانت بارة يضعها الله فوق تامل الرويا ص ٣ عدد ١٢.

شاسعه، ويسافرون إلى بلاد بعيدة وبينما يكون جسدهم ملقىً على الأرض أحياناً يكون عقلهم في بلد أخرى مع صاحب عزيز أو صاحبة، ويظن نفسه مقيماً هناك، أقول ثانياً ان كانت نفس الخاطي خفيفة ونشيطة هكذا حتى ان عقلها لا يختل ببعد مسافة الأماكن، فكم اَحرَى ان تلك النفس التي ينزع عنها حجاب الظلمة بقوة الروح القدس(١٠)، وتستنير عيونها العقلية بالنور السموي، وتُعتق من دناءَة أهوائها وتتطهر بالنعمة تخدم الرب بالروح الخدمة الكاملة في السموات، وفي الجسد(١١)، وتتسع في أفكارها إلى هذا المقدار، حتى انها تكون في كل مكان وتخدم المسيح متى شاء وحيثما شاء.

هذا ما عنا الرسول بقوله لكي تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعلو والعمق، وتعرفوا أيضاً محبة المسيح التي تفوق على العلم لتمتلئوا بكل ملء الله(١٢)، فتامل في الأسرار الفائقة الوصف التي لتلك النفس التي ينزع الرب عنها الظلمة المنوطة بها ويكشفها عنها ويكشف لها نفسه أيضاً، وكيف يمد ويوسع أفكار عقلها إلى الاعراض والاطول والاعماق التي في الخليقة المنظورة والغير المنظورة، فالنفس هي إذاً صنيع عظيم الهي مملو عجباً، لأنه حين صنعها الرب من جنس لا يختلط بطبيعته خلط فساد(١٣)، بل صنعها على شبه فضائل الروح، ووضع فيها سنن الفضائل، والبصيرة والمعرفة والفطنة والايمان والمحبة وباقي الفضائل بموجب صورة الروح،

---

(١٠) قورنثية ص ٣ عدد ١٦

(١١) رومية ص ١٢ عدد ١

(١٢) افسس ص ٣ عدد ١٨ و١٩

(١٣) سفر الحكمة ص ١ عدد ١٣ و١٤

لأنها إلى الان تُوجَد في المعرفة والفطنة والمحبة والايمان والرب ينكشف لها، وقد وضع فيها فهماً، ونظامَ أفكارٍ، ومشيئة، وعقلاً تضبطه، وجعل فيها دَهاءً مضاعفاً من جنس اخر، وصيَّرها متحركة خفيفة وليست مختضعة للتعب وانعم عليها باستطاعة على المجي والذهاب في لحظة، وان تخدمه في أفكارها برضى الروح، والحاصل انه خلقها من نوع يصيّرها له عروساً ورفيقة، حتى يمتزج بها وتصير معه روحاً واحداً (كما قال الرسول)، مَن اعتصم بالرب فانه يكون معه روحاً واحداً[١٤] له المجد إلى الابد.

☩

العظَة السَّابعَة والاربَعُونَ

تفسير بالكناية للاشيا التي كانت تصنع في الناموس

ان مجد موسى الذي كان على وجههِ كان رمزاً إلى المجد الحقيقي، لأنه كما أنه لم تستطع اليهود أن ينظروا في وجه موسى، كذلك في هذا الزمان يحوز المسيحيون مجد النور من داخل نفوسهم، والظلمة التي لا تتحمل ضياء النور تضمحلّ.

وقد كانوا يبرهنون بالختان أيضاً على أنهم شعب الله فاما هنا فان شعب الله الخصوصي[١] ينالون علامة الختان في قلبهم من

(١) قابل طيطس ص ٢ عدد ١٤ رومية ص ٢ عدد ٢٨ و٢٩

داخل، لأن السيف السموي[٢] يقطع فضله العقل[٣] يعني غلفة الخطية النجسة.

وكانت المعمودية بينهم تقدس الجسد، ولكن عندنا معمودية الروح القدس والنار، لأن هذا ما بشّر به يوحنا قايلاً، وهو يعمدكم بروح القدس والنار.

وكانت لهم مظلة ظاهرة وباطنة، وكانت الكهنة تدخل الاولى كل حين لاتمام عبادة الله[٤]، واما الثانية فكان الحبر يدخلها مرة في السنة بدم، وبهذا كان يخبر الروح القدس، ان سبيل الاقداس بعد لم يظهر[٥]، واما هنا فالمحسوبون أهلاً يدخلون المظلة الغير المصنوعة بالأيدي حيث سبق يسوع فدخلها عنا[٦].

وقد كُتب في الناموس ان الكاهن ياخذ حمامتين ويذبح احداهما ويرش بدمها الحيَّةَ، ويطلقها لتطير ولكن هذا الفعل كان رمزاً وظلاً للحق لأن المسيح قُتل وُرش علينا دمه[٧] فصير لنا اجنحة لأنه اعطانا من روحه القدس أن نطير إلى جو اللاهوت[٨] بلا مانع.

ولهم اعطي الناموس مكتوباً على ألواح من حجر[٩]، ولكن لنا نحن

---

(٢) قابل عبرانيين ص ٤ عدد ١٢ وافسس ص ٦ عدد ١٧ بروية ص ١ عدد ١٦

(٣) يعقوب ص ١ عدد ٢١

(٤) متى ص ٣ عدد ١١ عبرانيين ص ٩ عدد ٦

(٥) عبرانيين ص ٩ عدد ٨

(٦) عبرانيين ص ٦ عدد ٢٠ ثاني قورنثية ص ٥ عدد ١

(٧) عبرانيين ص ١٠ عدد ٢٢ وص ١٢ عدد ٢٤ أول بطرس ص ١ عدد ٢

(٨) يوحنا ص ٣ عدد ٨

(٩) تثنية ص ٥ عدد ٢٠

اعطي النواميس الروحانية[١٠] مكتوبة على ألواح القلب الجسدية، لأنه قال اعطي شريعتي في احشايهم وفي قلبهم اكتبها، وبالحق فقد كانت جميع تلك الاشيا فانية زمنية، واما الان فجميع الاشيا كملت حقاً في الإنسان الباطن، لأن العهد كان باطناً والحرب باطناً، والحاصل ان كل الاشيا التي عرضت لهم إنما كانت مثالاً[١١] وكُتبت لموعظتنا، لأن الله انبأ ابرهيم بما كان مُزمَعاً حدوثه كقوله مثلاً، ان نسلك سيكون ساكناً في غير أرضهم، ويستعبدونهم ويضيقون عليهم أربعماية سنة[١٢] فهذا أكمل مثال للظل، لأن القوم تغربّوا وتعبّدوا للمصريين، وضيق عليهم في الطين واللبن[١٣] لأن فرعون رأس عليهم وكلاء ورؤساء ليسوقوهم إلى الشغل ويعملوا عملهم غما وقسرا، ولما تنهد بنوا اسرائيل إلى الله وهم في الأشغال المثقلة عليهم، افتقدهم على يد موسى في شهر الزهور عند ظهور الفصل اللطيف وهو فصل الربيع، وعند عُبور عتمة الشتاء اخرجهم من مصر.

وقد أمر الربّ موسى بأن يأخذ خروفاً بلا عيب ويذبحه ويرش دمه على اسكفة الأبواب، حتى ان الذي يهلك أبكار المصريين لا يمسّهم[١٤]، لأن المَلك الذي أُرسل راي علامة الدم على بُعدٍ فامتنع ودخل البيوت الخالية من العلامة وقتل كل بكر، وامر أيضاً بان يخرج الخمير من كل

---

(١٠) ارميا ص ٣١ عدد ٣٣

(١١) أول قورنيثة ص ١٠ عدد ١١

(١٢) خروج ص ١٥ عدد ١٣ ابركسيس ص ٧ عدد ٦

(١٣) خروج ص ١ عدد ١٤ وص ٥ عدد ٦ و١٣

(١٤) خروج ص ١٢ عدد ٣ و٧

بيت[١٥] ورسم بان ياكلوه بخبز فطير وبقول مُرَّة[١٦]، وامرهم ايضاً أن يأكلوه واوساطهم مشدودة، واحذيتهم في أرجلهم وعصيّهم بايديهم[١٧]، وامرهم بان ياكلوا فصح الرب في المساء بكل عجلة، وان لا يكسروا منه عظماً قدام الرب، واخرجهم بالفضة والذهب[١٨]، إذ أمرهم بأن يستعير كلّ منهم من جاره المصري أواني ذهب وفضة.

فخرجوا من مصر لما كان المصريون يدفنون ابكارهم[١٩]، وفرحوا بانعتاقهم من العبودية القاسية، واما اولئك فحزنوا على هلاك بنيهم، ولذلك قال موسى هذه هي الليلة التي وعد الرب بان يفتدينا فيها[٢٠].

الاَّ ان جميع هذه الاشيا هي سّر النفس إذا افتُدِيت بمجي المسيح، لأن اسرائيل تفسيره العقل الذي يعاين الله[٢١]، فلذلك خلصت من عبودية الظلمة ومن الأرواح المصرية[٢٢]، لأنه مذ مات الإنسان بالمعصية موت النفس المولم، واخذ لعنة على لعنة، يعني شوكاً وقرطباً تخرج لك الأرض كما قال تعالى، وأيضاً إذا عَمِلت بالأرض فلا تعطيك ثمارها، سلبه اعداوه مجده بالخداع والبسوه العار، ونزع عنه نوره واكتسي بالظلمة، وقتلوا نفسه[٢٣] وشتتوا أفكاره وقسموها، وهبطوا عقله من

---

(١٥) خروج ص ١٢ عدد ١٩

(١٦) خروج ص ١٢ عدد ٨

(١٧) خروج ص ١٢ عدد ١١

(١٨) خروج ص ١٢ عدد ٣٥ و٣٦

(١٩) سفر الحكمة ص ١٩ عدد ٣

(٢٠) خروج ص ١٢ عدد ٤٢

(٢١) قابل مزمور ٧٣ عدد ١ بمتى ص ٥ عدد ٨

(٢٢) تامل سفر الحكمة ص ١٧ عدد ٢ و٣ و٤ و١٤ و١٥ و٢١ وص ١٨ عدد ١٤ على ١٧ وحكمة يشوع ص ١٩ عدد ٢٨ تكوين ص ٣ عدد ١٧ إلى ١٩

(٢٣) تكوين ص ٤ عدد ١٤

حاله العليآ[٢٤]، حتى صار اسرائيل عبداً لفرعون الحقيقي، فرأس عليه وكلاء وروساء ليعجلوا الشغل، وغصبته أرواح الخبث على أن يصنع صنائعه الخبيثة بارادته أو بغير ارادته، وان يتم ما عيّن من الطين واللبن وبعد أن فرقوا بينه وبين الحكمة السموية جذبوه إلى الأعمال الخبيثة الفاسدة الأرضية الطينية، وإلى الأحاديث والاراء الباطلة، لأن النفس لما سقطت من علوها الأصلي وجدت بدله مملكة كارهةً لجنس البشر، وولاةً قساةً غصبوها إلى أن تبني لهم مدناً هي بالوعة الرذيلة والخطية.

ولكن ان تنهدت النفس وصرخت إلى الله فانه يرسل إليها موسى الروحاني ليخلصها من عبودية المصريين، ولكنها ينبغي لها اوّلا ان تصرخ إليه وحينئذٍ تنال مبدا فدائها[٢٥]، ولما خلصت في شهر الزهور الجديدة وفي فصل الربيع حين تقدر ارض النفس على أن تخرج زهوراً على أغصان البرّ الحسنة الزاهية اضمحلّت ظلمة الجهالة وجليدها، والعمى العظيم الناشى عن أعمال الخطية النجسة، ولكنه أمر أيضاً بأن ينقي كل بيتٍ من الخمير العتيق قدر ما امكن، أي جميع أعمال الإنسان العتيق وبِدَعه[٢٦] الفاسدة وأفكاره الخبيثة وتصوراته الدنية.

ثم ان الخروف كان يجب ذبحه وتضحيته ولطخ الأبواب بدمهِ[٢٧]، لأن المسيح الخروف الصحيح الصالح العديم الدنس قد ذُبح، وبدمه دُهنت اسكفة القلب، حتى يصير دم المسيح الذي سُفك على الصليب

---

(٢٤) روية ص ١٢ عدد ٤

(٢٥) لوقا ص ٢١ عدد ٢٨

(٢٦) أول قورنثية ص ٥ عدد ٧ افسس ص ٤ عدد ٢٢

(٢٧) خروج ص ١٢ عدد ٧

حياة للنفس وفداءً، وللشياطين المصرية حزناً وموتاً، لأن دم الخروف العديم الدنس هو بالحقيقة حزن لهم واما للنفس ففرح وبهجة.

وبعد انتهاء اللطخ امرهم بان ياكلوا الخروف في المسآ والخبز الفطير بالبقول المرَّة، وهم مشدودون باحزمة واحذيتهم في أرجلهم، وعصيهم بايديهم، لأنه ان لم تستعد النفس أولاً بالأعمال الصالحة من كل جهة حسب امكانها فلا توذن باكل الخروف، ثم انه وان كان الخروف لذيذاً والخبز الفطير حلواً الاَّ ان البقول مرَّة حارة، لأن النفس تاكل من الخروف ومن الفطير الجيد بكثرة الضيق والمرارة، إذ تضيق عليها الخطية بحضورها.

وأمرهم أيضاً بأن يأكلوه في المساء، فساعة المساء هي بين النور والظلام، وكذلك النفس عند دنوها من هذا الفداء تكون فيما بين النور والظلمة، وتكون قدرة الله مسندة اياها ولا تدع الظلمة ان تاتي عليها وتبتلعها، وكما قال موسى هذه ليلة موعد الله، كذلك المسيح حين أُعطي في يديه الكتاب في المجمع سمي تلك السنة السنة المقبولة للرب ويوم الجزاء(٢٨) كما هو مكتوب.

فهناك كانت ليلة الفداء وهنا نهار الفداء، وليس ذلك بلا سبب، لأن تلك الأشياء باسرها كانت رمزاً وظلاً للحق، وتشابيه سرّية واصفة للخلاص الحقيقي، أي خلاص النفس المسجونة في الظلمة، والمقيدة بنوع خفيّ في الحماة(٢٩)، والمحبوسة داخل أبواب من نحاس، والتي لا قدرة لها على الانعتاق بدون فداء المسيح(٣٠)، فلذلك يُخرج هو

---

(٢٨) قابل لوقا ص ٤ عدد ١٧ و١٨ و١٩ و٢١ باشعيا ص ١١ عدد ١ و٢

(٢٩) مزمور ٤٠ عدد ٢

(٣٠) قابل مزمور ١٠٧ عدد ١٦ اشعيا ص ٤٥ عدد ٢

النفس من مصر، ومن العبودية التي كانت فيها، إذ قتل ابكارها في خروجهم، لأن جزءاً من قوة فرعون الروحاني قد سقطت، وحاق الحزن بالمصريين(٣١)، لأنهم يئنّون حزناً على خلاص الاساري، وكذلك أمرهم بأن يستعيروا من المصريين أواني من فضة وذهب وبعد أن ياخذوها يخرجون، لأن النفس بعد أن تخرج من الظلمة تنال أواني فضة وذهب يعني أفكارها الصالحة سبعة أضعاف أوفر من قبل، وهي التي يُعبد بها الله(٣٢) ويرتضي بها، لأن الشياطين الذين كانوا قبلاً جيرانها كانوا قد شتتوا أفكارها وبدَّدوها، فطوبى للنفس التي تُفتدي من الظلمة، والويل لتلك النفس التي لا تصرخ ولا تتنهَّد إلى مَن هو قادر أن ينقذها من أولئك الظالمين، ثم ان بني إسرائيل بعد أن حفظوا الفصح ساروا، والنفس أيضا تتقدَّم في السير بعد أن تنال حياة الروح القدس، وتذوق من الخروف، وتُدهَن بدمه، وتقتات من الخبز الحقيقي ومن كلمة الحياة.

ثم ان عمود النار وعمود الغمام كانا يتقدمان ليحمياهم، والروح القدس يعين هولاء ويصونهم، ويرشد نفسهم ارشاداً مشعوراً به، وفرعون لمَّا علم هو والمصريون رعيته ان الشعب هرب وحُرموا من خدمتهم، وثقوا باقتفاء اثرهم فضلا عن قتل ابكارهم لأنه لما اعدّ عرباته بكل عجله جزم بأن يستاصلهم بكثرة قومه، ولما كان أن يلحقهم وقفت الغمامة بينهم في الوسط فحجزتهم وغمرتهم في الظلمة، ونوَّرت على اولئك وَوَقَتْهم،

(٣١) لوقا ص ١٠ عدد ١٧ و١٨ و١٩ قولاسانس ص ٢ عدد ١٥

(٣٢) مزمور ١٢ عدد ٦

ولكن لأجل عدم ذكر التاريخ كله واطالة المقال، قدّر لي مثل هذا التشبيه بعينه في جميع خواصه بمصالح الروح، لأنه لمَّا فازت النفس أولاً من المصريين اعانتها قوة الله بقربها منها وهدتها إلى الحق، ولكن لما علم فرعون الروحاني، وهو ملك ظلام الخطية ان النفس عصيته وفرَّت من اشارات مملكته التي كانت محجوزة بها قبلاً (لأن هذه هي املاكه) ظن ذلك المَلك الهائل وامل انها تعود إليه ثانياً، ولكنه حين علم أن النفس فرَّت من ظلمه فراراً لا رجوع بعده، جرى متتبعاً اثرها بقلب زائد القساوة عما كان في قتل الأبكار وسرقة الأفكار، إذ خاف انه بعد فرار النفس لا يجد مَن يكمل له كلمته وشغله، فمن ثم اقتفاها بقساوة من الشدائد والبلايا والحروب الغير المنظورة، فبهذا امتُحنت، وبهذا جُرّبت، وبهذا ظهرت محبتها للذي اخرجها من مصر، لأنها سُلّمت لاحتمال البلايا والمحن من كل طريقة، لأنها ترى جنود العدو متاهّبة لأن ياتوا عليها ويقتلوها، وليس ذلك في قدرتهم، لأن الرب يقف في الوسط بينها وبين المصريين، ولكنها مع ذلك ترى قدامها بحر المرارة والشدة واليأس، ولا تقدر أن ترتد إلى وراء، لأن في تلك الجهة أيضاً تنظر أعداء مستعدة متاهبة، ولا تقدر أن تتقدم، لأن أنواع خوف الموت والشدائد المولمة المحيطة بها تصوّر الموت قدام عينيها فلذلك تيئَس النفس من ذاتها، لكون قضية الموت فيها بسبب زحمة الأرواح الخبيثة المحيطة بها، والله إذا رأى النفس مكروبة بهول الموت، والعدو مستعداً لابتلاعها، يمنحها بعض العون لا محالة، لكونه يتانَّى عليها كثيراً ويسمح بامتحانها ليرى هل هي ثابتة في الايمان، وهل عندها حب له، لأن الطريق التي عيّنها الله هداية

إلى الحياة هي أن يكون الإنسان في الشدة وفي المضائق وكثرة البلايا والتجارب، لكي ترحل النفس بعد ذلك من ثم إلى أرض المجد الحقانية التي لبني الله، ولذلك متى صارت النفس عارية عن الغرور مع ذاتها وجحدت نفسها بواسطة الشدة الثقيلة والموت الذي قدام عينها، ففي ذلك الوقت عينه تجوز من قوة الظلام بيد شديدة وذراع رفيع بواسطة نور الروح القدس[٣٣] وتعبر فائزة من الأماكن المخوفة بعد أن تنفذ من بحر الظلمة والنار.

هذه هي سراير النفس التي تحدث في الإنسان المجدّ في المجيء إلى موعد الحياة، والمُنقَذ من مملكة الموت والذي نال العربون من الله وصار شريكاً حقيقاً في الروح القدس، فعند هذا تفرح النفس فرحاً لا يوصف (لخلاصها من ايدي أعدائها[٣٤]، وعبورها بقوة الله من بحر المرارة، ونظرها قدام عينيها إلى هلاك الأعداء، الذين كانت متعبدة لهم)، إذ تتمجد أيضاً وتتعزى بالله وتطمئن بالرب، فحينئذٍ يسبح الروح الذي اخذته تسبيحاً جديداً لله[†][٣٥]، ببوق

---

(٣٣) مزمور ٤٤ عدد ٣ حبقوق ص ٣ عدد ١١

(٣٤) لوقا ص ١ عدد ٧١

(٣٥) روية ص ١٤ عدد ٣

† هذا التسبيح الجديد هو الفرح الناشي من الطبيعة الجديدة اعني الناس المتجددين الذين يصيرون بذلك شركاء في الطبيعة الالهية ولا يتعلم أحد هذا التسبيح أي لا يقدر أحد أن يعلم ما يختص بافراح الميلاد الجديد أو الحياة الالهية التي أقامت فينا حال البرّ والسلام والفرح بالروح القدس الا المابة والاربعة والاربعون الفاً الذين افتُدوا من الأرض يعني من الشهوة والحكمة الأرضية التي تُتصف بها أشيا هذا العالم وأشيا الجسد فقط.

الجسد مثلا[٣٦]، وباوتار القيثار العقلية، أو أوتار النفس وتصوراتها اللطيفة، وقوس النعمة الالهية، وترسل تسابيح للمسيح الذي يحيينا[٣٧] لأنه كما ان النَفَس بعبوره من الخلق يتكلم، كذلك هو الروح القدس الذي يلهم القديسين والناس الموشحين به التسبيح والترتيل والصلوة لله بنقاوة قلب فيقولون المجد لمَن انقذ النفس من عبودية فرعون ورسمها له كرسياً وبيتاً وهيكلاً وعروساً لا دنس بها، واتى بها إلى ملكوت الحياة الأبدية بعد ان كانت في هذا العالم.

ثم ان تحت الناموس كانت الحيوانات الغير العاقلة تقرب ذبيحة، ولولا كانت تُذبح ما كانت الكفّارة تُقبل[٣٨]، وكذلك الان ان لم تذبح الخطية[٣٩] فلا تقبل الكفّارة لدى الله ولا تكون حقانية.

ثم جاء الشعب إلى مران حيث كانت عين تنبع ماءً مرّاً غير صالح للشرب، فلما قلق لذلك موسى امرهُ الله أن يلقى عوداً في الماء المرّ[٤٠]، فلما اُلقي العود فيه عذب الماء وتحول من مرارة إلى حلاوة وصار صالحاً للشرب، وصار مشروباً لشعب الله، وكذلك النفس تمّررت بشربها سم الحيَّة[٤١] وصارت شبيهة بطبيعتها وأصبحت خاطية، فمن ثم يلقَى الله عود الحياة في عين القلب المرة فيعذب[٤٢] ويتحوّل من مرارته واختلاطه

---

(٣٦) تامل حزقيال ص ٢٨ عدد ١٣ مزمور ١٥٠ عدد ٤ و٦ اشعيا ص ١٦ عدد ١١ مزمور ١٠٣ عدد ١

(٣٧) روية ص ١ عدد ١٨

(٣٨) خروج ص ١٢ عدد ٦ و٢٧

(٣٩) قابل متى ص ٥ عدد ٢٤ برومية ص ١٢ عدد ١

(٤٠) قابل خروج ص ١٥ عدد ٢٥ حكمة يشوع ص ٣٨ عدد ٥

(٤١) انظر تثنية ص ٣٢ عدد ٢٤ و٣٣

(٤٢) تامل مرقص ص ١٦ عدد ١٨

بروح المسيح، فإذا صار بذلك نافعاً ينتفع به بموجب ذلك لعبادة معلمه، لأنه يصير روحاً متجسداً، فالمجد لمَن يحوّل مرارتنا ويصيرها حلاوة الروح وصلاحه، والويل لمَن لا يُلقَى فيه عود الحياة، فانه لا يحصل على تغيير صالح أبداً.

ثم ان قضيب موسى كان فيه شبهان، فانه لاقى الأعداء بشبه تعبان لدغهم واهلكهم، واما للاسرائيليين فكان عصاً يستندون عليها، كذلك عود الصليب الصحيح أي المسيح هو موت اعدائهِ لا محالة[٤٣] وهم أرواح الخبث ولكنه عصاً[٤٤] ومجلس ثابت وحياة لنفوسنا لأنها تستند عليه.

لأن الرموز والاظلة كانت قبل الاشيا الحقيقية، لأن العبادة القديمة هي ظل وصورة للعبادة الحاضرة، وكذلك الختان والمظلة، والتابوت، والقسط والمنّ، والكهنوت والبخور، والغسل، وبالاختصار فجميع الاشيا التي كانت تُصنع لبني اسرائيل، وفي ناموس موسى، وفي الأنبياء انما صُنِعَت من أجل هذه النفس التي خُلِقَت على شبه الله، وسقطت تحت نير العبودية وتحت مملكة الظلمة.

لأن الله كان مريدا ان يتحد بها وهياها عروساً للملك[٤٥] وانه يطهرها من الدنس ويجلوها بالغسل من سوادها ومن دنسها، ويحييها من موتها، ويجبرها من حال انكسارها، ويهبها السلام، ويقبل مصالحتها[٤٦]، لأنها من حيث كونها قد خلقت

(٤٣) غلاطية ص ٦ عدد ١٤ قولاسايس ص ٢ عدد ١٥ افسس ص ٢ عدد ١٦
(٤٤) مزمور ٢٣ عدد ٤
(٤٥) حزقيال ص ١٦ عدد ١١
(٤٦) مزمور ١٦ عدد ٧ ثاني قورنثية ص ٥ عدد ١٩

وهُيّئَت عروساً لابن الملك[٤٧]، فهو بقوته يرفعها وبرافته يتنازل إليها درجة فدرجة إلى أن يزيدها بزيادته ويمدها ويطيلها[٤٨] إلى زيادة لا حدّ لها ولا قياس حتى تجوز كل عيب وتصير عروساً أهلاً لهُ، لأنه يتبنّاها أولاً في نفسه وينميها بذاتهِ إلى أن تنال مقدار حبه التام، لأنه من حيث كونه العريس الكامل فهو ياخذها عروساً له كاملة إلى شركة العرس المقدسة المسرّية الطاهرة، وحينئذٍ تملك معه إلى أبد الدهور امين.

☩

العظة الثامنة والاربَعُونَ

في الايمان الكامل بالله

لما شاء الرب في الإنجيل أن يوتى تلاميذه كمال الايمان[١] قال لهم، الظالم في القليل هو ظالم في الكثير، والامين في القليل يكون اميناً في الكثير[٢]، فما هو هذا القليل، وما معناه بالكثير سوى ان القليل هو مواعيد هذه الحياة التي وعد باسباغها على الذين يومنون به، كالقوت واللباس وباقي لوازم الجسد أو الصحة وما أشبه ذلك، لأنه أمرهم أن لا يكثروا من الاهتمام بهذه الاشيآء، بل ان يثقوا به بيقينٍ تام،

---

(٤٧) متى ص ٢٢

(٤٨) قابل قولاسايس ص ٢ عدد ١٩ افسس ص ٣ عدد ١٨

(١) لوقا ص ١٧ عدد ٥

(٢) لوقا ص ١٦ عدد ١٠

لأن الرب كفؤ للذين يلتجئون إليه من جميع الأوجه[٣]، واما الكثير فالمراد به مواهب العالم الأبدي الذي لا يفسد، التي وعد بان يعطيها للمومنين به، وللمهتمين فيها اهتماماً لا ينقطع، وللذين يسالونه، لأنه أمر بذلك قائلاً، اطلبوا أولاً ملكوت الله وكل هذه الأشياء تزاد لكم[٤]، لكي يمتحن كل واحد من هذه المواد الصغيرة الزمنية، ان كان يومن بالله الذي وعد بان يعطيه ونحن نكون احراراً من كل اهتمام في هذه الاشياء ويكون تشاغلنا كله بالاشياء الأبدية، وحينئذٍ يظهر مَن امتُحن هل له ايمان بالاشياء التي لا تفسد، ويسعى بجدٍّ في طلب الخيرات السرمدية بما احرزه من الايمان الاكيد بالاشياء التي ذكرناها.

لأن كل من يمتثل لكلمة الحق ينبغي لهُ ان يمتحن نفسه ويغربلها، أو أن يفحصه اناس روحانيون فحصاً دقيقاً، ويجرِّب كيف آمن وسلَّم نفسه لله، وهل كان ذلك بالحق واليقين حسب كلمته، أو برأيه من نحو التبرير ظانّا في نفسه ان له الايمان، لأن كلّ واحد يمتحن ويُختَبر هل هو امين في القليل ومرادي بهذا المواد الزمنية، واما كيفية ذلك فتعلَّم، اتقول انك تومن، وانك حسبت اهلاً لملكوت السموات، وانك ابنٌ لله وُلِدت من فوق ووارث مع المسيح، وانك تملك معه مدى الدهور وتتنعَّم بنعيمه[٥]، في النور الفائق الوصف دهوراً لا تُحدّ ولا تُحصَى كمثل الله، فلا شك انك تجاوب وتقول نعم فاني لهذا السبب ابتعدت عن العالم وسلَّمت نفسي للرب.

---

(٣) متى ص ٦ عدد ٢٥ أول طيماتاوس ص ٤ عدد ١٨

(٤) متى ص ٦ عدد ٣٣

(٥) مزمور ٣٦ عدد ٨ إلى مزمور ١٦ عدد ١١

ففتش نفسك إذاً وانظر ان كانت لا تزال تمنعك الهموم الأرضية، والتشاغل بلوازم الجسد من نحو الأكل واللباس وغيره كانَّ بك في نفسك كفاية واستغناء، وكانك من ذاتك تكفي نفسك بهذه الأشياء وقد اُمِرْتَ قبلاً بان لا تهتم لنفسك البتة، لأنك ان آمنت انك سوف تنال الاشياء الأبدية السرمدية الدائمة التي تفوق الجسد فكيف لا تومن بان الرب يعطيك هذه الأشياء الزائلة الأرضية التي منحها للأشرار وللوحوش وللطيور، وقد أمر بأن لا نهتمّ البتة في هذه الأشياء قائلاً، لا تهتمّوا لانفسكم فيما تأكلون أو ما تشربون أو ماذا تلبسون، فان هذا كله يطلبه الامم(٦).

واما ان ظللت مشغولا بهذه الأشياء ولم تثق بكلمتهِ فاعلم انك لم تؤمن بعد بانك سوف تنال الخيرات الأبدية وهي ملكوت السموات (ولو خلت نفسك مومناً بذلك) لكونك إلى الان وُجدت غير امين في الأشياء القليلة الفاسدة وقال أيضاً، كما أن الجسد افضل من اللباس كذلك النفس أفضل من الجسد(٧)، افتومن إذاً ان نفسك شفاها المسيح من تلك الجروح التي كانت فيها موبَّدة ولا دواء لها عند البشر، وهي أهواؤك الدنية وان لهذا الشفاء اتى الرب إلى هاهنا ليشفي الان نفوس الامناء من عللها التي لا دواء لها، ويطهرك من دنس الخطية وبرصها، لكونه هو الطبيب الشافي الصحيح، فلا شك انك تقول في جوابك نعم اني أثق بهذا وهو أملي.

فاعلم إذاً بعد ان تفحص نفسك الفحص البليغ ان كانت العلل

---

(٦) متى ص ٦ عدد ٣٢

(٧) متى ص ٦ عدد ٢٥

الجسدية لا تسوقك أبداً إلى الطبيب الارضي كأن المسيح الذي آمنت به لم تكن له قدرة أن يصنع لك علاجاً، فانظر انك خادع نفسك بتوهّمك انك ذو ايمان، والحال انك لا تومن الايمان الواجب، لانك لو امنت ان جروح نفسك الأبدية الدائمة التي لا دواء لها واهواءَك الناشية عن الخطية يشفيها المسيح، لآمنت أيضاً انه قادر أن يشفي علل الجسد الزمنية وأمراضه، ولُذتَ به وحده تاركاً جميع أدوية الأطباء، لأن الذي خلق النفس خلق الجسد أيضاً، والذي يصحح الأبدي يقدر أيضاً أن يشفي الجسد من علله وأمراضه الزمنية.

ولا شك انك تحتجّ وتقول، ان الله خلق لشفاء الجسد نبات الأرض وأدوية وامدّه أيضاً بمعالجة الأطبّا ورسم بانه من حيث كونه من الأرض يكون شفاؤه من خواصّها المتنوّعة، وانا أوافقك على صحة ذلك، ولكن تامّل لتعلم حقيقة ذلك، لمَن اُعطيت هذه الاشيآ، ولمَن رتبها الله بمحبته العظمى الغير المحدودة، وبرافته على جنس البشر، اليس ان الإنسان لما تعدّى الوصية حاقت به دينونة السخط وصار تحتها، وكأنه أصبح في العبودية والعار، يعمل عمل العبد في المَعْدن، لكونه نُفي بالكلية من مسرّات الفردوس إلى هذا العالم، وذل لقوات الظلمة، وبلغ النهاية في الكفر بضلالة اهوائه وسقط أخيراً تحت سلطة الأهواء وأمراض الجسد، بعد ان كان أولاً حراً من الهوى منزهاً عن المرض، ولكن المتضح ان جميع الذين وُلدوا منه سقطوا في تلك العلل بعينها، فلذلك دبَّر الله هذه الأشياء للضعفاء وللذين لا ايمان لهم، لأنه بكثرة تحننه لم يشاء ان نسل جنس البشر يهلك باسره، بل اعطي أدوية لأهل هذا العالم ولجميع الذين هم من خارج لغذاء

جسدهم وعافيته وعلاجه واباح استعمالها للذين لا قدرة لهم ان يودعوا نفوسهم لله بالايمان.

واما أنت يا مَن تسير سيرة الناسكين فلقد جيت إلى المسيح واردت أن تكون ابناً لله، وان تولد من الروح من فوق، وتنتظر مواعيد اعلى وأعظم مما انتظره الإنسان الأول المعتدل، اعني الأخبار السارّة اخبار مجي ربنا، وبعد أن تقرّ بانك غريب عن هذا العالم يجب عليك أن تحتوي على ايمان وفهمٍ جديدين خارقين للعادة، وينبغي أن تفوق سيرتك سيرة كل أناس العالم، فالمجد للاب وللابن وللروح القدس إلى الأبد امين.

☩

العظة التاسعة والاربعون

في انه لا يكفي للإنسان أن يتجنب لذات هذه الدنيا إلا أن قدر على ادراك سعادة الاخرة

ان أنكر إنسان قرابته وجحد هذا العالم وتغرّب عن لذات هذه الدنيا، وعن الاملاك والابّ والامّ من أجل الرب وصلب نفسه حبّا به، ولكنه لا يجد في نفسه التنعم الالهي بدل تنعم هذا العالم، وبدل اللذات الزمنية، ولا يحسّ بلذات الروح في نفسه، ولا يلبس ثوب النور في الإنسان الباطن بدل اللباس الفاسد، وبدل هذه الشركة الزمنية الجسدية لم يحصل على شركة العريس السموي في نفسه، وبدل سرور هذا العالم الظاهر لم يحرز في باطنه فرح الروح، ولم يَنَلْ في نفسه

عزاء النعمة السموية والقناعة الالهية عند ما يظهر له مجد الله على ما كُتب وأقول في الجملة انه بدل هذا التمتع الزمني لم يجد في نفسه في هذه الحياة الحاضرة ذلك التمتع المشتهى الغير الفاسد، فهذا الإنسان قد صار ملحاً بلا طعم وانه خليق بان يُرثى لحاله أكثر من جميع الناس، فانه قد صار مجرداً من الأشيآ هاهنا، ولم يحصّل بدلها المواهب الإلهية، ولم تكن له معرفة بالأسرار الالهية بفعل الروح في انسانه الباطن، لأن لهذه الغاية انما يتغرب الإنسان عن هذا العالم، وتجوز نفسه بالعقل إلى عالم آخر ودهر اخر كما قال الرسول، ان معاشرتنا انما هي في السماء(١)، وقال أيضاً نحن نسير في الجسد ولكن لسنا نجاهد حسب الجسد(٢).

فسبيل مَن يجحد هذا العالم إذاً ان يومن يقيناً بانه يعبر بفكره إلى عالم اخر ولو كان في هذا العالم وذلك بواسطة الروح وبان تكون هناك معاشرته ولذّاته، وبانه يتمتع بالخيرات السموية، ويولد انسانه الباطن من الروح كما قال الرب، مَن آمن بي فقد انتقل من الموت إلى الحياة(٣)، لأنه يوجد موت اخر غير الذي قدام عيوننا، وحياة اخرى غير الظاهرة، لأن الكتاب المقدس قال، اما التي تشتغل بالتنعم فقد ماتت وهي حية(٤)، وقال الموتى يدفنوا موتاهم(٥)، وقال ليس الأموات يسبحونك يا رب لكن نحن الاحيا نباركك(٦).

---

(١) فيلبسيوس ص ٣ عدد ٢٠

(٢) ثاني قورنثية ص ١٠ عدد ٣

(٣) يوحنا ص ٥ عدد ٢٤

(٤) أول طيماثاوس ص ٥ عدد ٦

(٥) لوقا ص ٩ عدد ٦٠ و٦١

(٦) مزمور ١١٤ عدد ٢٥ و٢٦

لأنه كما أن الشمس عند اشراقها على الأرض تكون عليها بكليتها، ولكن عند تقدمها إلى غروبها تجمع أشعتها عنها إلى مستقرّ لها، كذلك النفس التي لا تولد ثانية من الروح من فوق انما تكون على الأرض بكليتها في أفكارها، وتمتد عليها في عقلها إلى غاية حدودها، ولكنها إذا حُسبت أهلاً لنوال التجدد السموي وشركة الروح، تجمع أفكارها كلها عنها وتصونها في مستقرها، فتدخل إلى الرب في المستقر الذي هو من السماء غير مصنوع بالايدي(٧)، وتصير كافة افكارها سموية نقية طاهرة صاعدة في الجو السموي، لأن النفس متى أُطلقت من السجن رئيس روح هذا العالم الخبيث تجد أفكاراً نقية الهية، لأن الله ارتضى بأن يجعل الإنسان شريكاً في الطبيعة الالهية.

فان كنت قد اعتزلت إذا أمور هذه الحياة وواظبت على الصلاة أفلا تظن ان في هذا العمل راحة لك على كل حال، وان الشدة معه خفيفة، وتعتدّ ضيقك فرحاً وابتهالاً، لأنه لو صُرف جسدك وروحك كل ساعة مدة الحياة كلها من أجل مثل هذه الخيرات، فماذا كان مبلغ ذلك، فيالرآفة الله الفائقة الوصف، إذ يمنح نفسه مجاناً للمومنين ليرثوه ويسكن في جسد الإنسان ويتخذه له منزلاً حسناً.

لأنه كما أن الله خلق السماء والأرض ليسكن الإنسان فيهما، كذلك خلق جسد الإنسان ونفسه منزلاً له، لكي يسكن الجسدَ ويستريح فيه كانه مقام له، ويتخذ النفس الحبيبة له عروساً شريفة مصنوعة على صورته، قال الرسول، لأني خطبتكم لرجل واحد لاقربكم

---

(٧) ثاني قورنثية ص ٢ عدد ١١

للمسيح بكراً عفيفة[٨]، وقال أيضاً هذا الذي نحن مسكنهُ.

لأنه كما أن الإنسان يخزن في بيته أصناف الخيرات كلها باجتهاد، كذلك الرب يدّخر ويخزن غنى الروح السموي في مقامه الذي هو النفسي والجسد، ولكن ليس الحكمآ بحكمتهم ولا الفطنون بفطنتهم امكنهم ان يدركوا القدس، فان ادراك النفس ومعرفتها التامة واضحة لهم، فتامل وتبصَّر وافهم كيفية ذلك واصغ اليَّ، واسمع ان هذا اله وهي ليست الهاً، هذا رب وهي عبدة، هذا خالق وهي مخلوقة، هذا الصانع وهي مصنوعة، وليس في طبيعتها كليتهما شيء دون ولكنه بواسطة محبته ورافته التي لا تحد ولا توصف ولا تدرك ارتضى بان يحل في صنعة يديه هذه وفي خليقته العاقلة وصنعه الثمين المختار كما قال الكتاب المقدس، لنكون ابتدا من خليقته[٩] لنكون حكمته[١٠] وشركته[١١] ومسكناً له[١٢] وعروساً ثمينة طاهرة.

فمن حيث انه قد نُصبت امامنا هذه الخيرات، ووُعدنا بهذه المواعيد[١٣]، وصار لنا رضوان الرب لهذه الغاية، فلا نتهاملن يا أيها الأبناء ولا نبطئن في عودنا سريعاً إلى الحياة الأبدية، وتخصيصنا نفوسنا لرضى الرب بالكلية.

فلنتوسل إلى الرب إذاً لأن ينقذنا بقوة لاهوته الخصوصية من سجن

---

(٨) ثاني قورنثية ص ١١ عدد ٢
(٩) يعقوب ص ١ عدد ١٨
(١٠) امثال ص ٨ عدد ٣١
(١١) أول يعقوب ص ١ عدد ٣
(١٢) اشعيا ص ٥٧ عدد ١٥
(١٣) ثاني قورنثية ص ٧ عدد ١

ظلمة اهوائنا الدنيئة، وانه بعد أن يبرّئ هذه التي هي صنعته يجعلها نقيّة اهلاً لشركة الروح، فنمجد الاب والابن والروح القدس إلى الأبد امين.

☩

العظة الخمسون

في أن الله هو الذي يصنع العجايب على يد قديسيه

مَن ذا الذي اغلق أبواب السماء اليس هو ايليا[١] الذي أمر الله بالمطر على يديه، اما رأيي فهو ان ذلك الذي قوة السمآ موشحة به كان حالاً داخل عقله، وان كلمة الله بواسطة لسانه نهت المطر ان لا ينزل على الأرض، ثم نطق فانفتحت كُوَي السمآ ونزل المطر[٢].

وكذلك موسى رمى بعصاه فصارت ثعباناً، ثم تكلم فصار عصاً كما كانت أولاً[٣]، واخذ رماداً من الاتون وبذرهُ فصار بثوراً[٤]، وضرب أيضاً فصار القمل والضفادع[٥]، أفكانت الطبيعة البشرية قادرة أن تصنع هذه الأمور، ثم اَمَر البحر فانقسم، والنهر فتحول دماً، فالواضح ان القوة السموية كانت حالة في عقل موسى وفعلت هذه الايات على يديه.

---

(١) ثالث الملوك ص ١٧ عدد ١ يعقوب ص ٥ عدد ١٧

(٢) ثالث الملوك ص ١٨ عدد ٤٢ يعقوب ص ٥ عدد ١٨

(٣) خروج ص ٧ عدد ٩

(٤) خروج ص ٩ عدد ٨ و٩

(٥) خروج ص ٨ عدد ٦

وكيف قاتل داود الجبار في الحرب بلا أسلحة[٦]، ورمي داود الحجر على الأجنبي فساقت يد الله الحجر عليه فقَتله فحصل الظفر، لأن داود ما كان يستطيع أن يفعل ذلك من ذاته لضعفه في الجسد.

ويشوع ابن نون لما أتى اريحا وحاصرها سبعة أيام[٧] كان غير قادر أن يفعل شياً بطبيعته حتى إذا أمر الله سقطت الأسوار من ذاتها، وحين دخل أرض الميعاد قال له الرب انطلق إلى القتال، فقال حيٌّ هو الرب لا أنطلق بدونك ومَن الذي أمر الشمس أن تقف ساعتين بزيادة في حرّ القتال[٨] أفكانت طبيعته فقط أو كانت قوة أخرى حاضرة معه.

ولما قاتل موسى عماليق كان إذا رفع يديه نحو الله في السماء يغلب عماليق وإذا خفض يديه ينغلب[٩].

ولكن إذا سمعت بحدوث هذه الأشيا فلا تدع عقلك يزيغ عنك بعيداً، بل اذكر انها كانت رمزاً وظلاً للحقايق وتحقّقها في نفسك، لأنك كلما مددت يدي عقلك وأفكارك إلى السماء وشئت الاتحاد بالرب، انخفض لك الشيطان تحت أفكارك، وكما سقطت الأسوار باريحا بقوة الله، كذلك تنهدم الان عنك بقدرته أسوار الخطية التي تسدّ العقل ومدن ابليس واعداؤك، وهكذا كانت قوة الله حاضرة مع الأبرار بلا انقطاع وفاعلة عجائب واضحة وكانت النعمة الالهية حالة فيهم من داخل وان يكن ذلك العهد ظلاً لهذا العهد الذي نحن فيه.

---

(٦) أول الملوك ص ١٧ عدد ٤٩ حكمة يشوع ص ٤٧ عدد ٤ إلى ٨

(٧) يشوع ص ٦ عدد ٢٠

(٨) يشوع ص ١٧ عدد ١١

(٩) خروج ص ١٧ عدد ١١

وكذلك الروح كان يمدّ فاعليته في الأنبيآ ويلهم أنفسهم النبوة والاعلان لاشيآ عظيمة للعالم، لأنهم ما كانوا يتكلمون في كل الأوقات إلا بإرادة الروح الذي كان فيهم، الاَّ أن النعمة كانت حاضرة معهم في كل الأوقات.

فإذا كان الروح القدس افيض في ذلك العهد الظلِّ بهذا المقدار فكم بالحري في العهد الجديد، عهد الصليب ومجي المسيح حيث حصل فيض الروح وامتلاوهُ فانه تعالى قال لاني اسكب روحي على كل لحم(١٠)، وقال ربنا المخلّص، اني أكون معكم إلى منتهى العالم، لأن كل مَن يطلب يجد، وقال فان كنتم انتم الأشرار قد تعرفون ان تمنحوا عطايا صالحة لأبنائكم، فكم بالحري أن اباكم الذي في السموات يُعطي روحه القدس للذين يسالونه(١١) بالقوة وثقة الايمان التامة.

لأن هذه الاشيا وما اشبهها توجد بالمقدار والزمان وكثرة الكد والصبر والمحبة له، إذ تتدرَّب الحواس بمعرفة الخير والشر على ما كُتب، وبواسطة مواهب النعمة المتنوعة والمعونات المختلفة التي هي لعناية الروح ولقوته، لأن الذي يعرف خداع الخطية التي تنجس الإنسان الباطن باهوائها الدنية، ولا يدري في نفسه بعون روح الحق المقوّي لضعفه والمجدّد نفسه ببهجة القلب، فانه يسير بلا بصيرة لكونه لم ينل بعدُ تدبير نعمة الله وسلامه الوافر.

---

(١٠) ابركسيس ص ٢ عدد ١٦ و١٧ يويل ص ٢ عدد ٢٠

(١١) متى ص ٧ عدد ١١ لوقا ص ١١ عدد ١٣

واما الذي يساعده الرب ويكون حاصلا على البهجة الروحانية والمواهب السموية، فان تصوَّر انه لا يعود يُؤذَي من الخطية فانه ينخدع من حيث لا يدري إذ لم يفطن لحيلة الخطية ولم يفهم نمو العمر والتمام بالمسيح الذين لا يَكمُلان إلا درجة فدرجة لأن بسيرة الروح القدس الالهي نمجد الاب والابن والروح القدس إلى الأبد امين.

فعسى ان يزداد الايمان ويترقى، ويميل كل قائم من الأفكار الخبيثة(١٢) إلى الانهدام، فسبيل كلّ منا إذاً أن يفتش وينظر ان كان وجد الذخيرة في هذا الاناء الخزف(١٣)، أو ان كان اكتسى بارجوان الروح(١٤)، وان كان قد رأى الملك(١٥) واستراح بايذانه له في القرب من حضرته، أو ان كان مبتعداً(١٦) عن المناصب الخارجية، لأن للنفس اركاناً مختلفة وقراراً عظيماً وان الخطية هجمت عليها أخيراً واستولت على اركانها وعلى مراعي القلب، وبعد ذلك إذا فتش الإنسان هذا التفتيش تاتيه النعمة فتمتلك أجزاء النفس واما قليل الخبرة فإذا أيدّته النعمة ظن ان بذلك القرب قد استولت النعمة على قوته كلها، وان الخطية قد استؤصلت بالمرة، مع ان اعظم جزء منه لا يزال في قبضة الخطية, وليس في قبضة النعمة الاجز واحد حتى ان هذا الجزء سُرق منه أيضاً من دون أن يفطن له، ثم ولو انا كنا نقدر على أن نزيد الشرح

(١٢) ثاين قورنثية ص ١٠ عدد ٤
(١٣) ثاني قورنثية ص ٤ عدد ٧
(١٤) قابل اشعيا ص ٦٣ عد ٢ روية ص ١٩ عدد ١٣
(١٥) قابل استير ص ١ عدد ١٤ متى ص ٥ عدد ٨
(١٦) يشوع ص ٩ عدد ٢٧

لهذه المصادر لأناس يشبهونكم خلة وصدقاً، فقد ختمنا لكم باختصار من القول لانا انما كتبنا لأناس ذوي فهم، حتى إذا تعبتم تعباً صحيحاً وفحصتم عن قوة الكلام تزدادوا حكمة بالرب(١٧) وسداجةً بقلوبكم في نعمته وفي قوة الحق، وإذا تمسكتم بايمانكم وسلمتم من جميع الطغيان والحيل والخداع المختصّة بخصمكم تُحسبون أهلاً لأن توجدوا بلا عيب غير مَدِيْنين في يوم معرفة† ربنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى الأبد امين.

---

(١٧) ثاني بطرس ص ٣ عدد ١٨

† في النسخة التي بالخط توجد لفظة معرفة ولكن في الحاشية اشارة إلى أن نقراها دينونة. والمعنى في كلتا القراتين متشابه لأن المسيح وعد جميع المومنين به والعايشين بموجب ايمانهم بانه في يوم الحساب العظيم لا يَعْرِف أحداً سواهم ولا يَعْتَرِف باحدٍ سواهم. متى ص ٧ عدد ٢٣.

تم الكتاب

IT may probably be expected that the circumstances to which the present publication owes its origin should be distinctly stated. They were as follows:—During my second visit to the East in 1842, I was honoured by several interviews, in Caïro, with the Patriarch of Alexandria, the present head of the Ancient Episcopal Church of Egypt and Abyssinia, of which St. Mark is believed to be the founder. I inquired of the Patriarch whether there existed in Egypt any of works of Macarius the Great, who lived about the year A.D. 300. He replied, with expressions of deep regret, that they had not a line of his writing in any language. I informed him that we possess them in Greek, Latin, and English; at which declaration he appeared much surprised. I then asked, if a translation were made into Arabic, for the use of the Coptic Church, whether it would be acceptable. To this he replied, with a countenance lighted up with pleasure, "You could not present us with a greater boon, next to the Scriptures, than the works of our own Macarius."

A learned Copt therefore, who had been employed as a Translator at Malta, was engaged to translate "*The Homilies*," under the superintendence of the Patriarch. They have since been revised by Mr. Fares of Malta, an Oriental, and an eminent Arabic scholar, while in this country translating the Bible into Arabic for the Christian-Knowledge Society.

The translation has also been collated with the Greek and Latin copies: I may therefore venture to say that it is well and faithfully executed. The work has finally been printed under my own superintendence.

In concluding, I would express my fervent prayer that the Divine blessings may abundantly rest upon this undertaking, and that it may prove instrumental to the spiritual improvement and edification the ancient and Apostolical Coptic Church.

HENRY TATTAM.

BEDFORD, *Oct*. 16, 1846